
سفاح
ستوكهولم
رواية
محمد حسن سعد

سفاح

ستوكهولم

(حين يكون الذكاء عرضًا لمرضٍ)

رواية

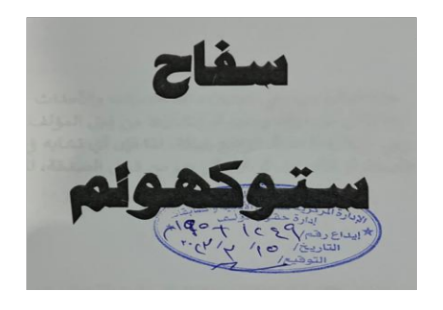
محمد حسن سعد

تنويه

هذا العالم من وحي الخيال، الشخصيات والأحداث والأماكن من دولة ومدن تم إنشاؤها من قِبَل المؤلف وهي خيالية لا تمتُّ الواقع بصلة، لذا فإن أي تشابه في الأسماء أو الأحداث أو الأماكن هو من قبيل الصدفة، لذا وجب التنويه.

*هذه الرواية هي الجزء الثالث من سلسلة "من تجارب د. يحيى فهيم"، لكنها لا تستلزم قراءة أيٍّ من الأجزاء السابقة.

* تدور الأحداث داخل مدينة العاصمة بدولة دونسيار.



- سنبدأ التسجيل، هل أنت مستعد؟

هكذا سأل الطبيب النفسي ذلك الشخص الجالس أمامه قبل أن يسجل تلك الجلسة صوتيا.

أومأ الشخص وهو يأخذ نفسا طويلا وكأنه ينوي أن يُخرج ما في صدره من ثِقل.

- لتخبرنا أولًا عن نفسك.

- اسمي ماهر حميدة، مهندس ديكور، أعمل لدى شركة معمار شهيرة. لست متزوج وأعاني من اضطرابات نفسية شديدة.

كان ماهر أشيب الشعر ذا ملامح هادئة، يبدو من تجاعيد وجهه أنه في العقد السادس من عمره، يرتدي ملابس فاخرة ذات ألوان متناسقة، كان نحيلا طويلا ولكن بنسب متوافقة، ذقنه كثيفة لامعة تم تحديدها بحرفية كبيرة جعلته يبدو أكثر شبابًا وإثارة مع تلك الإكسسوارات والأساور التي وضعها بيده والرائحة العطرة التي تفوح منه، كان لا يبدو عليه أنه يعاني من أي مرض نفسي أبدًا، بل هو مثال واضح للكهل الذي ما زال متمسكا بشبابه.

- هل توضح لي شكواك؟

- لا أستطيع أن أنام أبدًا بسبب كثرة التفكير.

لم يكن يبدو على ماهر التعب أو الإرهاق من قلة النوم ولكن بالتركيز أسفل عينيه وجدت نسبة ليست بالقليلة من مساحيق التجميل التي قد تخفي ملامح ما قد يخلفه عدم النوم، أو شيء آخر.

- وفيم تفكر يا ماهر؟

- أفكر في هؤلاء الأشخاص الذين قتلتهم.

هنا رفع الطبيب عينيه بعدما كان منكبا يكتب في المفكرة التي أمامه ونظر إلى ماهر في عينيه وهو يستفسر:

- هل تحلم بقتل أحد عندما تنام؟

- لا، لا أستطيع النوم لأنني قتلتهم في الواقع.

اتسعت عينا الطبيب وبدأت ضربات قلبه تزداد شيئا فشيئًا ولكنه حاول الهدوء واستكمال الجلسة وهو ينظر إلى ذلك التسجيل الذي ما زال يعمل.

- هل لي أن أعرف لِمَ قمت بقتلهم؟

- بسبب تلك الموهبة اللعينة التي لدي.

- ما هي تلك الموهبة؟

- أستطيع رؤية الموتى.

رئاسة وزراء وحكومات دونسيار ٢٠٣٨/٨/٢٢
مكتب التكليفـات والمتابعـة

تكليف رسمي

إلى السيد وزير الثقافة والإعلام، تحية طيبة وبعد،

تم تكليفكم بإعداد كتاب وثائقي عن قضية سفاح ستوكهولم الشهيرة لإيضاح كل النقاط الشائكة حول القضية وما آلت إليه كل التحقيقات حينئذ، وليتم تولية الأمر أهمية قصوى والوضع في الاعتبار أنه يعد أمنا قوميا لدولة دونسيار بعد انتشار الشائعات التي طالت الدولة بعد حريق مشفى القطة.

يعد هذا مستندا رسميا لكل الجهات المختلفة لتقديم المساعدة والمعلومات المطلوبة لاستكمال الكتاب المعني دون الرجوع لتصاريح أو تعليمات خاصة.

رئيس وزراء وحكومات

جمهورية دونسيار العظمى

جمهورية دونسيار العظمى ٢٠٣٨/١١/٣
وزارة الثـقافــة والإعـــلام

إلى/ مكتب السيد رئيس وزراء وحكومات جمهورية دونسيار.

ردا على التكليف الذي تشرفت به وزارة الثقافة والإعلام بإعداد كتاب وثائقي عن قضية سفاح ستوكهولم التي حدثت في عام ٢٠٢٥. واستنادًا على المصادر المؤكدة والتحقيقات الرسمية والشهادات المثبتة والأبحاث المتعمقة للقضية، وبالاستعانة بعدد من مؤلفي دونسيار، تم دمج كل المعلومات في كتاب وثائقي شامل لكل ما حدث في تلك الفترة وأطلقنا عليه اسم (سفاح ستوكهولم). متمنيين أن يتشرف السيد رئيس الوزراء والحكومات بإبداء ملحوظاته القيمة له تمهيدا لبدء توزيعه ونشره إلى كل الهيئات والوزارات ومن يهمه الأمر.



وزير الثقافة والإعلام

لجمهورية دونسيار العظمى

جمهورية دونسيار العظمى
وزارة الثـقافــة والإعــلام

سفاح ستوكهولم

إعداد:

نخبة من مؤلفي دونسيار.

مراجعة وتدقيق للأحداث:

مكتب كبير القضاة.

الإدارة المركزية للبحث الجنائي.

١

العاصمة، دونسيار

حسنا، مساء الخير.

اسمي ونس، ونس عبد المنعم أحمد فريد، مهندس تحليل بيانات متطورة، كنت أعمل بقسم جرائم الإنترنت بالإدارة المركزية للبحث الجنائي في مدينة العاصمة بدولة دونسيار.

أكتب لكم هذه الورقات لأسرد لكم قصتي الكاملة مع سفاح ستوكهولم، حيث كنت أنا المهندس المسؤول عن تحليل البيانات الخاصة بالقضية كلها قبل أن يتم الإطاحة بي.

إنهم يحتجزونني في منشأة ما لا أعلم ماهيتها، لا أستطيع الخروج ولا يسمحون لنا أن نقابل أي أحد ولا نستطيع التواصل مع ذوينا ولا أعلم ما هو مصيري، لقد مرت شهور علي دون جديد حتى كدت أصاب بالجنون.

لذا قد قررت كتابة كل شيء وسأعطيه لأختي التوأم ريم بمجرد زيارتها لي، لقد وضعت خطة محكمة لإعطائها ذلك الورق، أعلم أنها ستزورني يوما ما، لذا أتمنى أن تقرؤا قصتي كاملة ولا تصدروا أحكاما استباقية حتى انتهي من سردها، وإن توقفت عن إكمال كتابة ما حدث فأعلموا أن مكروها قد حدث لي وحينها أرجوكم أن تبحثوا في الأمر وتفتشوا عن الحقيقة الكاملة.



لنبدأ بما حدث في عام ٢٠٢٥.

بدأ كل شيء عند وصول الصحفية أمينة سعيد إلى مبنى الشرطة ببلدة الحسانة الريفية بمدينة بنزو. دخلت أمينة إلى أحد مكاتب المبنى تطلب مقابلة كبير المحققين هناك، قابلها أحد مساعدي الشرطة وأخبرها أنه غير مسموح للصحفيين لقاء كبير المحققين إلا بميعاد مسبق، فرفضت الصحفية المغادرة وظلت تلح على ذاك المساعد أنها يجب أن تقابل كبير المحققين في أمر بالغ الخطورة ولا يجب أن ينتظر ولكن المساعد أصر على ما أخبرها به فبدأ الصوت يعلو بينهم حتى سمع كبير المحققين حديثهم حتى خرج وهو يصيح:

- ماذا يحدث هنا؟

أجابه المساعد وهو ينظر إلى الصحفية في غضب:

- لا شيء سيدي، سترحل تلك السيدة في الحال.

هنا صاحت الصحفية نافية كلام المساعد:

- لا، لقد جئت للإبلاغ عن قضية خطيرة ويجب أن تستمعوا إلي.

أجابها كبير المحققين:

- من أنتِ؟

هنا تقدمت الصحفية تمد يدها إلى كبير المحققين تخبره:

- أمينة سعيد، صحفية بجريدة السعداوي نيوز.

- صحفية؟، أهلا أستاذة أمينة، ما هي القضية التي طلبتي مقابلتي شخصيا من أجلها؟

هنا نظرت إليه الصحفية وهي تدور برأسها حول المكان وتخبره:

- هل يمكن أن نتحدث في مكتبك؟

نظر لها كبير المحققين في ضيق وهو يخبرها:

- أتمنى أن يستحق الأمر ما تفعليه هنا، تفضلي.

دخلت أمينة إلى مكتب كبير المحققين وهنا بدأ حوارهم وكانت أمينة هي من استهلت الكلام:

- من المفترض أن الصحفيين هم من يحصلوا على المعلومات منكم، ولكني اليوم جئت لأخبركم بمعلومات.

هنا مال كبير المحققين بظهره على كرسيه وهو يخبر أمينة باستهزاء:

- حقا؟، فلتخبريني إذا ماذا لديك وكفاك مماطلة.

هنا تغيرت ملامح أمينة إلي الجدية بعض الشيء وهي تخبره:

- لدي معلومات أن الطبيب هادي همام يدير عيادة طبية خيرية في بلدة الحسانة ويشتري الأطفال الرضع من أشخاص شديدي الفقر من أجل بيعها للأغنياء.

هنا اعتدل كبير المحققين في جلسته وهو ينظر إلى أمينة يحدثها بحدة:

- هادي همام؟، طبيب الأطفال الشهير؟

أومأت أمينة فسألها كبير المحققين:

- ما هو دليلك؟

هنا أخرجت أمينة هاتفها تُظهر لكبير المحققين بعض الصور لفتاة يبدو أنها كانت ف الشهور الأخيرة من الحمل ثم أظهرت له بعدها صور أخرى لنفس الفتاة ولكنها لم تعد حامل فيها، هنا بدا على كبير المحققين الضيق ونظر بحنق شديد لأمينة:

- لا أفهم، ما الغرض من كل تلك الصور؟

أجابته أمينة مسرعة:

- لقد ولدت الفتاة، لكن الطفل ليس معها، لقد باعت طفلها للطبيب.

- هذا هو دليلك؟، صورة لفتاة حامل وأخرى لم تعد حاملا فيها؟

صمتت أمينة وهنا أدركت أنها لم تقنع كبير المحققين بالأمر وأيضًا لم تستطيع ذكر مصدر معلوماتها لأنها كانت تجهل من هو، حينها استشاط الضابط غضبًا وأخبرها أن تغادر مكتبه في الحال.

حاولت أمينة تهدئته لتوضح له أن ذلك المصدر أخبرها أنه سيمدها بالمزيد من المعلومات التي تدين الطبيب وكل ما تريده هو مساعدة البحث الجنائي لها لمعرفة المزيد عن تلك القضية، ولكن كبير المحققين دخل في نوبة غضب وهو يخبرها أن ترحل على الفور وهي تحاول أن تمتص غضبه ولكن دون جدوى وفي نهاية اللقاء وهي تغادر صاح بها كبير المحققين قائلًا:

- هادي همام هو من عالج ابني الصغير وقام بإجراء عملية خطيرة له وهو رضيع، لن تنالي من سمعة رجال محترمين من أجل سبق صحفي أيتها الصحفية.

ثم أنهى لقائه بطريقة لم تكن لطيفة:

- لتغادري حالًا ولا أريد رؤية وجهك في هذا المكتب مجددًا.

كان وقع الأمر شديد على أمينة، لقد أهينت كرامتها للتو ولم يكن بيدها شيء آخر لتفعله سوى أن تجتاز الشارع ثم تبدأ في نوبة بكاء هيستيرية لم تتوقف إلا وهي تدخل منزلها عائدة بعد خيبة أمل كبيرة، كانت تُمني نفسها في الحصول على سبق صحفي وأن يتم مساعدتها على إتمامه ولكن الأمر أتى عكس ما كانت تتمني تمامًا، مكثت أمينة طول الليل تبكي وحزينة لما حدث ولكنها قررت أن تُنفّس عن نفسها وعن ما حدث بأن تكتب منشور على موقع التواصل الاجتماعي تشرح فيه عمّا حدث لها وأوضحت فيه الاتهامات الموجهة لهادي همام وما حدث لها مع كبير المحققين أيضًا ثم أغلقت هاتفها وخلدت للنوم ولكنها لم تكن تدرك ما كان يحدث لذلك المنشور خلال نومها وهو ما عرفته بعدما استيقظت على مكالمة من زميلتها في العمل تخبرها:

- دونسيار كلها تتحدث عنك وأنت مازلت نائمة؟



الإدارة المركزية للبحث الجنائي

المكتب الفني لجرائم الإنترنت

كنت أنا المهندس المسؤول عن تحليل البيانات واستخراج تقرير إحصائي يومي بكل ما يحدث على شبكات الإنترنت المحلية والعالمية، وقد كان منشور تلك الصحفية قد انتشر بشكل ملحوظ وبدأت التفاعلات له تظهر وتحتل مراكز متقدمة.

دخل النقيب حسين مُسرعَا إلى مكتبي يسألني:

- أخبرني ما الذي توصلت إليه يا ونس؟

- هذا المنشور تجاوز خمسين ألف إعجاب، وتمت مشاركته لأكثر من ثلاث مائة ألف مرة، كل ذلك في أقل من اثنتي عشرة ساعة فقط والأعداد في ازدياد مستمر بشكل ملحوظ بالرغم أنه نُشر بعد منتصف الليل لذا أعتقد أنه سيصبح متصدر اللائحة اليوم.

وقف النقيب حسين لثواني يفكر ثم ربت على كتفي قائلًا:

- حسنا فلتجلب حاسبك المحمول وتأت معي إلى اللواء فتحي.

هنا تغيرت ملامح وجهي فجأة وبدأت التلعثم في الكلام:

- أعذرني سيدي، أنا أصاب بالتوتر ولن أستطيع إفادتكم.

- ستترك مجهودك يُنسب إلى أحد آخر كالعادة إذا؟، إنهم يقتاتون على عملك هنا، لتتشجع وتأت معي وسأساندك إن حدث شيء.

- أشعر بالراحة هكذا يا سيدي، صدقني لن أستطيع.

- حسنا فلتظل هكذا، لن تفلح أبدًا.

ثم اتجه حسين إلى أحد المهندسين الآخرين متحدثا إليه:

- مصطفى، فلتعلم المطلوب وألحق بي في مكتب اللواء فتحي.

فأجابه مصطفى متحمسا:

- على الفور سيدي.

غادر حسين المكتب واتجه مصطفى إلي لأخبره بالأمر، وما إن غادر مصطفى المكتب ومعه الحاسب المحمول التقطت أنفاسي وبدأت في الهدوء، كل ذلك كان محط أنظار باقي أفراد القسم الذين ظلوا ينظرون إلي متعجبين من أمري ومن حركاتي الغريبة.

حسنا، لأعرفكم بنفسي أكثر.

أنا ونس فريد مهندس تحليل بيانات لدى وزارة تكنولوجيا المعلومات، من عائلة ثرية نوعا ما، تركاني والدي بمفردي منذ سنوات بعد وفاتهم وورثت أنا وأختي التؤام ريم كل شيء، تم اختياري من المهندسين الذين تم انتدابهم لوزارة الأمن الداخلي ليعملوا بإدارة البحث الجنائي قسم جرائم الإنترنت لذكائي وعقليتي الفطنة كما كانوا يعتقدون.

لم أمكث كثيرًا حتى ذاع صيتي داخل المكان لمساهماتي الكثيرة في حل القضايا المتعلقة بالإنترنت، ولكن كانت شهرتي الأكبر بسبب التوتر، حيث ما إن يتم وضعي تحت ضغط حتى أصاب بالفزع الشديد ولا أستطيع التحكم في أعصابي، لذا كان عليهم توفير مناخ جيد لتأدية عملي حتى وإن تم نسب عملي المجهد إلى أشخاص آخرين، لم يكن ذلك يزعجني طالما هذا الأمر يبعدني عن الضغط والتوتر العصبي.

في بداية عملي في مبنى البحث الجنائي لاقيت العديد من حالات التنمر خصوصا لأنني أصلع الرأس، أو أنني من أقوم بحلقه بتلك الطريقة وقد كان لي أسبابي لفعل ذلك، وأرتدي نظارة كبيرة الحجم وملابسي قماشية فضفاضة لا تنم عن سني الذي لم يتعدى منتصف الثلاثين، ناهيك عن أمر عدم الحديث للنساء أو حتى الاقتراب منهم، لقد اكتسبت أسماء شهرة بالمكان ك "ونس توتر" و"جدو ونس"، ولكن بعد فترة وبعدما اكتسبت ثقة الجميع وأصبحوا يعتمدون علي في كل شيء، اختفى كل ذلك وتغيرت المعاملة إلى معاملة الاحترام، كنت شخص مميز ذو معاملة خاصة.

كانت الأمور مستقرة في عملي نوعا ما حتى بدأت قضية سفاح ستوكهولم، حينها انقلبت الأمور رأسا على عقب.

٤

في منزل الصحفية أمينة وعلى فراشها تجلس القرفصاء وأمامها حاسوبها، ظلت عيناها متسعة لساعات لا تصدق ما يحدث، آلاف التعليقات ومئات الرسائل على المنشور التي نشرته قبل نومها، لم تكن تتخيل أن يحدث ذلك لها، كان هنالك سيل من التعليقات المختلفة بعضها يناشدها على الاستمرار في البحث وراء ذاك الطبيب وكشف جرمه أمام الناس والبعض الآخر يتهمها بالنصب والادعاء الكذب بما تقوله وأنها ستسجن بما نشرته واتهامها لدكتور هادي.

بدأ الرعب يتسرب إلى قلبها فهي لم تعتقد أن الأمر سينتشر هكذا، لقد نشرت هذا المنشور لحظة غضب بعدما تم إهانتها من كبير المحققين ولكن ليس هناك عدول عمَّا حدث فقد أصبح منشورها حديث مواقع التواصل الاجتماعي الآن.

جال بخاطرها العديد والعديد من الأفكار، فهل تقوم بمسح المنشور ومحاولة التراجع عمَّا فعلت، أم تكمل الأمر على أمل أن يرسل لها مصدرها المجهول باقي الأدلة التي تدين ذاك الطبيب وحينها ستكون بطل قومي وستفتح لها جميع الأبواب المغلقة وتنال الشهرة ولكن جرس المنزل جعلها تخرج من حالة التفكير وجعل قلبها يخفق بشدة، فلقد ظَلَّ الجرس يرن دون انقطاع وهي مازالت خائفة لا تقوى على النهوض من فراشها.

قاومت أمينة حتى وصلت للباب وما زال صوت الجرس يرن دون انقطاع، فطلت بعينيها من العين السحرية لتجد مساعدي شرطة يقفون خلف الباب يرنون الجرس دون انقطاع فلم تتمالك نفسها وبدأ جسدها يرجف بشدة وهنا بدأ المساعدون يستخدمون أيديهم في الطرق على

الباب حتى خرج أحد الجيران من صوت الطرق ليسألهم عمَّا يفعلونه فأجابه أحد المساعدين:

- أليس ذلك منزل الصحفية أمينة سعيد؟

فأجابه جار أمينة:

- نعم، ولكنها تذهب إلى عملها في الصباح الباكر.

هنا توقف المساعد الآخر عن الطرق وقال لزميله:

- هيا بنا إذا، ستأتي بها الدورية الأخرى التي ذهبت لها.

كل ذلك كان تحت مسمع أمينة التي تقوقعت خلف الباب وبدأت الدموع تتسرب منها شيئًا فشيئًا، حتى أنها لم تدرك ماذا تفعل حينها، لقد أوقعت نفسها في ورطة كبيرة وهي لم تكن مستعدة لها.

ظلت أمينة على الأرض لفترة حتى نهضت بسرعة تركض إلى غرفتها وأمسكت بحاسبها المحمول لتقوم بمسح المنشور، لقد قررت أن تتراجع وتحاول معالجة الأمر ولكن هنالك جانب آخر يجب إصلاحه فيبدو أن هنالك من تقدم بشكوى ضدها وأصبحت مطلوبة للضبط والإحضار.

تواصلت أمينة مع أحد المحامين المقربين لعائلتهم لتسأله عمَّا تفعله في ذلك الأمر فأخبرها بالانتظار حتى يحصل على معلومات عن مقدم الشكوى وأيضًا أمرها بألا تفعل أي شيء بدون استشارته حتى لا تزيد الطين بلة وبالفعل ظلت أمينة في شقتها وهي تعلم أنه مجرد وقت حتى يكتشفوا أنها لم تذهب للعمل وسيعودون مجددًا لمنزلها ولذلك ظَلَّ التوتر يزداد لديها حتى بدأت تقضم أظافرها وسال الدم منهم.

لم ترد أمينة على كمية المكالمات التي تأتيها والأرقام الغريبة التي تهاتفها ولا الرسائل التي لا تتوقف عن الوصول إليها بالرغم من أنها قامت بتوقيف حسابها على مواقع التواصل إلا إنهم قد وصلوا إلى رقم هاتفها، ظلت هكذا حتى قام المحامي بالرد عليها فقامت بالإجابة بسرعة ليخبرها أن مقدم البلاغ هو كبير المحققين ببلدة الحسانة و الطبيب هادي همام والأمر ينال أهمية كبيرة نظرا لانتشاره الذي حدث في ساعات قليلة ويجب عليها الحضور للإدلاء بأقوالها في مكتب كبير القضاة بسرعة، هنا علمت أمينة أنها لن تخرج سالمة من ذلك الأمر ولكن المحامي طمأنها وأخبرها أن تقابله ليخبرها بما تفعله وسيرافقها بعدها إلى مكتب كبير القضاة وطلب منها أن تقوم بمسح كل شيء يورطها على مواقع التواصل الخاص بها.

بسرعة عادت أمينة لتفتح مواقع التواصل الخاص بها لتمسح كل شيء عليه ولكنها ما إن فتحت الصفحة الرئيسية حتى وجدت فيديو يتداوله الجميع ولقد كانت على علم بصاحبة تلك الفيديو فقامت بفتحه لترى محتواه.

"أنا الفتاة التي قامت الصحفية أمينة سعيد بنشر صورتي مدعية أنني كنت حامل بطفل ما وأنني قمت بولادته وبيعه للطبيب هادي همام، أريد أن أوجه حديثي له وأدعو عليها لما سببته لي ولأهلي من ادعاءات كاذبة تخص شرفي وشرف عائلتي، أنا لم اتزوج من قبل ولم أحمل ولم أقابل الطبيب هادي همام في حياتي، أما عن تلك الصور فهي مزيفة وليست لي ولا أعلم من أين أتت بها وسأقدم بلاغا في الشرطة أتهمها بكل شيء ولن أتركها إلا وهي في السجن".

نظرت أمينة إلى شاشة الحاسوب وقد شعرت أن صاعقة قد اخترقت السماوات باحثة عنها لتضربها على رأسها.

٥

داخل أحد مكاتب كبير القضاة تجلس أمينة ومعها محاميها الخاص، كان رجل مُسن ذو ظهر منحني، ظل حاملا ملفات قضاياه على يده لا تفارقه طوال التحقيق، كانت علامات التعب والشقاء جلية واضحة على وجهه، وأمامهم جلس وكيل كبير القضاة يملي الكاتب بتقرير الاستجواب الذي تم.

- قد أمرنا نحن وكيل كبير القضاة بإخلاء سبيل السيدة أمينة عبد العزيز جمال سعيد وشهرتها أمينة سعيد بضمان محل إقامتها مع التعهد بعدم مغادرة البلاد والحضور عند الطلب حتى تنتهي باقي التحقيقات والتأكد من أنه قد تم سرقة الحساب الخاص بها على موقع التواصل الاجتماعي والذي تم منه نشر أخبار للعامة دون إرادتها قد أثارت الرأي العام، وذلك استنادا على المحضر الذي قدمته الأستاذة أمينة بمباحث الإنترنت برقم ١٨٢٣٤ يفيد أنها قد تم سرقة الحساب الخاص بها واستخدامه استخدام سيء.

ثم أكمل وكيل كبير القضاة المحضر وأمر الكاتب بالانصراف وهنا نظر إلى أمينة قائلًا:

- القضية لم تنتهي بعد أستاذة أمينة وبمجرد صدور تقرير إدارة جرائم الإنترنت ستكتمل إجراءات القضية.

نظرت أمينة إلى وكيل النيابة وأومأت له فقد كانت كل أمانيها أن تخرج من ذلك المكان بسرعة، لم تستطع أن تتنفس بشكل طبيعي فكانت تشعر بأن شيء يطبق على صدرها يمنعها من استنشاق

الأكسجين من الهواء، ما إن رأت محاميها ينهض من الكرسي حتى سبقته إلى باب الغرفة تستعد للخروج ولكن صوت وكيل النيابة أوقفها ليخبرها:

- أستاذة أمينة، لو لديك دليل قوي يثبت الأمر المتداول فأنا أستطيع مساعدتك وإلا ستكونين في ورطة كبيرة.

أومأت له أمينة دون أن تتحدث بكلمة وأخذت تنظر لمحاميها نظرات استحثاث وكأنها تخبره "لتخرجني من هنا حالا".

٦

جلس الطبيب النفسي رأفت سليمان ناظرا إلى ماهر الذي أخبره للتو أنه يرى الموتى، وليس ذلك فقط بل إنه قد ارتكب جرائم قتل حقيقية.

- هل يمكنك توضيح أمر رؤية الأموات لي؟

- أستطيع رؤية الموتى بمجرد النظر إلى قاتلهم.

سادت الدهشة على وجه د. رأفت وهو يعتدل في جلسته موليا اهتمام أكبر لماهر:

- هل يمكنك التوضيح أكثر؟

- حسنا سأشرح لك ماذا حدث منذ البداية.

بدأ ماهر في سرد قصته إلى د. رأفت حيث بدأ الأمر وهو صغير عندما كان في المرحلة الابتدائية. توفيت أمه بسبب غيبوبة سكر، هكذا أخبره والده، لكن عند خروجهم من المقابر بعد دفنها وعندما كان ينظر ماهر إلى وجه أبيه الذي كان يبكي وجد أمه تظهر بجانب أبيه وهي تبكي تحدثه " لا تصدقه يا ماهر، لقد أخفى عني جرعات الإنسولين وقد ترجيته لإعطائها لي ولكنه قال لي هذا جزاءك لعدم إعطائي ميراثك".

لم يكن ماهر يعلم معنى كلمة ميراث حينها ولكنه بات يعرف من قتل أمه، حتى أنه واجه أبيه بالأمر وأخبره ما حدث فانهال عليه بالضرب وقام بحبسه بغرفته لمدة طويلة تجاوزت الشهور، كان يحرمه من الطعام لأيام ويوجه له الركلات والضربات بشكل يومي دون رحمة وهو

يسبه ويسب والدته المتوفاة، لذا عند أول فرصة للفرار من ذلك الجحيم هرب ماهر من منزل أبيه ولم يعد له مجددًا.

كانت خطة ماهر أن يهرب ويذهب إلى بيت خالته، هي الوحيدة التي كانت تحبه وكانت تسأل دائما عنه وعن أمه في حياتها، ولكنه لم تعد تأت للمنزل منذ وفاة أمه، بالتأكيد والده هو من منعها من القدوم للمنزل، لكم رأى ماهر المشاحنات التي كانت تحدث بين خالته ووالده دفاعا عن أمه التي كانت مريضة لا تقوى على مناطحة والده المدمن الذي كان يسرق أموالهم دوما، وإن لم يحصل على أمواله فكان مصيرها الضرب والسباب.

خرج ماهر للشارع وهو لا يعلم كيف سيذهب إلى خالته، ظَلَّ يطرق الشوارع والطرقات أملا في أن يتعرف على بيتها ظنا منه أن بيتها قريب منه ولكنه أصبح تائه لا يعرف أين يذهب وفي النهاية وجد نفسه نائما في الطريق دون مأوى أو مأكل.

مرت أيام على ماهر في الشارع حتى تم الإمساك به بواسطة الشرطة وحينها زيف بياناته، لم يرد أن يعود إلى والده مجددًا، كان كل ما يعرفه هو اسم خالته واسم صاحب المتجر الموجود أسفل منزلها حيث اعتاد شراء السكاكر منه.

انتهى الأمر بإيداعه في أحد دور الأيتام لحين التحقق من ذويه، وهناك بدأت حياة جديدة تمامًا بدون خالته ولكنها في المقابل بعيدة عن والده وبطشه، وظل بالدار حتى كبر وتفوق في دراسته حتى التحق بكلية الهندسة وأصبح مهندسا معماريا يعمل لدى أكبر الشركات.

- هل تواصلت مع والدك خلال تلك المدة، أو عرفت أي شيء عنه؟

- توفي بجرعة زائدة. بعدما أنفق ميراث والدتي بأكمله.

قالها ماهر بكل جمود وكأنه لا يأسف لوفاة والده.

- ماذا عن خالتك، هل تواصلت معها؟

- نعم، لقد قمت بزيارتها ولكنها لم تكن زيارة جيدة.

- لماذا؟

- لأنني قابلت ابن خالتي طبيب الأطفال الشهير د. هادي همام هناك وحينها عادت لي القدرة على رؤية الأموات بعدما ظننت أنها اختفت.

- ماذا رأيت عندما رأيته؟

- رأيت أطفال رضع يبكون.

٧

قسم شرطة غرب العاصمة

منتصف الليل

دخلت إحدى السيدات إلى القسم ومعها أحد الأشخاص يحمل معه حقيبة سوداء، كانت تلك السيدة ترتدي زيا فخما متناسقا مع جسدها الفارع، كانت خطواتها قوية متزنة رغم ارتدائها لحذاء بكعب رفيع، كل من رآها في القسم اضطر إلى الوقوف احتراما لها ظنا منهم أنها شخصا ذو منصب كبير ولكنها كانت د. هند ناصف زوجة د. هادي همام وقد جاءت مع المحامي الخاص للقاء رئيس المحققين.

ظلت السيدة تسير داخل أروقة القسم متبعة توجيهات المحامي دون أن يستوقفهم أحد حتى وصل المحامي إلى غرفة الضابط النوبتجي فطرق الباب ودخل دون أن يلقى الإجابة.

كانت علامات الصرامة تتجلى على وجه المحامي الذي طلب من الضابط مباشرة مقابلة كبير المحققين على وجه السرعة، ونظرا لهيبة د. هند وقوة شخصيتها التي ظهرت عليها دون أن تتحدث فجعلت ذاك الضابط وبدون نقاش يتجه إلى مكتب رئيس المحققين يخبره بالأمر ولم يدم الأمر كثيرًا حتى عاد يخبرهم بالدخول.

دخلت د. هند والمحامي إلى غرفة كبير المحققين الذي وقف تلقائيا من على كرسيه ما إن رأى د. هند وهنا بدأ المحامي بالتعريف بهم:

- د. هند ناصف، كبيرة أطباء العاصمة وأنا المستشار جمال نور الدين محامي العائلة.

قام كبير المحققين بالترحيب بهم وأخبرهم بالجلوس وطلب أحد السعاة لتقديم المشروبات لهم، فاستوقفه المحامي:

-لا داعي لذلك نحن هنا في أمر عاجل.

سأله رئيس المحققين في ترقب:

- وما هو الأمر العاجل؟

- نريد تقديم بلاغ آخر ضد الصحفية المدعوة أمينة سعيد.



وصلت أمينة إلى منزلها بعد يوم عمل شاق، يوم آخر مر بكل مصاعبه دون أن تحصل على مقابل مادي جيد أو حتى أن تسمع كلمة شكر من رؤسائها بعد وقوفها ليوم كامل في الشوارع تغطى أحداثا مختلفة، بالكاد قامت بتغيير ملابسها وتغذت على بواقٍ بعض الأطعمة التي كانت في الثلاجة منذ فترة لا تعلم مدتها ولكنها ارتضت بحالها وانتهت وتوجهت للنوم.

طُرق الباب فجأة بقوة لم تجعل أمينة فقط هي من تستيقظ، بل جعلت كل سكان العمارة ينهضوا من أسرتهم ليستكشفوا ماذا يحدث. انتفضت أمينة من سريرها وقلبها ينبض بقوة وهي خائفة مما يحدث ولكن استمرارية طرق الباب لم يجعلها تفكر أو تجد طريقة أخرى إلا أن تتوجه إلى باب منزلها وهي ترتعش خائفة وبصوت ناعس منتحب أجابت على الطارق:

- من؟

هنا جاءها صوت غليظ من خلف الباب قائلًا:

- شرطة، نحتاجك بمكتب التحقيقات.

هنا بدأ الرعب يزداد في قلب أمينة وبدأ عقلها يخبرها بما قد قامت به مؤخرا تجعل الشرطة تزورها في الساعة الثالثة فجرا فلم تجد شيئا. حينها ردت أمينة من خلف الباب:

- هل يمكنني الحضور صباحا؟

فجاءها الرد في صورة طرق أقوى متسارع، الأمر الذي جعلها تجيبهم مسرعة:

- حسنا، سأرتدي ملابسي وآتي معكم.

- نحن بانتظارك، ولا تفكرين بالهرب المكان يعج بالشرطة.

هنا علمت أمينة أن الأمر خطير وأنها واقعة في مشكلة كبيرة ولكنها لا تعلم ما هي.

دخلت أمينة إلى غرفتها تحاول ارتداء ملابسها وهي تقوم بالاتصال بالمحامي الخاص بها عدة مرات لتوقظه من النوم وفعلًا بعد عدة محاولات رد عليها بصوت نائم مذعور يسألها عن سبب اتصالها فأخبرته بما يحدث لها وأنها متجهة إلى مكتب التحقيقات، فأخبرها بأنه سيلحق بها هناك.

أكملت أمينة ارتداء ملابسها واستعدت للخروج من منزلها لتفتح الباب لتجد اثنان من مساعدي الشرطة ينتظرونها ويبدو على وجههم الصارم أنهم لن يتهاونوا معها وهذا ما حدث بالفعل فتقدم أحدهم يمسكها من يدها ويدفعها للنزول من على السلم وهي تحاول أن تسألهم عن سبب أخذهم لها وهي تحاول كسب تعاطفهم بنظراتها المسكينة ولكن دون أن تلقى أية إجابة منهم، وما زاد الأمر صعوبة هو نظرة السكان لها الذين استيقظوا جميعا ليشاهدوها وهي تُدفع على الدرجات بواسطة قوات الشرطة.

دخلت أمينة إلى قسم العاصمة لتجد أحد الضباط يتجه إليها ويخبر أحد المساعدين باصطحابها إلى الزنزانة الخاصة بالمكتب، هنا انفجرت أمينة في البكاء ولم تعرف ماذا تفعل حينها وبالرغم من بكائها

الشديد إلا ذلك لم يمنع مساعد الشرطة من أخذها إلى الزنزانة فحاولت أمينة الرجوع إلى الضابط تسأله في ضعف شديد:

- ماذا فعلت لذلك؟

أجابها الضابط بحزم شديد:

- أنت متهمة باختطاف دكتور هادي همام.

توقفت أمينة عن البكاء فجأة ونظرت باندهاش شديد إلى الضابط قائلة:

- هل اُختطف د. هادي؟

٩

علم أصدقاء أمينة في الجريدة بأمر احتجازها وأمر اختطاف د. هادي أيضًا فتجمعوا أمام مبنى التحقيقات حيث تم احتجاز أمينة وبدأوا في تغطية تلك الأحداث، حينها بدأ الخبر في الانتشار وأصبح يتصدر اهتمام الجميع.

كانت الساعة السابعة صباحا عندما أتاني اتصال هاتفي من النقيب حسين:

- ونس، جيد أنك مستيقظ. لتأتِ إلى الإدارة حالًا نحتاجك في أمر هام.

- ولكن لدي أمر خاص سأقوم به أولًا.

- لتلغِ كل شيء وتحضر على الفور ولا تتأخر.

كانت تلك المكالمة أمام أختي ريم التي وعدتها أن أقلها إلى عملها لأن سيارتها كانت تفوح منها رائحة كريهة وتحتاج للتنظيف ولكن مكالمة النقيب حسين جعلت الوعد يذهب أدراج الرياح.

- لا يهم، سأذهب إلى المشفى بسيارة أجرة، لا تقلق بشأني فلتذهب أنت لعملك.

كانت أختي ريم تعمل بإحدى مستشفيات العاصمة، كانت طبيبة جراحة، من أنبغ الأطباء وأكثرهم حبًّا لعملها، كانت توأمي التي تكبرني بعشرين دقيقة ولكنها كانت بمثابة أمي بعد وفاة أمنا ونحن في المرحلة الجامعية.

لم تتذمر ريم مني لعدم توصيلها لعملها، ولم تتذمر مني من قبل على الرغم من أفعالي الغبية التي كنت أفعلها ونحن صغار فكما أخبرتكم، لقد عينت نفسها درع الحماية الخاص بي الذي يحميني من العالم الخارجي مثلما كانت تفعل أمنا معنا، لذا اعتذرت منها واعدا إياها أن أتولى أنا أمر تنظيف سيارتها بعد عودتي من العمل وحينها غادرت المنزل متجها إلى العمل.

كنت أعيش أنا وريم في الفيلا الخاصة بوالدنا بعدما قمنا بورثها، لقد توفى وترك لنا مبالغ طائلة لم نكن نعلم أنها بتلك الحجم، ظلت شركات أبي تدر علينا الأرباح دون التدخل في إدارتها وأكمل كلا منا حياته الطبيعية، أنا كمهندس اتصالات أعمل في مجال تحليل البيانات وأختي ريم كطبيبة جراحات دقيقة.

بالنسبة لي فأنا لم اتزوج، أما ريم فهي تمكث معي في الفيلا منذ رحيل زوجها عنها، لقد كانت في حالة نفسية سيئة حينها وكان يجب علي التدخل والوقوف بجانبها حتى تمر من تلك المحنة، لذا فقد آوانا منزلنا القديم مجددًا ولكن بدون وجود والدانا.

دخلت إلى العمل لأجد النقيب حسين يندفع إلى مكتبي.

- ونس، أريد كل البيانات الخاصة المتعلقة بالصحفية أمينة وأيضًا كل المعلومات الخاصة بالطبيب هادي همام.

بدأت في العمل ولم يستغرق الأمر مني كثيرًا حتى جهزت له كل المعلومات المتاحة لتقديمها إلى اللواء فتحي لعرضها عليه.

- هل يمكنك إعطائي ملخص سريع عن ذلك التقرير، أم تريد القدوم معي إلى اللواء فتحي وتسهل علي الأمر؟

توجست خيفة منه وأشرت برأسي غير محبذا تلك الفكرة وبدأت في شرح ما جاء في التقرير.

- د. هادي همام آخر مكان كان يتواجد به كان بالقرب من عيادته الخيرية ببلدة الحسانة وبعدها فقدت إشارة هاتفه ولم تعمل مجددًا، سيارته لم تغادر العيادة، لا يوجد أي تفاعل له على مواقع التواصل الاجتماعي ولا يوجد روابط إلكترونية تجمعه بالصحفية أمينة سعيد، فقط تلك القضية المستمرة هي الرابط الوحيد بينهم.

- ماذا عن سجل مكالماته السابقة؟

-هنالك رقم قد اتصل به قبل اختفاؤه بنصف ساعة ولكنه مسجل باسم سيدة متوفاة.

اندهش حسين وأخبرني بتظليل ذلك الرقم وأخذ التقرير ليذهب إلى اللواء فتحي فاستوقفته أخبره:

- سيدي، هنالك رقم آخر حاول د. هادي محادثته كثيرًا ذلك اليوم ولكنه لم يستطع الوصول إليه.

- رقم من؟

- رجل يدعى محمود الدريني، وهو شيخ بلدة الحسانة.

فتوقف حسين وعاد إلي يسألني:

- هل وضعت كل المعلومات التي تخص ذلك الشخص في التقرير؟

- نعم، ولكن هنالك محضر محرر باختفائه هو أيضًا منذ يومين.



دخل المحامي الخاص بأمينة إلى مكتب التحقيقات ليجدها في الزنزانة ليتفاجأ بما يحدث ويتجه إليها يسألها عمَّا حدث لتجيبه وهي متوترة:

- تم اختطاف د. هادي ويتهمونني بأنني من فعلتها.

سادت الدهشة على وجه المحامي الذي لم يستوعب ما قيل ولكن أمينة سارعت بسؤاله:

- إلى متى سأظل سجينة هكذا؟

أجابها المحامي:

- سيتم عرضك على القضاء، لكن لا تقلقي سيتم إخلاء سبيلك بعدها.

- كيف سيتم إخلاء سبيلي بعد العرض على القضاء؟

- يبدو أن أحدهم قد وجِّه إليكِ الاتهام بسبب تلك القضية الأخرى مع د. هادي ولكن طالما لا يوجد دليل مادي ضدك فسيتم إخلاء سبيلك حين تنتهي التحقيقات.

ثم أكمل المحامي:

- اتركيني بعض الوقت سأبحث في الأمر لأعرف من قدم ذاك البلاغ.

تحرك المحامي عدة خطوات ولكنه توقف فجأة وعاد مجددًا لأمينة يسألها:

- أنت لم تخطفيه فعلًا، أليس كذلك؟

رمقته أمينة بنظرة حانقة من خلف الزنزانة فرحل المحامي وظل يبحث في الأمر يسأل عن مقدم البلاغ في موكلته حتى علم بالأمر وعاد إلى أمينة يسألها:

- أين كنتي بالأمس الساعة التاسعة مساءً؟

- كنت في الجريدة نغطي حادثة حريق شركة البلاستيك وأنهينا العمل الساعة الثانية صباحا.

- هل كان معك أحد؟

- نعم، كل الصحفيين كانوا معي.

هنا ابتسم المحامي في وجهها قائلًا:

- يا لحظك السعيد.

بعد ساعات تم ترحيل أمينة إلى مكتب كبير القضاة وكان معها المحامي الذي استطاع جلب زملائها الصحفيين للإدلاء بشهادتهم وحجة الغياب الخاصة بها وبالفعل سار الأمر بيسر وتم سؤال أمينة عن علاقتها بـ د. هادي وسبب الاتهام الموجه إليها من د. هند زوجة د. هادي.

كانت إجابة أمينة أنها لم تلتقي أبدًا بد. هادي وأن القضية التي رفعها ضدها مازالت قائمة وأن جميع محاولات التواصل بينهم تتم بين المحاميين وأنها لم تكن تعلم أمر اختفائه إلا عندما تم اصطحابها إلى مكتب التحقيقات.

خرجت أمينة من مكتب كبير القضاة لعدم وجود دليل ضدها كما أن لديها حجة غياب قوية، ولكنها كانت تعلم أن المشاكل لن تتوقف عند هذا الحد فلقد تم نشر خبر اختفاء د. هادي على جميع الصحف ولم يكتفوا بذلك بل أضافوا أمر احتجازها بأحد الأقسام كمتهمة بعملية اختطافه.

أما القضاء فقد أمر ببدء تحقيق موسع في أمر اختفاء د. هادي وإحضار كل ذي صلة به للتحقيق معه بعدما حصلت القضية على اهتمام كبير بعدما تم إعادة ربطها بما حدث منذ أقل من شهر بسبب ما تم نشره بواسطة أمينة.

وصلت قوات من البحث الجنائي ومكتب كبير القضاة إلى منزل د. هادي للبحث في أي شيء قد يفيدهم في البحث عنه وقد وصل لهم تقرير بعدم تواجده في أي مشفى أو أي مبنى تابع للشرطة أو حتى تم الإبلاغ عن جثة مجهولة حتى وقت بحثهم، كل ما كانوا يعرفوه أنه أنهى عمله وخرج لمقابلة أحد الأشخاص ولم يعد.

جلست الممرضة الخاصة بعيادة د. هادي الخيرية أمام وكيل كبير القضاة.

- هل تعرفين إلى أين ذهب د. هادي بعد انتهاء عمله؟

- لا، هو لا يخبرني، هو يأتي إلى العيادة في موعد محدد دائما ويغادر مع خروج آخر مريض من العيادة.

- هل قابل شخصا غريب في الآونة الأخيرة؟

- لا، كل المرضى من أهل بلدة الحسانة أنا أعلمهم، لم يكن هناك شخص غريب.

- هل يأت الشيخ محمود الدريني كثيرًا إلى العيادة؟

- نعم، هو صديق د. هادي وهو من أقنعه بالقدوم إلى بلدة الحسانة لفتح عيادة هناك، الشيخ محمود رجل صالح محب للخير والجميع يحبه.

- هل هنالك أي شيء غريب حدث في الفترة الماضية في العيادة، أو أتى شخص غريب يسأل عن د. هادي؟

صمتت الممرضة قليلًا قبل أن يتبادر لذهنها شيء ما.

- نعم، الأستاذ ماهر حميدة، مندوب شركة الأدوية.



جلس ماهر أمام د. رأفت طبيبه النفسي الذي كان يدون بعض الملاحظات في المفكرة التي في يده، لم يمض الكثير حتى أنهى ما كان يفعله ثم نظر إلى ماهر يحدثه:

- هل من الممكن أن تحكي لي ما حدث مع د. هادي؟

بدأ ماهر في سرد ما حدث وبزيارته لخالته بعد سنين عديدة من البحث والسؤال عنها ولكنه في النهاية استطاع أن يصل لها، عندما رأته خالته كانت في غاية السعادة وظلت تقبله لكثير من الوقت وبدأت في البكاء، لقد عادت بالزمن وتذكرت أختها الصغيرة التي توفيت في عمر مبكر بسبب زوجها، لم تكن تعلم تلك الموهبة التي يمتلكها ماهر ولم يستطع ماهر إخبارها بأمر إخفاء الإنسولين عن أمه فهو لم يستطع الوصول إليها حينها ولكنها كانت على يقين بأن زوج أختها كان له سبب رئيسي في موتها.

شعر ماهر بدفء كبير من مقابلته لخالته وشعر بحنين للماضي والحب الذي كان يلقاه من والدته وخالته حينها، لذا فتح قلبه لخالته وحينها ولأول مرة منذ إخبار والده بموهبته قرر ماهر أن يخبر خالته بها ولكنه شعر بأمر غريب.

ما إن أخبر ماهر خالته بالأمر حتى تحول وجهها وبدأت تشعر بالتوتر الشديد وانطفأت حرارة لقائهما وظلت تتحدث بطريقة غير مرتبة وكأن شيء ما بها.

لاحظ ماهر الأمر وظن في البداية أنها خائفة منه مما قاله فهذا الأمر لا يصدر إلا من شخص مجنون ولن يصدقه أي عاقل، فندم ماهر على إخبارها بذاك الأمر وحاول التحدث في أمر آخر فسأل عن ابن خالته د. هادي همام الذي أصبح مشهورا ومتميزا في مجاله ولكن ما إن تم ذكر اسمه حتى انتفضت خالته وهي تصيح بصوت عال:

- لم يعد يأت إلى هنا منذ زمن، لقد قطع علاقته بي ولا أعرف عنه شيء.

تعجب ماهر من طريقة حديث خالته التي أصبحت عدوانية حتى معه، لم تكن كذلك منذ دقائق مضت، هل فقدت رباطة جأشها بما حكاه وأيقنت بأنها بصحبة مريض نفسي قد يقتلها؟، كان الأمر مريبا بالنسبة لماهر الذي علم أن تواجده غير مرحب به فقرر الرحيل فوافقت خالته في الحال دون اعتراض وقادته سريعًا إلى باب المنزل.

ما إن فتحت له الباب حتى وجدت سيارة د. هادي تركن أمام البيت فسرت منها شهقة لا إرادية، هبط هادي من سيارته وتقدم متجهما لرؤية أمه في تلك الحالة مع رجل غريب.

- ماذا يحدث يا أمي؟، ومن هذا الرجل؟

مد ماهر يده ليصافح هادي ابن خالته وهو ينظر إلى هؤلاء الرضع الذين يظهرون فوق كتفيه يبكون وهو يعلم أن هنالك من يراهم هو الآخر ولكنه لا يستطيع البوح بالأمر.

نظر ماهر إلى خالته التي سالت من عينيها الدموع وهو يرمقها بنظرة غضب يصاحبها الدهشة، لقد وجد من يشاركه تلك الموهبة.



١٢

وجِّه د. رأفت سؤاله إلى ماهر:

- هل تعتقد أن خالتك لديها نفس قدرتك وأخفت عنك الأمر لحماية ابنها؟

- هل لديك تفسير آخر؟

- وماذا فعلت بـ د. هادي حينها؟

نهض ماهر من كرسيه وأخرج "فلاشة" واتجه إلى التلفاز الموجود بالمكان ووضعها به وطلب من د. رأفت تشغيلها فأمسك د. رأفت جهاز التحكم وفتح التلفاز ليبدأ مقطع فيديو لشخص يجلس على كرسي في منتصف غرفة فارغة، كانت غرفة ليست بغريبة في تجهيزها على د. رأفت، ظَلَّ عداد الثواني يمر ويبدو على الشخص الجالس على الكرسي التعب الشديد، كان يرتدي جلبابا أبيض ولكنه اختلط ببقع حمراء كبيرة متفرقة كانت تبدو كبقع الدماء، مد الرجل يده ليفك وثاق قدمه المربوطة بالكرسي وهو يمعن بنظره إلى مكان معين بالغرفة، ظَلَّ الرجل مثبتا نظره على ذلك المكان حتى ظهر نمر ضخما ينقض عليه يفترسه.

انتفض د. رأفت من كرسيه وهو يوجه جهاز التحكم إلى التلفاز يغلقه بسرعة وهو مذعور، ونظر إلى ماهر الذي ظَلَّ في كرسيه دون أن يتحرك حركة واحدة، حاول د. رأفت جمع شتات نفسه وصوب يده ناحية التلفاز يسأل ماهر:

- هل ما رأيته للتو حقيقيا؟

- بالتأكيد. هذا محمود الدريني شيخ بلدة الحسانة.



وقف د. رأفت صامتا لما رآه وما سمعه من ماهر، لا يتخيل أنه يجلس مع مختل عقلي بذلك القدر في نفس الغرفة، فتحدث ماهر:

- لقد نال جزاء ما فعله، لقد تأكدت من الأمر، لقد رأيت الأطفال الرضع يبكون على كتفه هو أيضًا.

هنا صاح د. رأفت بصوت مرتفع دون أن يدري:

- تلك كلها أوهام، كل ما ترويه لي غير حقيقي، أنت مريض ويجب أن تتوقف عمَّا تفعله.

ما إن سمع ماهر ذلك الكلام حتى انفعل بشدة ونظر إلى د. رأفت بنظرات غضب وحينها أدرك د. رأفت ما فعله فانكمش في داخله وبدأ يأخذ خطوات للخلف عندما وجد ماهر ينهض من جلسته وهو يصيح:

- لماذا لا يريد أحد تصديقي؟، هؤلاء هم المجرمون ولست أنا، لم أؤذي شخصا مسالما أبدًا في حياتي.

ثم أمسك بمطفأة السجائر التي أمامه ورماها على التلفاز لتتهشم الشاشة تمامًا وسط خوف ورعب من د. رأفت الذي تراجع لينزوي في أحد أجناب الغرفة.

مرت حالة الغضب لدى ماهر وبدأ يهدأ شيئًا فشيئًا وهو ينظر عمَّا خلفه في الغرفة وهو يبحث عن د. رأفت ليعتذر له عمَّا فعل، وبالفعل حاول د. رأفت التماسك والعودة إلى كرسيه مجددًا وهو حذر لا يأمن ما سيحدث له.

جلس ماهر مجددًا على كرسيه وبدا أنه نادم عمَّا فعله للتو وتحدث لد. رأفت:

- أعتذر مجددًا لك، لم أقصد أن أفعل ذلك.

أجابه د. رأفت بصوت مكتوم:

- حسنا، لقد مرت بسلام.

- أريد أن أتلقى العلاج د. رأفت، لا أستطيع النوم بسبب التفكير في تلك الشخصيات التي تظهر لي.

- يجب أن تعترف أولًا أنه ليس هناك أشخاص، ولم يحدثك أحد للانتقام لهم، تلك هي أول خطوة للعلاج.

- هل مازلت لا تصدقني؟، هل قمت بقتل أشخاص لمجرد أنني أتوهم أشياء؟

- أخشى أن ذلك ما حدث فعلًا.

شعر ماهر بأنه سيصاب بنوبة غضب أخرى فنهض من كرسيه قائلًا:

- يكفي ذلك لليوم، لننهي تلك الجلسة.

نهض ماهر وهو متجه للمغادرة من الغرفة فنهض د. رأفت متحركا خطوات سريعة ليمسك قضبان حديدية فصلت بينه وبين ماهر وهو يحدثه بلطف:

- مهندس ماهر، متى سيمكنني الرحيل من هنا؟

استدار ماهر ليجيب د. رأفت:

- أنت ضيفي هنا د. رأفت، ولن ترحل حتى تقوم بعلاجي.

غادر ماهر المكان وهو يغلق باب حديدي كبير تاركا د. رأفت في غرفته ذو الأثاث الفاخر التي تشبه عيادته الخاصة ولكنها تنتهي بقضبان حديدية ضخمة مغلقة بواسطة قفل إلكترونيًا ضخما.

١٤

انتهى عملي في المكتب وعدت إلى المنزل لأعد طعام الغذاء مع أختي ريم، ولكن لم يمض الكثير حتى رن هاتفي، لقد كان النقيب حسين هو المتصل، بالتأكيد يريدني أن أعود إلى العمل لطالما فعل معي ذلك الأمر، أنظر إلى الهاتف وأنظر إلى ريم وحينها اتخذت قرارا جريئا لم يكن من شيمي وهو ألا أرد.

انتهت أول محاولة اتصال فتبعتها الأخرى فالثالثة، تنظر إلي ريم وهي تسأل:

- ونس!، ألن تجيب؟

- أعلم غرض الاتصال، لديه ثلاثة مهندسون آخرون ودائما يطلبني أنا لأعود إلى المكتب بعد انتهاء العمل.

- ألن يسبب عدم الرد مشاكل لك؟

- ليكن ما يكون، لن أرد.

انتهى الاتصال الثالث ليبدأ الرابع، فنظرت إلى ريم أحدثها:

- قد أضع نفسي في مشاكل حقا؟!

- فلتجب إذا.

أجبت الهاتف بسرعة وقد اصطنعت أمر اللهفة وأنا أرد فآتاني صوت النقيب حسين عاليا:

- ونس، لماذا لا تجيب على الهاتف؟

- عذرا، لقد كنت في ...

لم يتركني أكمل حديثي.

- أين وضعت التقرير النهائي الخاص بقضية د. هادي همام ومحمود الدريني، اللواء فتحي يريده حالًا.

- لقد تركته على حاسوب العمل وأخبرت مصطفى بمكانه قبل مغادرتي.

حينها سمعت وابل من التوبيخ لمصطفى الذي لم ينتبه لكلمة مما أخبرته بها كالمعتاد وبعد ثوان وجدت مصطفى هو من يحدثني يسألني عن مكان التقرير.

انهيت المكالمة بعدما حصلوا على ما أرادوا وتركوني أنهي إعداد الطعام مع ريم، قد أكون سببت بعض المشاكل لزميلي مصطفى وقررت الاعتذار له برسالة، ولكني كنت متأكدا أنني أخبرته بذلك التقرير لأنهم كانوا سيحتاجونه بالتأكيد.

كان التقرير يحوي معلومات أكثر تفصيلا عن كلا من د. هادي همام ومحمود الدريني شيخ بلدة الحسانة.

كان د. هادي همام طبيب متخصص في الجراحات الدقيقة للأطفال، ذائع الشهرة في العاصمة، الكل يشهد بمهارته الشديدة في تشخيص الأمراض وعلاجها بطريقة سليمة، كانت عيادته مكتظة دائما بالمرضى والحجز بها صعب للغاية وبأسعار باهظة، تم افتتاح عيادة خيرية له في بلدة الحسانة يتردد عليها مرة أو مرتين شهريا يقوم فيها

بعلاج الأطفال حيث لم يكن يتقاضى أتعابا نظير الكشف عليهم. وبالبحث وراء الأمر وجد أن هنالك شخص محبوب بالبلدة هو من جلب د. هادي للبلدة وتقديم خدماته لها لقد كان محمود الدريني شيخ البلدة وأيضًا هو أغنى أغنيائها وهو المسؤول الأول عن تقديم الخدمات الخيرية للبلد ورمز من رموزها.

بالبحث عن محمود الدريني وجد أنه حاصل على الشهادة الإعدادية، كان يعمل عامل أمن في إحدى مستشفيات مدينة دوارز قبل أن يترك عمله فجأة منذ سنين ويظهر مجددًا في قريته وأصبح رجل خير ويساعد أهل قريته بالأموال، وحين تم تفتيش منزله عثر على أموال طائلة مخبأة بعناية تقدر بالملايين بخلاف الأموال التي كانت لديه بالبنوك رغم أنه لم يكن لديه وظيفة محددة في الوقت الراهن أو أملاك سابقة قد تدير عليه كل تلك الأموال.

أنهى اللواء فتحي قراءة التقرير الخاص بد. هادي ومحمود الدريني وأمر النقيب حسين بمغادرة مكتبه وطلب حضور العقيد أحمد منير، كبير محققي مكتب البحث الجنائي بالإدارة المركزية بالعاصمة.

لم تمض دقائق حتى وصل العقيد منير وهو يؤدي التحية العسكرية للواء فتحي ويأمره اللواء فتحي بالجلوس.

- كيف حالك يا منير وحال مكتب التحقيقات؟

- على أحسن حال سيدي.

- حسنا لندخل في الأمر مباشرة، لقد طُلب منا أن تتولى الإدارة المركزية أمر التحقيق في قضية اختفاء د. هادي همام ومحمود الدريني شيخ بلدة الحسانة.

- نعم، لقد سمعت بالقضية ولكنها حدثت في مدينة بنزو وليست بالعاصمة، لِمَ تم تكليفنا بها؟

- لقد حصدت القضية على شهرة إعلامية كبيرة وذلك الطبيب مشهور للغاية، لذا صدر أمرا بإسناد القضية إلينا.

- حسنا سيدي.

- ستتولى أنت أمر التحقيقات بنفسك.

سادت الدهشة على وجه منير عندما سمع ذلك الحديث:

- أنا؟، أنا أُشرف على كل تحقيقات المكتب هنا.

- لا، أريدك أن تتفرغ لتلك القضية، كما أخبرتك أنها محط اهتمام لشخصيات هامة للغاية ويريدون حل الأمر سريعًا.

- حسنا سيدي.

- الأمر أكبر مما تتخيل يا منير ولا أعلم ما السبب، يجب أن تعثر على ذاك الطبيب ومعه ذاك الشيخ بأسرع وقت ممكن.

ازداد قلق منير وهو ينهض من كرسيه ويستأذن من اللواء فتحي للمغادرة للبدء في التحقيقات ليجد اللواء فتحي يحدثه:

- لتبدأ تحرياتك بتلك الصحفية المدعوة أمينة سعيد أولًا، إنها تعلم شيئا لا نعلمه.



عادت أمينة من الجريدة متأخرة ليلا وما إن دلفت من باب البناية حتى ركض عليها حارس العقار يستوقفها قائلًا:

- أستاذة أمينة، لقد ترك زميلك هذا المظروف لك وأخبرني أن أقول لك " أنت على حق".

وقفت أمينة مندهشة من الأمر وسألت البواب عن زميلها ذلك وهي تمد يدها تمسك الظرف تتحسس ما فيه فأجابها:

- هذه هي المرة الأولى التي أراه فيها ولم يخبرني اسمه، يبدو أنه كان على عجلة من أمره.

زادت الحيرة لدى أمينة التي أخذت المظروف وصعدت لمنزلها لتفتحه بمجرد دخولها لتجد شريط من نوع PAL8 الخاص بكاميرات التصوير القديمة، كانت تعرف نوع الشريط أشد المعرفة فقد كانت تلك أول كاميرا اقتنتها وهي صغيرة بعدما اشترت واحدة من سوق الإلكترونيات المستعملة وبدأت حينها رحلة التحقيقات الصحفية وهي ماتزال طفلة صغيرة تجري لقاءات صحفية مع أصدقائها.

تذكرت أمينة مكان كاميراتها القديمة التي ما تزال محتفظة بها، فأخرجتها من مكانها وهي تتذكر ذكرياتها معها وكلام صديقاتها لها أنها ستصبح أشهر صحفية في البلاد وستعمل في أشهر الصحف وسيكون لها برنامجها الخاص، فتنظر إلى حالها حاليا حيث تعمل مع جريدة ذات شهرة منعدمة وبراتب لا يكفي متطلباتها الأساسية بالإضافة إلى تلك القضايا التي تورطت بها مع ذلك الطبيب المختفي.

وضعت أمينة شريط الكاميرا وبدأت في عرضه من الكاميرا لتنتفض من مكانها وتصعق مما تراه، لقد كان شريط مصور ظهر به د. هادي همام يجلس على كرسي في منتصف غرفة فارغة ظَلَّ في ذلك الوضع لثوانٍ حتى وجدت نمرا ضخما ينقض عليه وينتهي الفيديو حينها. لتدوي صرخة كبيرة في منزل أمينة لرؤيتها ذلك المشهد، لا تعلم إن كان ما رأته حقيقيا أم لا، انتفضت حينها من جلستها وشعرت بخوف شديد، من أرسل لها ذلك التسجيل المصور؟ وهل هي في خطر هي أيضًا؟، ظلت تتلفت يمينا ويسارا تعتقد أن أحد معها في المنزل.

نهضت أمينة مسرعة إلى المطبخ تجلب سكينا وهي تنظر يمينا ويسارا خائفة لا تعلم من أين سيأتي الخطر وما إن جلبت السكين حتى عادت إلى سريرها مغلقة الباب خلفها منتظرة ما سيحدث.

مر وقت طويل ولم يحدث شيء فهدأت أمينة قليلًا وأخذت تفكر بالأمر وتذكرت كلام حارس العقار لها وهو يخبرها ما قاله مرسل الشريط له "أنت على حق"، ما مغزى تلك الكلمة، هل يقصد أن بالفعل د. هادي كان له عمل إجرامي مشبوه وقد كانت هي على حق، أم أنه يقصد شيء أكبر ويبارك لها على تحقيق صحفي كبير قد يجعلها من المشاهير؟

اقترب الفجر من البزوغ وأمينة مازالت جالسة على السرير تفكر بعدما جاءتها الشجاعة لمشاهدة الفيديو مجددًا، ظلت تعيده كثيرًا وتركز جيدًا بكل حركة فيه لعلها تصل لشيء ما يفيدها ولكن بدر في ذهنها أمر الشريط، إنه من نوعية PAL 8، شريط قديم الطراز للغاية يصعب التعديل عليه، هل هذا دليل على صحة ما فيه أم ما المقصد منه؟

ظلت أمينة تنظر إلى كاميرتها القديمة وتذكرت أحلامها المندثرة التي كادت أن تتخلى عنها، وحينها ألقت بنظرة لنفسها في المرأة التي أمامها وكأنها تجري حوارا بداخلها، كان حوارا محتدا فهي تناقش نفسها حول أمرا قد ينهي حياتها المهنية تمامًا أو سيجعلها من أشهر الصحفيين في لمح البصر.

أخرجت أمينة هاتفها وظلت تبحث عن رقم ما لتتصل به وما وصلت إليه وكادت أن تقوم بالاتصال تراجعت عن الأمر ثم عادت إلى سريرها وهي متوترة محملقة في ذلك الفيديو لا تستطيع أن تمنع التفكير في الأمر ولكنها فجأة اتخذت قرارها ونهضت لتغير ملابسها فهي تعرف أن هنالك زوار قادمون.

جلبت هاتفها وفتحت أحد مواقع التواصل الاجتماعي وضغطت على زر "بث حي".



١٦

كنت نائما في المنزل عندما جاءني اتصال من النقيب حسين وأيقظني من النوم، كانت الساعة الخامسة صباحا، تمنيت من أعماق قلبي أن يكون اتصال خاطئ ولكنه لم يكن كذلك.

- ونس، اللواء فتحي يريدك حالًا في المكتب.

لم يكن اللواء فتحي يعرفني من الأساس، ولكني كنت ملاذ النقيب حسين في كل العمل الذي يقدمه للواء فتحي، لم يكن يثق بأي شخص آخر بالمكتب سواي وقد كان ذلك نقمة بالنسبة لي.

- لماذا يريدني اللواء فتحي يا سيدي؟

- هنالك فيديو جديد لتلك الصحفية وسيسبب مشاكل كبيرة ونريد تحليله ومعرفة تفاصيله.

- المهندس محمود هو النوبتجي اليوم يا سيدي.

- لا، لا، لقد طلبك اللواء فتحي بالاسم، لتسأله بنفسك إن لم تكن تصدقني.

لقد كان يعلم بأنني بالطبع لن أسأله، ولن أدخل مكتبه إن انقلب العالم رأسا على عقب، ولكنه أجاد تهيئة الموضوع لي وجعلني في موقف لا أستطيع أن أعترض عليه.

- حسنا، سأنهض وأحضر إلى المكتب.

- أنا بالسيارة وفي اتجاهي إلى منزلك، سآتي لأقلك.

انتفضت من سريري فجأة وأنا أحدثه بلهفة:

- لا، لا تتعب نفسك، سأكون هناك قبل وصولك إلي.

انهيت المكالمة ونهضت مسرعا لأرتدي ملابسي على عجل وقد أحدثت بعض الجلبة التي جعلت أختي ريم تستيقظ فوجدتها تطرق الباب وتفتحه وهي ناعسة تسألني:

- ما الذي يحدث؟

- لقد نشرت الصحفية فيديو جديد ويريدوني هناك، لقد أراد النقيب حسين أن يأتي للمنزل ليقلني بنفسه.

- أها، وماذا أخبرته؟

- أخبرته ألا يأتي بالتأكيد، سأسرع أنا إلى المكتب.

رحلت من المنزل واتجهت إلى المكتب الذي بدا أنه كامل العدد والجميع في أهبة الاستعداد وكأن هنالك كارثة قد حدثت، قابلني العقيد أحمد منير كبير المحققين عند بوابة المبنى الرئيسية فاستوقفني:

- من أنت؟

- أنا المهندس ونس فريد، مهندس بإدارة جرائم الإنترنت سيدي.

فأجابني بصوت عال وهو يرمقني بنظرة غضب:

- وأين بطاقتك التعريفية؟

كنت قد نسيت إظهار الشارة الخاصة بالمكان، فأصبت بالتوتر وأنا أحاول إخراجها من سترتي لأريها له ولكنه لم يعرني انتباه لأن عربات شرطة كثيرة قد ملأت المكان وتوقفت أمام المبنى ليندفع العقيد أحمد منير باتجاهها وأنا أنظر من بعيد لما يحدث لأجده متوجه إلى إحدى السيارات وتخرج منها الصحفية أمينة سعيد وهي مكبلة بالأصفاد.



ما زال التوتر يتملكني، لقد صاح بي العقيد منير بشكل قوي وصريح، دخلت المكتب متجهما حزينا لأجد النقيب حسين أمامي وهو يركض في اتجاهي.

- لقد صنع محمود بعض التحاليل ولكننا نريد تحليل شامل منك يا ونس.

جلست على الكرسي لأبدأ العمل فلاحظ النقيب حسين التغير الموجود على وجهي فظن أن الأمر بسبب ايقاظه لي واستدعائي للعمل فأخبرني بصوت كظيم:

- أنت تعلم ماهية عملنا يا ونس ولقد طلبت الاستعانة بك لأنني أثق بك وأيضًا أنا أخبر اللواء فتحي دائما عنك وعن تفانيك في عملك.

نظرت إليه وقد علمت أنه قد فهم الأمر بطريقة خاطئة فأوضحت له:

- لا لست حزينا لقدومي، ولكن العقيد منير صاح بي وأنا في طريقي إلى هنا لعدم ارتدائي بطاقتي التعريفية.

تغيرت ملامح النقيب حسين حينها وظهرت ابتسامة خفيفة على وجهه.

- لا تحزن، لقد نال العقيد منير توبيخا مزدوجا من اللواء فتحي بسبب تلك الصحفية، أولًا بسبب ذلك الفيديو المنشور وثانيا بسبب

سوء تعامل أحد الضباط مع الصحفية أثناء جلبها إلى مكتب التحقيقات.

لم أكن أعلم تبعات الأمور ولكني على وشك معرفة كل شيء وأيضًا تحليلها والتنبؤ بما قد يحدث في الساعات القادمة.

بدأت العمل والبحث عمًّا حدث، لقد ظهرت أمينة في بث حي وأخبرت الجميع عن ذلك الشريط المصور الذي وصلها، وأظهرت كل محتواه وظهور د. هادي فيه وهجوم ذاك النمر عليه.

انتشر الفيديو انتشار النار في الهشيم واشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي به بالرغم أنه نُشر في وقت متأخر للغاية، حتى أن بعض الجرائد والمواقع الإخبارية بدأت في تناوله من منظورها الخاص، ظَلَّ الفيديو موجود على صفحة أمينة لمدة ساعتين قبل أن يتم حذفه بواسطة إدارة الموقع لمخالفته سياسة الموقع حيث كان يضم مشاهد عنف واضحة ولكن تلك المدة كانت كفيلة بتحميل المقطع بالملايين وإعادة نشره مجددًا في أماكن مختلفة، الأمر الذي وضع الشرطة في موقف لا تحسد عليه.

لم يكن هذا الفيديو يحتاج تحليلا فقد أحتل أكثر الفيديوهات رواجا قبل حذفه وكل ذلك في أقل من ساعتين فقط، تمت مشاهدته ومشاركته بين الملايين محليا وعالميا لذا كانت الأمور قد خرجت عن السيطرة ولكن كان هنالك فيديو آخر وأيضًا كانت بطلته الصحفية أمينة سعيد.

كان الفيديو يحتوي على تسجيل مصور للضابط الذي كُلف بإحضارها من منزلها إلى مكتب التحقيقات، أظهر الفيديو رد فعل الضابط العنيف وهو يقود أمينة للركوب إلى سيارة التحقيقات لتسقط

أمينة على الأرض ليجذبها بقوة مفرطة للنهوض ودفعها أمامه بعنف لتكمل طريقها لتتعثر مجددًا ويعاود ما فعله مجددًا في أمر أشبه بسحلها.

صُوِّر هذا المقطع بواسطة أحد الأشخاص وقام برفعه على صفحات التواصل ليلقى تعاطف العديد من رواد مواقع التواصل مع أمينة وحنق شديد تجاه تصرف الضابط تجاهها.

حاولت تحليل ذلك المقطع ومدى انتشاره فلاحظت أنه سيصبح رائجا قريبًا لارتباطه المباشر بالصحفية أمينة صاحبة الفيديو الرائج للد. هادي.

لم يمض الكثير حتى ظهر هاشتاج جديد يدخل في قائمة الأكثر رواجا، وقد جعل الأمور تتأزم أكثر فأكثر، لقد كان

#الحرية_للصحفية_أمينة_سعيد.



جلست أمينة على أحد الكراسي الخشبية الموجودة في مكتب التحقيقات وبجانبها أحد مساعدي الشرطة مكبلين بالأصفاد.

دخل محامي أمينة يركض داخل مكتب التحقيقات وهو يبحث عنها وما إن رأها حتى رمقها بنظرة لوم ممزوجة بحسرة لما يحدث لها، اقترب منها وهو يحدثها:

- مجددًا يا أمينة؟

- أنا لا أعلم ما سبب قدومي إلى هنا، لم ارتكب أية جريمة.

بدا على المحامي الانزعاج وهو يشير إليها بيديه الاثنين بأنه قد حنق من تصرفاتها وانصرف يبحث عن أي شخص يخبره عن سبب تواجدها هنا مجددًا وبالفعل لم يدم طويلا حتى عاد إليها وقد زادت ملامح اللوم على وجهه وهو يعاتبها قائلًا:

- الإنترنت مجددًا يا أمينة!

- بماذا أخبروك؟

- أنت متهمة بإثارة البلبلة ونشر أخبار كاذبة.

- أخبار كاذبة؟، لقد حصلوا على الشريط المصور منذ دقائق كيف تأكدوا أنه غير حقيقي؟

لم يشغل المحامي بالا بما قالته أمينة وطلب منها أن تتحرك جانبا ليقعد بجانبها وهو يحدثها:

- فلتخبريني ما حدث بالضبط كي لا أظل كالأطرش في الزفة.

بدأت أمينة في سرد ما حدث للمحامي وما إن كادت تنتهي حتى حدثت جلبة أمام القسم، لقد بدأ الصحفيون يتوافدون على مكتب التحقيقات لمعرفة ما سيحدث لأمينة بعدما أصبحت مشهورة الآن، حاول مساعدو الشرطة منع الصحفيين من الدخول والوصول إلى أمينة ولكنهم ما إن رأوها بطرقات القسم حتى زاد الهرج والمرج مما دفع العقيد منير لإدخال أمينة إلى غرفة التحقيقات ليخفف من حدة الموقف، كل ذلك بعث البهجة في صدر أمينة وهي ترى نفسها ذات شأن وبعث الذهول لدى المحامي الذي ظَلَّ ينظر إلى جمهرة الصحفيين وينظر إلى أمينة لا يصدق ما يحدث.

دخلت أمينة إلى غرفة التحقيقات ومعها المحامي الذي أخبرها أن تصمت ولا تتحدث إلا عندما يسمح لها حتى لا تزيد الطين بلة فوافقته أمينة وبدأت التحقيقات في حضور العقيد منير الذي وجّه سؤال هجوميا لأمينة في بداية التحقيق:

- هل لك علاقة باختطاف د. هادي همام ومحمود الدريني؟

تدخل المحامي سريعًا وهو يحدث العقيد منير بشيء من الخوف:

- نحن ننتظر العرض على وكيل كبير القضاة سيدي، لن نتحدث إلا هناك.

امتعض منير وتغيرت ملامحه وكأنه قد انتظر اعترافا مفصلا منها تعترف به عن جريمتها وحينها تحدث لأمينة:

- ستندمين أشد الندم عندما يتم تأكيد التلاعب في ذاك التسجيل المصور.

- مجددًا يا سيدي، لن نتحدث إلا أمام وكيل كبير القضاة.

كانت علامات الغضب واضحة للغاية على وجه العقيد منير الذي علم بأنه لن يستطيع الحصول على إجابة من أمينة هكذا فنهض يغادر الغرفة وهو يركل الباب بعنف وهو مستاء للغاية.

نظر المحامي إلى أمينة وهو يحدثها:

- هل تعلمين من هذا؟

هزت أمينة رأسها نافية ليكمل المحامي:

-هذا العقيد أحمد منير كبير المحققين بمكتب العاصمة، وهو لا يتولى أي قضية منذ فترة ويكتفي بالإشراف على ضباط التحقيقات.

أومأت له أمينة برأسها وكأنها سمعت ما قاله فاستفزته تلك الحركة ليكمل:

- لقد كُلف بشخصه بالتحقيق في قضيتك، وتلك علامة ليست بالجيدة.

- لماذا ليست بالجيدة؟

- لأنه لن يتوقف حتى يصل إلى حل القضية.

- وأنا أيضًا، لن أتوقف حتى أصل لحل القضية.



عاد ماهر إلى د. رأفت حاملا حقيبة كرتونية بها تلفاز جديد وقام بوضعها على الأرض وبدأ في فتحها وإخراج ما فيها وهو يتحدث:

- آسف على تركك بدون تلفاز لتلك المدة، دقائق وسأبدله بذاك التالف.

ثم نظر إلى د. رأفت وهو يرفع رأسه قائلًا:

- لم مازلت ترتدي البيجاما د. رأفت، أليس هنالك جلسة بيننا؟

تلجلج د. رأفت وهو ينهض سريعًا.

- أنا آسف، لم أكن أعلم بأن هنالك جلسة، لحظات سأغير ملابسي.

اتجه رأفت إلى أحد الأبواب ودخل ليقوم بتغيير ملابسه.

كان د. رأفت متواجد بالطابق السفلي لأحد البيوت، ولكنه ليس كأي طابق، كان المكان الذي يمكث فيه عبارة عن مكتب يشبه كثيرًا مكاتب الأطباء النفسيين من أثاث خشبي فاخر، وكتب طبية مختلفة وكرسي "شيزلونج" مريح للمرضى وسجاد سميك فاخر ورائحة هادئة مريحة للأعصاب تعطر المكان، لقد صنع ماهر كل ذلك خصيصا له بعدما تم اختطافه ليقوم بعلاجه من ذلك الأمر الذي لديه.

يوجد أيضًا غرفتان ملحقتان للمكتب، غرفة للنوم وغرفة للمرحاض، لقد اهتم ماهر بجلب كل شيء قد يريح د. رأفت ويساعده

على التركيز لعلاجه، كل ذلك كان مفصولا بواسطة قضبان حديدية تمنع من بالداخل أن يخرج منها أو يحاول الفرار، أما عن الطعام فقد كان يهبط لد. رأفت في أوقات محددة كل يوم بواسطة مصعد إلكتروني صغير لا يتسع إلا لأطباق الطعام وما عليها، كان كل شيء مخطط له من قبل.

انهى د. رأفت تغيير ملابسه وعاد ليجد ماهر قد انهى تغيير التلفاز وكان يتنقل بين القنوات ويشير لد. رأفت بتلك الأخبار المتعلقة بد. هادي طبيب الأطفال والمقطع المنتشر له.

لم يكن د. رأفت على علم بما يحدث في الخارج فجلس يتابع بعض الأخبار مع ماهر الذي قام فجأة بإغلاق التلفاز ونظر إلى د. رأفت قائلًا:

- لنبدأ الجلسة.

كان الوضع مريبا لد. رأفت إلى أبعد حد فهو فعليا مخطوف من قِبَل قاتل ويريد منه علاجه من ضلالته ومرضه النفسي.

حاول د. رأفت جذب أطراف الحديث مع ماهر.

- لنتحدث عن عملك كمهندس معماري، لتوضح لي طبيعة عملك قليلًا.

- أعمل في إحدى الشركات الإنشائية وأنا المسؤول عن التصاميم المعمارية لأغلب المشاريع هناك.

- هل لاحظت على زملائك شيء مما تراه؟

- أتقصد أنهم قد قتلوا أحدًا من قبل؟، لا، أغلبهم شباب صغار لم يلوثوا بعد.

- إذا لقد لاحظت الأمر على د. هادي همام ومحمود الدريني فقط.

- نعم، هذا حتى الآن.

- إذا فلتوضح لي أمرا غير مفهوم. مما تريد العلاج بالضبط؟

- أريد أن تتلاشى تلك الرؤى حتى أستطيع العودة لحياتي الطبيعية.

- ولكنك تعلم بأنها إن تلاشت فسيكون هنالك مجرمون آخرون ينفذون مخططاتهم ولن تراهم.

- نعم.

- كيف ستتصرف حينها وأنت تعلم بأنك قد جعلتهم يفرون بفعلتهم؟

- هل تخبرني بأنه يجب علي الاستمرار في القضاء عليهم؟

- لا، تلك ليست مهمتك ولكنك يمكنك الإبلاغ عمَّا يفعلوه.

- هل تريدني الذهاب للشرطة أخبرهم أنني أرى أشباحا فوق رؤوس قاتليهم تطلب مني مساعدتهم على الخلاص؟

- نعم.

-سيعتبرونني مجنونا ولن يصدقونني.

- لماذا سيعتبرونك مجنونا، أليس معك دلائل عمَّا فعلوه؟

- نعم لقد رأيت الأطفال الرضع وهم يصرخون طالبين الرحمة.

- إذا فلتكن تلك حجتك.

- هل تسخر مما أقوله؟

- أبدًا، لكني أريدك أن تقدم دليلا ملموسا لي حتى أساعدك.

- هل تريد دليلا ملموسا؟، حسنا سأرسل لك به.

نهض ماهر غاضبا ولم يكمل الجلسة وهم بالمغادرة ولكنه التف ليحدث د. رأفت:

- هل سمعت صوت نمر في الليالي السابقة؟

خفق قلب د. رأفت بقوة وأصابه الذعر وهو يجيب بترقب:

- لا.

- حسنا، إنه متواجد هنا بغرفة بجانبك.

ثم أشار إلى جدران الغرفة التي بها قائلًا:

- تلك الجدران محاطة بعازل للصوت، تخيل أنها استطاعت أن تخفي صوت نمر غطيطه قد يُسمع على بعد ثلاثة كيلو مترات، ألن تستطيع أن تخفي صوت صياحك؟

ثم نظر إليه أخيرًا قبل مغادرته وهو يخبره:

- لتوفر مجهودك في التفكير في طريقة لعلاجي ولا تصبح طالبا للنجدة مجددًا فأنت لن تخرج من هنا إلا برغبتي.



خرجت أمينة من مكتب التحقيقات في عربة مدرعة وسط حشد كبير من الصحفيين الذين حاولوا الوصول إلى أمينة لأخذ تصريح منها ولكن قوات التأمين لم تسمح لهم فلحقوا بها إلى مكتب وكيل كبير القضاة.

بداخل مكتب وكيل كبير القضاة جلست أمينة ومحاميها وبدأ استجوابها عن الفيديو الذي نشرته عبر مواقع التواصل الاجتماعي وعن صلتها بمن قام بتصوير الفيديو ومن قام بتسليمه لها فأجابت أمينة عن كل تلك الأسئلة نافية بأن يكون لها صلة بالمجرم ولا حتى من قام بإرساله لها وأنها قامت بنشر الفيديو لأنها صحفية وكانت تقوم بعملها بنشر الأخبار وحينها واجهها وكيل كبير القضاة بمدى تأكدها من صحة ذلك المقطع فلم تجبه أمينة.

ظلت التحقيقات لمدة طويلة لم يتحرك فيها صحفي واحد من أمام مكتب كبير القضاة بل ازداد عددهم بكثرة وفي النهاية خرج المحامي بمفرده ليدلي بتصريح أن النيابة قد أمرت بحبس أمينة سبعة أيام على ذمة التحقيق لحين التحقق من صحة المقطع وأيضًا التحقق من عدم وجود أي صلة لها بالجاني.

ازدادت الأمور اشتعالا بتداول أخبار حبس الصحفية أمينة سعيد وأيضًا بعض الأخبار التي تؤكد تورطها في اختطاف د. هادي همام ومحمود الدريني ولكن كل شيء كان مرهون بالتقرير الفني الذي سيصدر من قسم الأدلة الجنائية حول ذلك الشريط المصور والذي سيكون له عامل مصيري في مستقبل أمينة.

بالمقابل وفي مكتب التحقيقات كان العقيد منير في حالة ثورة لما يحدث معه، ففي أول يوم له لتوليه القضية يحدث أمران مهمان في مجرياتها، أولهم ذلك الفيديو الذي نشرته أمينة وثانيهم الفيديو الذي صُوِّر لأحد ضباطه أثناء إحضار أمينة.

وقف العقيد أحمد منير في غرفة الاجتماعات وهو ثائر وصوته عالٍ وهو يوبخ الضابط الذي تسبب في إشعال موجة من النقد اللاذع لتعامل قوات الأمن مع الصحفيين، تسبب المقطع في سيل من الانتقادات لطريقة التعامل مع المواطنين ولتدارك الأمر سريعًا صدر قرار من اللواء فتحي باستبعاد ذاك الضابط من التحقيقات في القضية وإعطاؤه تحذيرا بالإيقاف عن العمل إن عاود الأمر مجددًا.

حاول منير الهدوء وهو يطلب من الضباط إعلامه بمستجدات التحقيقات في القضية فتوالى الضباط في إبلاغه بها.

- تم اختطاف د. هادي في حدود الساعة العاشرة مساءً بعد انتهاء عمله في عيادته الخيرية ووجدت سيارته في مكانها أمام العيادة، ويعتقد أنه كان من المفترض أن يلاقي مندوب شركة الأدوية حينها، لقد تأكدنا من رقم هاتف ذلك المندوب أن آخر موقع كان به كان بالقرب من عيادة د. هادي.

- شركة الاتصالات أكدت بأن بيانات الرقم صحيحة وتعود إلى سيدة متوفاة وتسكن في مدينة دوارز وجاري البحث في أماكن استخدام الرقم للوصول لدليل ما.

- زوجة د. هادي أكدت بأنه ملتزم بمواعيده ولا يتأخر أبدًا عنها وأنه يبلغها دائما إن حدث أمرا ما وذلك لم يحدث يوم اختطافه.

- لم نستطع الاستعانة بالكاميرات لعدم تواجدها في محيط العيادة هناك، ولم نجد إلا عددًا بسيطًا جدًّا من الكاميرات في بلدة الحسانة بأكملها ولم تفيدنا في شيء.

- اختفى محمود الدريني قبل اختفاء د. هادي بيوم وتم رصد هاتف مندوب تلك الشركة في بلدة الحسانة أيضًا في ذلك اليوم.

- قمنا وبمساعدة ممرضة د. هادي برسم صورة كروكية لذاك المندوب المدعو ماهر حميدة وسنقوم بتعميمها على كل مكاتب التحقيقات في دونسيار.

- جاري رصد كل السيارات التي ترددت على كمائن بلدة الحسانة في يومي الاختطاف ومراقبة سائقيه ومطابقتها مع صورة ذلك المندوب.

استمع منير لكل ما تم رصده في تلك القضية وقام بتوزيع مهام إضافية عليهم بعد حصولهم على دليل آخر وهو الفيديو المصور لد. هادي فطلب منهم التحقيق في أمر ذلك النمر الموجود في المقطع المصور والبحث عمن قام بشراء نمر مؤخرا بطريقة غير قانونية، وتسجيل الكاميرات المحيطة بمنزل أمينة لمعرفة هوية مسلم الشريط وأيضًا نوعية تلك الكاميرا المصور بها المقطع وهل يمكن اقتفاء أثرها والحصول على شيء منها، والتحقيق مع حارس العقار مجددًا، والبحث في مكالمات الصحفية أمينة وأيضًا أماكن تواجدها في الفترة الماضية، والأهم هو انتظار تقرير فحص البصمات الموجودة على ذلك الشريط.

كاد الاجتماع أن ينتهي ولكن حينها طُرق الباب وفُتح ليدخل أحد الضباط ممسكا بورقة بيده يعطيها للعقيد منير قائلًا:

- لقد صدر التقرير الفني للمقطع المصور.



٢١

خرج التقرير النهائي للمقطع وقد أثبت صحة التسجيل وأنه لم يتم التلاعب به ولذلك وفي صباح اليوم التالي تم عرض الصحفية أمينة مجددًا على وكيل كبير القضاة ليتم إطلاق سراحها وبراءتها من تهمة نشر الأخبار الكاذبة ولعدم وجود دليل ضدها يؤكد تورطها في أمر اختطاف د. هادي.

ما إن خرجت أمينة من مكتب وكيل كبير القضاة حتى وجدت حشدا ضخمًا جدًّا في انتظارها يحاولون الحصول على تصريح منها، كانت أمينة سعيدة بخروجها من السجن ولكن سعادتها ازدادت أكثر عندما شعرت بأهميتها وأنها أصبحت مشهورة الآن.

حاول محامي أمينة أن يُبعد الصحفيين عنها ولكن تدافعهم جعل الأمر مستحيلا ليصبحا بداخل دائرة كبيرة من الصحفيين ووسط العديد من الأسئلة، "أستاذة أمينة هل من الممكن أن تكشفي لنا عن هوية القاتل؟"، " أمينة، كيف وصلتي إلى هذا التسجيل؟"، " أمينة هل قُتل د. هادي حقا؟"، " أمينة هل تعرض لك أحد مجددًا في فترة احتجازك؟".

لم تستطع أمينة الإجابة على أي سؤال من تلك الأسئلة لكثرتها وعدم قدرتها على الإنصات والتركيز مع أحد بمفرده وحينها تدخلت عناصر الحماية وبدأت في فض الحشد وإخراج أمينة ومحاميها ومساعدتهم في ركوب إحدى السيارات التي انطلقت مسرعة عائدة إلى منزلها الذي لم يكن يخلو أيضًا من الصحفيين ولكنها استطاعت أن تجتازهم وتصعد إلى منزلها بسرعة دون أن يعترضها الكثير.

جلس المحامي في منزل أمينة يشرب بعض الماء ويرتاح قليلًا مما حدث لهم، ثم اقترب من أمينة وهو يعطيها بعض الماء وينظر لها يحدثها:

- هل أنت راضية عن نفسك؟

نظرت له أمينة وهي ترمقه نظرة غضب فصمت لم يكمل كلامه ولم يمكث كثيرًا حتى استأذنها أن يغادر طالبا منها ألا تقوم بشيء خارج آخر وما كاد يخرج حتى وجد البواب أمامه محملا بعدة صناديق من الهدايا التي توالت عليها أثناء غيابها فسمح له بإدخالها ثم أغلق الباب خلفه لتقفز أمينة في مكانها وتطلق صرخة صامتة وكأنها قد حققت شيء مما كانت تحلم به.

أمضت أمينة فترة طويلة في الحمام تستحم لتمسح كل الأوساخ التي التصقت بها بعد كم المواقف التي حدثت لها، ظلت تتذكر الأفكار التي كانت تدور في مخيلتها بأنها قد ورطت نفسها في أمر أكبر منها وأنها كانت ستمكث بالسجن لفترة طويلة لما فعلته ولكن ما أن خرجت ووجدت ما في انتظارها حتى شعرت بأن ما فعلته قد فتح لها أبواب الشهرة والمجد.

خرجت أمينة من الحمام وأصابها الفضول في النظر من نافذة منزلها لتجد بعض الصحفيين مازالوا منتظرين أمام منزلها يجلسون على الرصيف، فتذكرت حالها فقد كانت واحدة منهم وتفعل ما يفعلونه الآن أملا في الحصول على سبق صحفي قد يجعل مديرها يرضى عنها ولا يوبخها أو على الأقل لا يقوم بخصم شيء من راتبها المعدم.

تذكرت حينها شيء آخر، إنها ماتزال معدمة لم تحصل على أي مقابل من تلك الشهرة، كيف ستحصل على مقابل من شهرتها تلك، هل

تتصل بالقنوات الإخبارية تعرض نفسها عليهم وأنها مستعدة أن تلقي تصريحات خاصة، أم من المفترض أنهم هم من سيسعون خلفها؟

تذكرت هاتفها المغلق فركضت تفتحه وتضعه أمامها منتظرة الاتصالات التي ستتوالى عليها وهي تجلس والهاتف أمامها نظرت إلى الطاولة أمامها والهدايا المرسلة إليها فنهضت تتفحصها لتجد هدايا أغلبها من مؤسسات نسوية وهدايا تحتوي على روايات ومقالات عن حقوق المرأة والعنف تجاهها ودور المرأة في النهوض بالاقتصاد وأشياء لا تعلم ما غرضها، حتى أن هنالك هدية عبارة عن دعوة إلى حفل زفاف. وهي تبحث في باقي الأغراض وجدت صندوق صغير باللون الأبيض ففتحته لتجد به ميدالية أطفال على شكل نمر، أثار الأمر فضولها فأخذت تتفحصها بعناية ليقع منها كارت ذاكرة صغير فأمسكت به تتفحصه ولكنها فزعت عندما رن هاتفها فجأة.

أسرعت أمينة تجيب على الهاتف لتجده مُعد لأحد البرامج ذات الشهرة المتوسطة يحدثها ويطلب منها إجراء لقاء تلفزيوني في قناتهم، سعدت أمينة لذلك وأبدت موافقتها ولكنها سألته عن المقابل فأخبرها أنهم سيقومون بدفع خمسة آلاف جنيه لها. كان الرقم جيدًا جدًّا كبداية لها ولكنها أرادت أن تطلب المزيد فطلبت منه أن يزيد من المقابل ولكن حينها أصدر الموبايل إشارة عن خلو الشحن وفصل تمامًا.

ركضت أمينة إلى غرفتها تبحث عن الشاحن ووجدت حاسوبها المحمول القديم بجانبه فجلبته معها لتجرب كارت الذاكرة ذلك، وضعت أمينة هاتفها على الشاحن وانتظرت أن يفتح مجددًا وخلال انتظارها قامت بتشغيل الكارت لمعرفة ما يحتويه وما إن فتحت الملفات من عليه حتى تسمرت في مكانها مصعوقة مما تراه، لا تصدق ما يحدث لها، هل ما سمعته حقيقي؟!

عاد هاتفها للحياة مجددًا ورن مجددًا فلم تجبه أمينة حتى انتهت مما تسمعه، بل أعادته مرارا وتكرارا حتى انتهت منه ثم ظلت لوهلة تفكر وبعدها حملت هاتفها وقامت بالاتصال بذلك المُعد مجددًا وهي تحدثه:

- أريد مائة ألف جنيه، وسأحضر مفاجأة كبيرة معي.



٢٢

خرجت فتاة في بث حي وهي تبكي بشدة لتتحدث بكلمات مبعثرة:

"لقد وجدوا جثة ياسمين اليوم مدفونة في أحد الطرق الصحراوية المهجورة، ياسمين صديقتي التي كانت معي عندما ذهبنا لأول مرة لذلك الوغد المدعو تامر الكرامي وحينها رحلت ياسمين سريعًا عندما علمت نيته القذرة وما كان ينوي لفعله معنا فهي لم تتعرض لمضايقات مثلما حدث معي بعد مغادرتها، وعندما طلبت مساعدتها للشهادة ضده وما يفعله عارضتني وأخبرتني أنها لن تستطيع تعريض نفسها وأهلها للتشهير واختارت الصموت ظنا منها أن ذلك وصمة عار لها ولعائلتها."

دخلت الفتاة في نوبة بكاء هيستيرية وحاولت إكمال الفيديو:

"بعدما انقطعت اتصالاتي بياسمين وتركت دونسيار بعد ما حدث لي وجدت رسالة منها منذ فترة تخبرني فيها أنها آسفة لأنها لم تساعدني حينها في شكواي ضد ذلك القذر، حاولت التواصل معها بعدها ولكني لم استطع الوصول لها وعلمت أنها قد تركت منزل عائلتها منذ فترة وأن أهلها قد تبرؤوا منها ولم يرغبوا في وجودها معهم، واليوم وجدوا جثتها مدفونة بمكان مهجور خارج العاصمة، هذا الكلب المدعو تامر الكرامي هو من قتلها ولن أترك حق صديقتي حتى ينال ذلك الوغد ما يستحقه".



دخل النقيب حسين إلى مكتبي وهو متلهف يبحث عني، أصابني الذعر حينها فقد دخل فجأة وكان الوضع ساكنا تمامًا في المكتب. لطالما كان يفعل ذلك بي ولا أستطيع منع نفسي من التفاجؤ كل مرة دون أن أتعلم. لذا شعرت بالتوتر الشديد عندما اقترب النقيب حسين وأنا أجلس على الحاسوب وهو يحدثني:

- ونس، أريدك في عمل سريع.

كان النقيب حسين يريد كل المعلومات الخاصة عن ذلك المقطع الجديد الذي ظهر لفتاة تتهم فيه الفنان تامر الكرامي بقتل إحدى الفتيات وإلقاء جثتها في إحدى الطرق المهجورة.

بدأت في البحث وتحليل بيانات المقطع وأيضًا بدأت البحث في كل شيء عن تلك الفتاة وعن الفنان تامر الكرامي، كل ذلك والنقيب حسين يجلس بجانبي منتظر التقرير النهائي الذي سأصنعه لعرضه على اللواء فتحي.

في الواقع لم تكن من مهامي إعداد تلك التقارير وكانت مهمتي مقتصرة على إعداد عمليات بحث متقدمة وإدراج النتائج في جداول وإعطائها للمختصين لعمل تصفية لتلك النتائج وإعداد تقرير مناسب ولكن بعد طلب النقيب حسين في إحدى المرات بإعداد التقرير مني لانشغاله بشيء آخر وأيضًا بسبب الخبرة التي اكتسبتها بعد رؤية طريقة وشكل التقارير فأصبح الأمر منوطا بقسمنا، فأصبحنا نقوم بالبحث المتطور بالبرامج التقنية وأيضًا نعد تقريرا مناسبا للعرض.

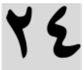
على كلٍ، بعد مدة قصيرة بدأت بعض النتائج في الظهور وبدأت العمل حينها.

تم بث الفيديو من دولة أستراليا وتمت مشاهدته مليون مرة في ست ساعات فقط، وتمت مشاركته لمئات الآلاف لذا كان الأمر سريعًا وينتشر بسرعة مهولة وكان من المؤكد أنه سيكون محتوى رائجا عالميا.

نظر النقيب حسين إلي وهو متجهم يحدثني:

- عالميا؟

كانت تلك هي الإحصائيات وللعلم فإنها لا تخطئ أبدًا وهذا ما حدث فعلًا فيما بعد ولكن لنأخذ كل موقف بوقته. طلب النقيب حسين إعداد تقرير متكامل عن الأمر وحينها بدأت استكمال البحث لأصل إلى بعض النتائج التي وضعتها في التقرير الذي حمله النقيب حسين وهو يندب حظه متجها إلى مكتب اللواء فتحي الذي كان غاضبا بشدة من مستجدات قضية د. هادي همام طبيب الأطفال المختفي وها هو النقيب حسين يحمل له قضية أخرى جديدة تخص الفنان المشهور تامر الكرامي.



جلس اللواء فتحي في مكتبه يقرأ ما جاء في التقرير من نقاط.

"نشرت فتاة تُدعى لبنى السيد جمال - ٢٧ عاما تحمل الجنسية الدونسيارية مقيمة في أستراليا منذ ٣ سنوات - مقطعا مصورا تتهم فيه الفنان تامر مصطفى الكرامي - ٤٩ عام يحمل الجنسية الدونسيارية مقيم بالعاصمة - بقتل فتاة تدعى ياسمين شرف عامر - ٢٦ عام تحمل الجنسية الدونسيارية تقيم بالعاصمة ومنفصلة عن أهلها المقيمين بمدينة الواحة منذ ٣ سنوات- وبالبحث في البيانات الرقمية وجد أن:

تم توجيه اتهام من المدعوة لبنى جمال إلى المدعو تامر الكرامي الفنان المعروف منذ ثلاث سنوات تتهمه فيه بالاتجار بالبشر وإدارة أعمال منافية للآداب حيث يقوم بخداع الفتيات وإيهامهن بمساعدتهن للدخول إلى عالم التمثيل وتقديم ورش فنية لهم ولكنه كان يقوم بترويجهن كسلعة لرجال الأعمال وأصحاب المال لقضاء وقت سعيد معهم."

****

وضحت الفتاة أن تامر الكرامي قد قام بالنصب عليها وأوهمها بأنه سيقوم بترشيحها للتمثيل عند أحد المخرجين البارزين وبالفعل قامت بلقائه في أحد الفنادق الشهيرة وهناك اكتشفت أنها كانت من ضمن فتيات كثر قد جاءت لنفس الهدف وهو التمثيل ولكن تامر كان يعمل على شيء آخر، فعلى حسب ادعاء تلك الفتاة فقد كان تامر ما هو إلا قواد يجلب الفتيات إلى الفنادق وهناك يقوم بمراوغتهن، أما بالمال أو الشهرة والوصول إلى حياة منعمة مليئة بالشهرة والهدايا والسفر

والهروب من الفقر، وأيضًا حسب رواية الفتاة فقد كانت هنالك فتيات تعترض وتبادر بالرحيل ولكن تامر قد كانت تأتيه أحيانا بعض الأوامر على أن يُرغم بعض الفتيات أن يبقين حتى ولو بالقوة وقد كانت لبنى واحدة من تلك الفتيات ولكنها استطاعت الهرب ذلك اليوم من الفندق وتقدمت ببلاغ ضده وأيضًا قامت بنشر ذلك المنشور لتحذير الفتيات منه ومن شره وحينها انتشر الأمر وبدأت الأقاويل على الفنان تامر الكرامي.

كان تامر الكرامي أحد الفنانين الكبار الذين قد ابتعدوا عن الظهور في التلفاز سواء في المسلسلات أو الأفلام منذ سنوات ولكن وجهه واسمه ما إن ذكروا حتى يسهل التعرف عليه، فهو تامر الكرامي، كان من أشهر النجوم الشابة الصاعدة في جيله حتى أن المعظم تنبأ له بتاريخ حافل في الفن ولكن الأمر لم يستمر كثيرًا بعدما فشلت أحد أعماله وتورطه في مشاكل عديدة مختلفة واتجه إلى أعمال المقاولات وظل هكذا حتى اندثر تمامًا عن الأنظار ولم يعد يظهر في أي شيء ولو حتى كضيف شرف.

قدم تامر الكرامي حينها بلاغا ضد لبنى جمال يتهمها بالتشهير به وحينها تم فتح تحقيق بالأمر وسعت الفتاة للوصول إلى الفتيات التن كنتن معها وبالفعل وصلت إلى ياسمين عامر ولكن لم يشهد أحد معها وتم التحفظ على بلاغ الفتاة حينها بل وتم الحكم عليها بثلاثة شهور سجن بعدما ثبتت عليها قضية التشهير.

قضت الفتاة فترتها لتخرج من السجن وتترك دونسيار وتسافر إلى أستراليا وها هي مجددًا بعد ثلاث سنوات تنشر فيديو متهمة فيه تامر الكرامي ولكن تلك المرة بقتل صديقتها ياسمين عامر.

انتهى اللواء فتحي من التقرير ليتحدث إلى مكتب السكرتارية يطلب منهم استدعاء العقيد أحمد منير.

وصل العقيد منير سريعًا لمكتب اللواء فتحي ليجده يسلمه ذلك التقرير قائلا:

- لتعين ضابطا مستجد لديك لمتابعة قضية تامر الكرامي.

- حسنا سيدي.

- هل لديك جديد في قضية طبيب الأطفال د. هادي همام ومحمود الدريني؟

- نعمل فيها بكل جد سيدي وسأوافيك بكل جديد بالتأكيد.

- يجب أن نصل لمن صور ذلك المقطع بأسرع وقت، هذا الأمر يمس سمعة الإدارة بشكل كبير يا منير.

- أعلم ذلك، كل الإدارة تضع القضية كأولوية قصوى لها سيدي.

- ماذا عن تلك الصحفية، هل تراقبونها جيدًا؟

تلجلج منير وهو يجيب اللواء فتحي:

- سنعين لها أشخاص يراقبونها جيدًا.

هنا غضب اللواء فتحي بشدة وهو يطرق بقبضته على المكتب بقوة وهو يقول:

- لقد أمرتك أن تتبع خطاها جيدًا يا منير.

- أعلم سيدي ولكنها كانت سجينة وتم الإفراج عنها منذ ساعات، سأرسل أفرادا لها في الحال.

انصرف منير من مكتب اللواء فتحي وهو متجهم وأشار إلى فردين مراقبة من مكتب التحقيقات ليتبعوه إلى مكتبه.

- ستذهبون إلى منزل الصحفية أمينة سعيد ولتكن هي شغلكم الشاغل طوال اليوم، كل شيء يصلها أو أي مكان تذهب إليه فلتخبروني به.

انطلق مساعدي الشرطة متجهين إلى منزل أمينة والتي قد رحلت للتو متجهة إلى أحد أستوديوهات العاصمة لإجراء لقاء صحفي مصطحبة هدية ثمينة لهم. ولكن قبل وصولها للاستديو أخرجت هاتفها لترسل رسالة إلى محاميها قائلة:

" آسفة عمي، ولكن أعتقد أنني سأُرسل إلى السجن مجددًا اليوم، أتمنى أن تساعدني مجدد" ثم أغلقت هاتفها.

٢٥

جلست أمينة على كرسيها أمام المذيع ليتقدم لها أحد الأفراد ليقوم بوضع بعض مساحيق التجميل لها وآخر يثبت الميكروفون، كانت أمينة تعلم كل تلك الأمور بحكم عملها كمُعدة متدربة بأحد البرامج سابقا، كانت ترى كل تلك الأشياء ولم تتخيل أن تصبح هي من تجلس على ذلك الكرسي يوما ما، من مُعدة متدربة تعمل اثنتي عشرة ساعة يوميا دون أجر إلى ضيفة مميزة ستتقاضى مائة ألف جنيه نظير ذلك اللقاء.

جاء مدير الإنتاج إلى أمينة يحدثها:

- تلك عشرون ألف الآن والباقي ستحصلين عليه عند الانتهاء من البرنامج والتأكد من عدد المشاهدات.

- لا، لم يكن ذلك اتفاقي مع المُعد، الدفع مقدما.

همت أمينة تنهض من كرسيها وهي تنوي فك الميكرفون لينهض مقدم البرنامج وهو يقترب من أمينة ومدير الإنتاج يحدثهم:

- لتعطيها ما أرادت مقدما، لقد أخبرتنا أن ما لديها يساوي الملايين، لنرى ما ستقدمه وحينها نحن من نحكم على قيمته.

- أحسنت القول، لترى ما لدي وحينها قد تعطيني المزيد.

نظر لها مدير الإنتاج وهو يطلب من مساعده إخراج باقي المبلغ ليعطيه لأمينة التي أخذته ودسته سريعًا في حقيبتها.

جلست أمينة مجددًا ومعها جلس مقدم البرنامج في كرسيه وهو يؤكد على أمينة أشياء سريعًا قبل الظهور في بث حي على التلفاز.

- أنت تعملين في الصحافة، لذا تعلمين أن ما ستعرضيه لا يتنافى مع القوانين والآداب العامة التي نعرفها اليس كذلك؟

أومأت له أمينة.

- لا نريد أية مشاكل للقناة يا أمينة، أنت صحفية مغمورة ولن يدافع عنك أحد.

كانت الكلمة محرجة نسبيا لأمينة ولكنها لم ترغب في التعقيب فهي تركز فيما سيتم إذاعته بعد لحظات فأكتفت بإيماءة سريعة له وهي باسمة.

حينها أرسل المقدم بإشارة للمخرج أنهم مستعدين للبدء، فأتخذ كل منهم مكانه وأعطى المخرج الإشارة للبدء.

- ثلاثة. اثنان. واحد. أبدأ.



مساء الخير أعزاءنا المشاهدين، أمسية جديدة من برنامجكم " دونسيار في يوم"، معنا ومعكم اليوم الصحفية المتميزة وصاحبة الشهرة الكبيرة مؤخرا، الأستاذة أمينة سعيد.

- أهلا بك يا أمينة في برنامج دونسيار في يوم.

- أهلا بك أستاذ عماد.

- نقدر مجيئك اليوم بعد خروجك من السجن مباشرة.

أومأت له أمينة مجددًا.

حسنا ولنزيح الستار عن مفاجأتنا اليوم والتي وعدتنا بها الأستاذة أمينة، ولكن قبل أن نبدأ نريد أن نؤكد لكم أن ما سيتم عرضه الآن هو تحت مسؤولية الأستاذة أمينة حيث أنها رفضت أن نضطلع عليه مسبقًا وسنشاهده لأول مرة مثل كل المشاهدين الآخرين، وأنوه لحضراتكم أنه إن كان هناك أية مشاهد غير مناسبة فسيتم إنهاء اللقاء فورا.

- هل أنت مسؤولة مسؤولية كاملة عمَّا سيتم إذاعته أستاذة أمينة؟

- نعم.

- حسنا فلتتفضلي، الكاميرا معك.

نظرت أمينة إلى إحدى الكاميرات في توتر وأخرجت حاسوب محمول من حقيبتها وفتحته لتجد المقدم يقاطعها:

- هل ستعرضين شيئا منه؟

- نعم.

- لِمَ لم تخبرينا بذلك لتجهيز الأمر مسبقًا؟

- أريد أن أعرضه من حاسوبي الشخصي.

بدا على المقدم الامتعاض ولكنه حاول كظم غيظه وهو يحدثها:

- الصوت الصادر من الحاسوب لن يكون واضحًا للمشاهدين، لا تقلقي نحن الآن في بث مباشر وسنعرض ما قدمتي من أجله.

انتقلت الكاميرا إلى وجه مقدم البرامج الذي ظَلَّ يتحدث ويماطل قليلًا حتى أخذ أحد المُعدين كارت الذاكرة من أمينة وأسرع إلى غرفة التحكم ليتم تشغيل المقطع ليشاهده الجميع.

بدأ المقطع بصوت روبوتي متقطع وهو يدوي في غرفة فارغة:

- عم الشيخ محمود، فلتستيقظ.

ثم صدر صوت "سرينة" ذات صوت مهول في الغرفة ليستيقظ ذاك الشخص الذي كان يبدو نائما واستيقظ مفزوعا وما إن استيقظ حتى دخل في نوبة بكاء هيستيرية.

بدا صوت بكائه أنه نابع من صميم انكساره، لا يصدر رجل بالغ تلك الأصوات إلا لأمر جلل، صوت يقشعر له البدن يجعل الجميع يشعر بالأسى تجاهه حتى وإن لم تصدر منه أي كلمة، فقد وضحت حشرجاته كل شيء.

كان ذلك هو محمود الدريني شيخ بلدة الحسانة، كان نائما وهو مقيد وجالس على كرسي في منتصف غرفة فارغة، كان يرتدي جلبابا أبيض جديدا لا يتناسب مع حالته الجسدية التي تشير إلى إرهاق وتعب كبير ووجه شاحب باكٍ.

استكمل الصوت الروبوتي حديثه:

- عم الشيخ محمود، هل أنت جاهز؟

أومأ محمود برأسه وهو ما زال يبكي لا يستطيع التوقف ولكن الصوت الروبوتي تحدث مجددًا قائلًا:

- فلتبدأ، كلنا نستمع إليك.

رفع محمود رأسه بضعف شديد وهو ينظر إلى الكاميرا المعلقة بأعلى أحد زوايا الغرفة ليظهر وجهه واضحًا وهو يتحدث:

- أنا الشيخ محمود الدريني، شيخ بلدة الحسانة وأريد الاعتراف لكم باعتراف هام.



٢٧

ركض العقيد منير بطرقات إدارة البحث الجنائي ليدخل إلى مكتبه بعدما أخبره أحد الضباط بما يحدث ليفتح التلفاز بسرعة ويشاهد ما يتم بثه.

" أنا الشيخ محمود الدريني، شيخ بلدة الحسانة وأريد الاعتراف لكم باعتراف هام.

كنت أقوم أنا وطبيب الأطفال الشهير د. هادي همام بالتجارة بأعضاء الأطفال الصغار، حيث كنت أقوم بإقناع بعض الفقراء بأخذ صغارهم وأخبرهم أنني سأقوم بإرسالهم إلى أناس أغنياء لم ينعم الله عليهم بالأطفال في مقابل إعطائهم مقابل مادي مناسب يساعدهم في حياتهم، كنت أقصد العائلات الأكثر عددا والأكثر فقرا لذلك، وأيضًا الفتيات التن تقعن في الخطيئة ولا تستطع التصرف في صغارهن، كانوا يوافقون على الفور في مقابل معرفتهم أن أولادهم سيكونون في أماكن أفضل ومع أشخاص في حال أفضل ولكن في الحقيقة لم نكن نفعل ذلك.

لقد كنا نأخذ الأعضاء البشرية من هؤلاء الأطفال ونقوم ببيعها لأحد الأشخاص مقابل ملايين الجنيهات، كان د. هادي همام هو الجراح الذي يقوم بعمل ذلك، كانت عيادته في البلدة هي مكان عملنا حيث يقوم باستخراج الأعضاء المطلوبة وأقوم أنا بأخذها وأخذ ما تبقى من الجثة وأتولى أمر الدفن وإبرام الصفقات مع أحد الأشخاص الذي كان يأخذ مني الأعضاء.

ذاك الشخص كان يدعى حامد ولكن بالتأكيد لم يكن اسمه الحقيقي فلقد كنت أقابله باسم مستعار أنا أيضًا ولكني لا أعلم شيء عنه أكثر من رقم هاتفه حيث كنا نتفق على ميعاد اللقاءات، أما عن ضحايا أهل بلدة الحسانة فأعلم أسمائهم جميعا وأعلم أسماء أطفالهم ومنهم " خضري عبد الدايم"، "نبيه الوكيل"، "سعاد حيدر".

ظَلَّ محمود يحاول تذكر باقي الأسماء ولكن الصوت الروبوتي عاد ليقاطعه:

- أين دفنت الجثث يا محمود؟

- خلف مكتبي الموجود في مزرعة البهائم بالبلدة.

- أشكرك يا محمود.

هنا انتهى المقطع وعاد البث والكاميرات إلى وجه مقدم البرنامج الذي ظَلَّ جامدا لم يستطع التحدث، ظَلَّ هكذا حتى فطن المخرج أنه يجب الخروج لفاصل حتى يتدارك الأمر.

أما العقيد منير فوقف أمام التلفاز متجهما وهو يمسك برأسه يعلم أن هنالك بركان سينفجر قريبًا في وجهه.



دخل العقيد منير مكتب اللواء فتحي وهو مستعد لوابل من اللوم والتوبيخ بسبب تلك الصحفية وبالفعل وجد اللواء فتحي في حالة غضب عارم بعدما أصبح ذلك المقطع هو حديث الجميع وتم تداوله في الحال.

كان الهاتف لا ينقطع عن الاتصال لدى اللواء فتحي وكان يجب عليه الاعتذار والمماطلة مع هؤلاء المتصلين، يبدو أن الأمور قد خرجت عن السيطرة وبدأ الأمر يستولي اهتمام كبار القادة كل ذلك كان أمام العقيد منير الذي علم أن جزء من اللوم ملقى عليه.

انتهى اللواء فتحي من مكالمته ثم وجِّه نظره إلى منير.

- ألم أخبرك أن تهتم لأمر تلك الصحفية، من أين جاءت بذلك المقطع؟

- لقد أرسلت أحد رجالي لجلبها يا سيدي، كما أرسلت قوة فورية إلى المكان الذي ادعى محمود أنه قد قام بدفن الأطفال فيه.

- ماذا عن الأشخاص الذين تم ذكرهم في المقطع؟، لتجلبهم جميعا للتحقيق للتأكد من صحة ما قيل.

- سنفعل ذلك بالتأكيد سيدي.

- ماذا عن المقطع القديم، مقطع د. هادي وذاك النمر، هل تم تحليله؟

- نعم لقد كنت في قسم الأدلة وقد علمت أنه من الصعب تقفي أثر ذلك الشريط المصور، لأن المجرم استخدم شريطا ذا طراز قديم يصعب تتبعه، ولكننا اكتشفنا تجهيزات خاصة للغرفة حيث كانت مبطنة بمادة عازلة للصوت وسنبحث في الأمر لنكتشف هوية ذلك المجرم، أما عن البصمات على الشريط فلم نعثر إلا على بصمات تلك الصحفية فقط.

- هذا المجرم يتلاعب بنا يا منير، وأنا لن أسمح بذلك طالما لازلت في الخدمة.

- سنمسك به سريعًا يا سيدي، الجميع هنا يعمل على ذلك.

- لتوافيني بكل المستجدات لحظة بلحظة، أريد أن أشارككم التحقيقات.

أومأ له منير واستعد للخروج فوجد اللواء فتحي يستوقفه:

- يجب أن نعد مؤتمرا صحفيا اليوم لنوضح فيه ما وصلنا إليه من تحقيقات.

- اليوم سيدي؟

- نعم وستكون أنت المتحدث باسم الإدارة فيه.



كنت في المنزل حين تمت إذاعة مقطع الشيخ محمود وكانت ريم تجلس بجانبي وما إن انتهي المقطع وجدتها تنظر لي قائلة:

- هل سيستدعونك في العمل يا ونس؟

- دون أدنى شك.

ولم تمض ثوان حتى وجدت رقم النقيب حسين يحدثني فأجبته:

- دقائق وسأكون في المكتب.

رحلت من المنزل سريعًا وكنت أعلم بأن الأمور سيطول، فكل شيء يوحي أن الأمور تزداد تعقيدا، رحلت تاركا طعامي المميز الذي أعددته لأختي ريم لتتناوله بمفردها.

عندما وصلت إلى المكتب لم يكن هنالك عمل كثير لي فقد وصلت الصحفية أمينة إلى غرفة التحقيقات ووصلت قوة شرطية إلى مكتب الشيخ محمود في بلدة الحسانة ليبدأوا الحفر في المكان مثلما أخبرهم في المقطع المصور له.

لاحظت وجود معدات وأجهزة يتم تنصيبها في غرفة المؤتمرات، وعندما سألت عن السبب علمت أنهم كانوا يستعدون لإجراء مؤتمر صحفيا من داخل الإدارة.

أما عن عملي فقد أنهيته سريعًا فقد كان واضحًا للعيان أن ذاك المقطع هو متصدر الترتيب في دونسيار بأكملها حتى أنا الذي لا يشاهد

التلفاز قد رأيته، كان المقطع ينتشر انتشارا غير مسبوق ففي أقل من ساعتين قد تخطى حاجز الثلاثة ملايين وبدأ التفاعل عليه بشكل رهيب، وبدأت الهاشتاج تظهر بكثرة. #الإعدام_لقاتلي_الأطفال، #حق_أطفال_بلدة_الحسانة، #هادي_همام_السفاح، وأخيرا #أدعم_قاتل_جزار_الأطفال.

كان الاهتمام في الإدارة منصب حاليا على ذلك المؤتمر الصحفي الذي سيظهر به العقيد أحمد منير ليوضح الأمور للصحافة وبالفعل لم يدم الأمر كثيرًا حتى أصبحت الغرفة جاهزة لاستقبال الصحفيين والقنوات الإخبارية.

وقف العقيد أحمد منير وأمامه عدد غير مسبوق من ميكروفونات القنوات والصحف والمواقع الإخبارية الذين أتوا بمجرد أن تم الإعلان عن انعقاد مؤتمر خاص بقضية د. هادي همام والشيخ محمود الدريني.

نظر منير إلى عدد الحضور الذي جعلهم يتركوا باب القاعة مفتوحا حتى يستوعب ذلك العدد الرهيب من الصحفيين، يعلم أن المهمة التي على عاتقه ثقيلة ولا تحتمل الخطأ لذا كان قد أعد ورقة مكتوبة ليقوم بالقراءة منها وقد عرضها على اللواء فتحي لمراجعتها ولكنه لم يكن قلقا من قراءة الورقة، لقد كان قلقه يكمن في أسئلة هؤلاء الصحفيين.

بدأ منير في التحدث وأعرب عن اهتمام إدارة البحث الجنائي في البحث عن المجرم المسؤول عن اختفاء كلا من د. هادي ومحمود الدريني، كما أنهم يقومون بفحص التسجيلات المنسوبة إلى محمود الدريني لمعرفة مدى صحتها، وأن الإدارة تولي كل أولوياتها لتلك القضية نظرا لأهميتها وأيضًا الكشف عن الجاني بسرعة وتقديمه للعدالة، ثم اختتم حديثه بأنه سيتم نشر أي أخبار يتوصلوا إليها عبر فريقهم الإعلامي

وطلب من الصحفيين عدم نشر أي أخبار غير مؤكدة عن القضية حتى لا تشكل عائقا لهم في التحقيق ولا تسبب لناشرها المساءلة القانونية، وأنهى منير حديثه وهو ينظر للكاميرات بإن كان لدى أحد أي معلومات تخص الأشخاص في تلك القضية أن يسرع بمساعدتهم ومشاركتهم بها.

لم تمض ثوان حتى بدأت الأسئلة وبدأ علامات التوتر تظهر على منير فمع أول سؤال وبدأت الأمور تتعقد أكثر فأكثر فكان أول سؤال لأحد الصحفيين:

- هل فعلًا د. هادي همام كان يتاجر بأعضاء الأطفال؟

- التحقيقات مستمرة ولا نستطيع تأكيد صحة ذلك المقطع إلا بعد تحليله.

فسألت صحفية أخرى:

- هل تم قتل كلا من د. هادي همام ومحمود الدريني؟

- طالما لم يتم العثور على أي جثة فهنالك أمل أنهم مازالوا على قيد الحياة.

سأله صحفي آخر:

- ما هو سبب احتجاز زميلتنا أمينة سعيد؟

- سيتم التحقيق معها لمعرفة كيف حصلت على ذلك المقطع، وأيضًا التأكد من صحة ذاك المقطع قبل إخلاء سبيلها.

سألته صحفية أخرى:

- هل عثرتم على جثث أطفال في المكان الذي تم الإعلان عنه؟

- هنالك قوة شرطية في المكان تفحصه بعناية ومعهم أطباء متخصصون وسنوافيكم بما نجده.

- هل وصلتم لمشتبه به في القضية؟

- سنعلن عن كل شيء في الوقت المناسب، هنالك فريق كامل من إدارة البحث الجنائي يعمل على القضية.

ساد الهرج والمرج في القاعة وأحس منير أنه قد أحسن صنعا وأنه جاهز لمغادرة الغرفة ولكن أحد الصحفيين نهض وهو يصيح:

- هل شاهدت ذاك المقطع الذي ظهر مؤخرا؟

تجهم منير وتسرب الخوف لقلبه لذلك الأمر وأجاب الصحفي مستفسرًا:

- أي مقطع؟



ظهر مقطع لسيدة تفترش الأرض أمام مزرعة البهائم الخاصة بمحمود الدريني ببلدة الحسانة، قامت قوات الشرطة بمنعها من الدخول فأخذت تبكي وتصرخ بصوت عال، حاولت بعض النساء أن يساعدوها على النهوض ولكنها أبت وأخذت تولول وتحمل التراب من على الأرض لتضعه على رأسها وهو تخبر الجميع أنها قد أعطت ابنها الرضيع بيدها لذاك الشيخ في مقابل المال بعدما وعدها بتغيير حياته إلى حياة رغيدة وسيعيش وسط الأغنياء وسينعم بحياة لن تنعم بها هي ما حيت، ولكنها في الواقع قدمته ليصبح ضحية لذاك الطبيب القاتل.

ظلت المرأة تتحدث وامتزجت دموعها مع سوائل سالت من أنفها مع التراب التي ألقت به على وجهها وهي تنوح لفعلتها وتعتذر لصغيرها معللة حوجتها للمال وعدم قدرتها على الإنفاق عليهم لضيق حالهم.

وقف العقيد منير يشاهد المقطع من هاتف الصحفي وظل صامتا لا يجد ما يقوله لتتحول القاعة إلى أصوات متزايدة وجاءت الأسئلة من كل حدب وصوب حينها بدأ منير يفقد تركيزه ويصاب بالتوتر فتحدث بسرعة عبر الميكرفون قائلًا:

- التحقيقات مستمرة وسنعلمكم بكل شيء جديد، شكرًا.

ثم ترك القاعة ورحل وسط نداءات كثيرة من الصحفيين له بالعودة.

أسرع منير للعودة إلى مكتبه ليلحق به عدد من الضباط، كان منير يستشيط غضبًا بسبب ذلك المقطع الذي سبب له إحراجا شديدا لعدم

علمه به مسبقًا، حاول باقي الضباط تهدئته وأخبروه أنهم يعملون بكد لحل تلك القضية.

شعر منير ولأول مره بأنه ليس المتحكم في القضية بل إنه يُساق بها بواسطة ذلك المجرم، توجه إلى الصورة الكروكية المرسومة لذاك المندوب المدعو ماهر حميدة وكأنه يتوعده بأنه سيلقى القبض عليه وينتقم مما يفعله به.

رن هاتف منير ليجده الضابط الذي أرسله إلى مزرعة البهائم ببلدة الحسانة يبلغه بمستجدات ما يحدث عنده، لقد احتشد جميع سكان البلدة أمام المزرعة منتظرين ما سيجدونه مما أضطر الضابط إلى استدعاء قوات إضافية لتأمين المكان حتي يفرغوا من فحصه، كانت هنالك عدة محاولات لاقتحام المكان ولكنهم استطاعوا أن يمنعوها. أما عن العثور على الجثث في المكان فلم يحالفهم الحظ بعد ولكنهم بدأوا البحث مجددًا بعد وصول الكلاب البوليسية المدربة.

أمر منير الضابط أن يخبره بكل المستجدات أولًا بأول وما كاد أن ينهي المكالمة حتى سمع صوت قريب من الهاتف يقول:

- هنالك عظام، إنها عظام بشرية.



عاد ماهر مجددًا إلى د. رأفت المحجوز في الطابق السفلي، كان ماهر سعيدا وتملئ الابتسامة محياه فهو يعلم بأن د. رأفت قد استمع إلى ذلك المقطع الذي أذاعته تلك الصحفية في القناة الإخبارية.

- هل استمعت إلى ما تم نشره أمس؟

- نعم، لقد شاهدته.

- إذا لما لست سعيدا، ألم أخبرك بأنني سأريك دليلا واضحًا؟

- هل ستصدقك الشرطة بعدما تعرف أن هذا الرجل قد تعرض للتعذيب الشديد؟

تغيرت ملامح ماهر بعدما شعر بأن د. رأفت لم يقتنع بما حدث فأكمل د. رأفت:

- هل لو أمرتني أن اعترف بأنني قمت بعمليات إجرامية وأنا محجوز هنا فهل سأعارضك؟، بالطبع سأنفذ لك ما تطلبه وبدون أن تعذبني حتى.

بدأ الغضب يتملك من ماهر ولكن حينها نهض د. رأفت من كرسيه وهو يصيح بوجه ماهر:

- إذا أردتني أن أعالجك فيجب عليك الاعتراف بمرضك أولًا.

سادت الدهشة وجه ماهر الذي تراجع عن صب غضبه على د. رأفت وأخرج هاتفه على أحد المواقع الإخبارية الشهيرة والتي كانت

تتحدث عن اكتشاف المقبرة الجماعية التي وجدوها بداخل مزرعة محمود الدريني والتي كانت تحتوي على العديد من جماجم الرضع والأطفال الصغار.

قرأ د. رأفت الخبر ليخفق قلبه ويجلس على كرسيه مجددًا غير مصدق ما يحدث فأكمل ماهر كلامه:

- أتظنني سأقتل أحدهم دون التأكد مما فعل؟

أمسك ماهر هاتفه مجددًا وقام بتشغيل تسجيل صوتي لحوار بين شخصين:

" - من أين أتت تلك الصحفية بتلك المعلومات يا محمود؟

- لا أعلم، ولكن رجالنا تبحث في الأمر ولكن لا تقلق تلك الفتاة التي نشرت صورها قمنا بدفع الأموال لها لتظهر في مقطع تكذب كلام تلك الصحفية وستقوم برفع دعوى قضائية ضدها تتهمها بتشويه سمعتها وشرفها وبالتأكيد لن يخرج والد الفتاة ليعترف أن ابنته قد حملت دون زواج.

- يجب علينا أن نهدأ قليلًا حتى تعود الأمور لطبيعتها، العين متجهة نحونا.

- حسنا لا يوجد أية مشكلة ولكننا نحتاج الأعضاء من ذاك الطفل الأخير، نحن متأخرون في التسليم.

- ماذا تقول، هل تعي ما تقوله يا محمود؟، تريديني أن استخرج أعضاء طفل في نفس اليوم الذي تراقبني فيه دونسيار بأكملها؟

- لقد وصلني تحذير من من سنسلمهم الأعضاء، أتعابك قد دخلت حسابك البنكي، لست بحاجة أن أخبرك بين هؤلاء الذين نتعامل معهم ومن يراقبوك في دونسيار يا د. هادي."

انتهى الحوار وسط ذهول كبير من د. رأفت الذي لم يفق من دهشته ليجد تسجيلا آخرا يبدأ لنفس الشخصين:

"- إنهم يحتاجون قلب وكلية على وجه السرعة.

- لقد فعلت لك ما أمرتني به المرة السابقة، أرجوك لنتوقف حاليا عمَّا نفعله نحن لا نبيع الأطفال أحياء للأغنياء مثلما يظنون فنرجعهم إلى أهلهم ونخرج بكفالة، لا، نحن نقطع أوصال أطفال صغار ونتركهم جثثا، هل تعلم عقاب ذلك الأمر؟

- لا تقلق يا د. هادي، الفتاة تلك المرة يتيمة وتعمل مع بعض الأطفال على عربة كارو ويبدو أنها أخطأت مع أحدهم وهي من تريد التخلص من طفلها، بالإضافة أنها أخذت أموالا كثيرة، لذا فهي لن تتحدث ولن تعرف أي شيء عمَّا يدور على مواقع التواصل تلك.

- يجب أن نتريث قليلًا، لنقوم بسجن تلك الصحفية أولًا ونعرف من أين أتت بتلك المعلومات وأعدك بأنني سأفعل كل ما تطلبونه.

- اتفقنا، سنعطيك وقتك لكن الطفل في مكاننا المعتاد، وأتعابك قد حولت منذ نصف ساعة، مليون جنيه، مقسمين على عدة حسابات.

- قلب وكلية يا دكتور هادي، قلب وكلية".

انتهى التسجيل الثاني لينظر ماهر إلى د. ر أفت يحدثه:

- هل تؤمن بقدراتي الآن؟



جلس د. رأفت صامتا لا يعلم ماذا يقول، لقد تغير مسار الحديث تمامًا وأصبح عليه الاستماع إلى ماهر باهتمام شديد.

- لم أكن لأقتل أحد دون التأكد مما فعل.

- أنت من سجلت تلك المحادثات؟

- نعم.

- لماذا لم تظهر إذا على التلفاز مثل البقية؟

- لقد قدمت لهم دليلا دامغا بمكان دفن الجثث، ليتعبوا قليلًا ليصلوا إلى باقي الحقيقة.

- لِمَ لم ترسل تلك التسجيلات إلى الشرطة، كان ذلك سيكون دليلا كبير في القضية؟

- تلك التسجيلات لا يعتد بها طالما لم أحصل على إذن مسبق، لقد تأكدت من ذلك، ولكن قبل كل ذلك، هل حقا لازلت لا تعلم لم فعلت ذلك؟

تغيرت ملامح د. رأفت وهو يبدو عليه عدم إدراك ما يقصده ماهر فأكمل ماهر:

- أنا أريد أن أتخلص من تلك الرؤى التي تظهر لي.

- هل بقتلك لهم تختفي تلك الرؤى؟

- نعم.

- إذا لن أستطيع أن أساعدك.

- كيف ذلك؟

- أنت تريديني أن أصدق أمر الأموات الذين يظهرون لك وهذا يخالف كل الدراسات العلمية وأهم مبادئ الطب النفسي، أنت واقع في ضلالات تسيطر عليك، حتى وإن صدقت فيما فعله هؤلاء المجرمون ولكنك لا ترى أموات.

- حسنا فلنفرض أنني لا أرى أمواتا.

قاطعه د. رأفت في حزم:

- لا، لا تفرض، أنت لا ترى شيء، أول علاجنا أن توقن إنك لا ترى شيئا.

صمت ماهر ولم يتحدث ليكمل د. رأفت الحديث:

- هل لي أن أعرف عن مشاعرك الآن، ماذا شعرت بعد أن تخلصت من د. هادي همام ومحمود الدريني؟

- شعرت براحة لحظية ولكن الأمر ساء بعدها وبدأت أشعر بحالة اضطراب شديد لما أفعله، أنا أخاف أن أنظر في وجوه الناس حتى لا اصطدم بأحدهم وأكرر ما فعلته.

- كما اتفقنا، أولًا يجب أن تؤمن بأن ما تراه غير موجود في الحقيقة، إنها ضلالات ناجمة عن مرض جسدي أو نفسي.

- هل من الممكن أن يكون ذلك بسبب مرض جسدي؟

- نعم قد يكون لديك ورم بالمخ قد يؤثر على قواك العقلية وإن لم يكن فسيكون الأمر نفسيا، لذا يجب علينا أن نجد السبب أولًا لنعالجه.

- ماذا تريدني أن أفعل، أنا مستعد للعلاج.

- أولًا يجب عرضك على طبيب متخصص لإجراء بعض الفحوصات على مخك والتأكد أن الأمر ليس عضويا وبعدها يأتي دوري في العلاج النفسي.

- إذا لتخبرني عن طبيب أذهب إليه.

- حسنا ولكن حتى ننتهي من تلك الفحوصات يجب أن تعدني بأنك إن رأيت أمواتا فلن تعيرهم انتباهك وتخبر نفسك بأنهم غير حقيقيين.

صمت ماهر وبدا عليه التوتر ولم يجب د. رأفت فتسرب الخوف إلى د. رأفت وهو يسأل ماهر بترقب:

- ماهر، هل شاهدت أمواتا مؤخرا؟

لم يجبه ماهر وظل صامتا، فازداد توتر د. رأفت.

- فلتجبني يا ماهر، هل قتلت شخصا آخر؟

أجابه ماهر بصوت خافت وهو ينظر إلى أسفل:

- ليس بعد.

ارتعد د. رأفت وهو يسأل ماهر:

- ماذا حدث؟

بدا على ماهر الحزن وكأنه سيبكي.

- لقد رأيت فتيات شابات تستغيث، لقد كانوا يطلبن الخلاص.

- وماذا فعلت حينها؟

- لم أفعل بعد، قاتلهم يجلس في الغرفة المجاورة لك.

زاد خفقان قلب د. رأفت وهو يسأل:

- من هو ذاك الشخص؟

- إنه تامر الكرامي، الفنان الشهير.



كنت في مكتبي عندما رن الهاتف الداخلي لأنظر إليه لأجد اسم اللواء فتحي مدير الإدارة، أصابني التوتر ولم أستطع الرد فلاحظ أحد زملائي الأمر فسألني:

- ونس، هل ستجيب على الهاتف أم لا؟

لم أجبه.

فأقترب من الهاتف ليصيح:

- اللعنة، إنه اللواء فتحي لِمَ لم تجب على الفور؟

لم أجبه مجددًا واكتفيت بالصمت ليدور حديث كنت استمع إلى جهة واحدة منه.

- أفندم، أنا المهندس مصطفى من قسم تحليل البيانات الرقمية.

- نعم، لقد خرج النقيب حسين في مأمورية عمل صباحا.

- قضية الفنان تامر الكرامي؟

- على الفور، سنحضر كل شيء متعلق بها إلى مكتبك.

انتهى الاتصال وزفر صديقي لمرور الاتصال على خير ليصيح بي قائلًا:

- هل تصاب بالتوتر من الرد على الهاتف أيضًا، إذا ما فائدتك هنا؟

في الواقع لم أكن كذلك ولكني أصبت بالتوتر عند رؤية اسم اللواء فتحي على الشاشة. لم تمر دقيقة حتى عاد إلي مصطفى قائلًا:

- نريد كل المعلومات الخاصة بقضية ذاك الفنان تامر الكرامي.

لم أعقب على كلامه الأول وأيضًا لم أعترض عمَّا طلبه مني رغم أقدميتي بالمكتب التي تسبقه، لم تهمني تلك الأشياء طالما أنا بعيد عن أي شيء يوترني.

بدأت العمل على إعداد تقرير عن تامر الكرامي ولم يمض الكثير حتى وصل النقيب حسين إلى المكتب مجددًا ليعلم المطلوب فأخذ التقرير وتوجه إلى مكتب اللواء فتحي ليطلع عليه.

كان التقرير مبسطا فهو يحتوي على معلومات البلاغات المقدمة ضد تامر الكرامي والتي كانت من شخص واحد وهي الفتاة المدعوة لبنى جمال وتقيم حاليا في أستراليا وأيضًا احتوى التقرير على البلاغات التي قدمها تامر في تلك الفتاة والتي نال فيها تامر حكما ضد الفتاة وأيضًا بلاغا آخرا جديدا بعد ذلك الاتهام الجديد التي اتهمته فيه بقتل صديقتها ولكنها غير موجودة في دونسيار للتحقيق معها لذا تم حفظ التحقيق وقتيا، ولكن الأمر الأهم الآن هو وجود بلاغ مقدم من السكرتير الخاص بالفنان تامر الكرامي يوضح أنه متغيب عن عمله ومنزله منذ يومين.

قرأ اللواء فتحي التقرير وما إن انتهى حتى اتصل بالعقيد المنير الذي حضر على الفور ليسأله اللواء فتحي عن مستجدات قضية د. هادي همام ومحمود الدريني:

- هل وصلتم لشيء هام في قضية طبيب الأطفال؟

- المقطع المصور ثبت أنه حقيقي ولا يوجد به تلاعب.

- ألم يظهر صوت المجرم كصوت روبوت، كيف إذا ثبت أنه لم يتلاعب به؟

- لقد كان يتحدث عبر جهاز يغير من صوته لذلك الصوت المسجل هو الصوت الأصلي للمقطع، لذا فهو لم يتلاعب في المقطع المرسل.

- إذا ستخرج تلك الصحفية مجددًا.

- نعم، ولكننا وضعنا كل شيء يخصها تحت المراقبة إن حاول المجرم التواصل معها فسنكون أول من نعرف.

- ماذا عن تحرياتنا نحن، إلى ماذا وصلنا؟

- نتحرى عن كل من قام بشراء مواد عازلة في الفترة الأخيرة، ونعد لائحة طويلة لمن قد يهمه إيذاء د. هادي ومحمود الدريني، وسأقوم بالتحقيق شخصيا مع تلك الصحفية لأعلم كل شيء عن تلك المعلومات التي تصلها ولِمَ هي بالذات.

- إذا لا يوجد لدينا خيط واضح وجلي لمرتكب تلك الجرائم؟

- ليس بعد سيدي ولكننا نبحث في كل شيء، هذا المجرم ذكي ولكنه بالتأكيد أخطأ في شيء ما وسنوقع به.

- ذكي ويتحدانا، إنه يرسل لنا ما يفعله، ليس لدينا إلا الإمساك به اليوم قبل غدا يا منير.

- سنفعل سيدي.

- هل تحققتم من جثث الأطفال التي وجدتموها؟

- نعم بعض منها يخص تلك الأسماء التي أعلن عنها محمود في المقطع بالفعل، أما الآخرون فجاري البحث عن ذويهم واستجوابهم. هل تظن أن د. هادي فعل ذلك بهؤلاء الأطفال؟

- لا يهم من فعلها بالنسبة لنا، المهم أن نقدم المتهمون كلهم للعدالة وحينها يتم معرفة من منهم الجاني، نحن الآن ليس بحوزتنا أي منهم.

صمت منير ولم يعقب فأكمل اللواء فتحي:

- حسنا لتكمل عملك في القضية ولكن هل تتذكر قضية ذلك الفنان، تامر الكرامي؟

- نعم سيدي، لقد تقدم هو أيضًا ببلاغ ضد تلك الفتاة والتحقيقات مستمرة بشأن تلك الفتاة المتوفاة والبحث إذا كان له علاقة بموتها أم لا، هل حدث شيء ما؟

- نعم، لقد اختفى بعد خروجه من مكتب وكيل كبير القضاة بعد انتهاء التحقيقات معه بشأن الفتاة المتوفاة.

- هل تعتقد أنه شعر بأنه سيتم إدانته في القضية فهرب إلى خارج البلاد؟

- أتمنى من كل قلبي أنه هرب، أتمنى ذلك.

غادر منير المكتب وهو متعجب من رد اللواء فتحي، لقد تمنى هروب أحد المشتبه بهم في قضية للتو.

٣٤

توجه منير إلى مكتب الإجراءات والتصاريح حيث كانت تتواجد الصحفية أمينة ومحاميها الخاص ينهون بعض الإجراءات بعد انتهاء التحقيق معها وإخلاء سبيلها بعد ثبوت صحة المقطع الثاني الذي نشرته، وقعت أمينة على إقرار عدم نشر أي خبر يخص قضية د. هادي همام ومحمود الدريني دون إذن من كبير القضاة، وصدر مرسوم عام في الدولة بعدم نشر أخبارا جديدة في القضية حتى الانتهاء من التحقيق فيها نظرا للبلبلة وتضارب الكثير من الأخبار في تلك القضية مما قد يبطئ من سرعة التحقيقات والوصول للجاني.

دخل منير المكتب وتوجه مباشرة إلى أمينة يحدثها:

- أستاذة أمينة مبارك عليك اخلاء سبيلك، ولكن القضية لم تنتهي بعد.

- أتمنى لكم التوفيق في تحقيقاتكم، الكل مهتم بتلك القضية الآن.

- بالتأكيد وعلى ذكر ذلك فكنت أريد أن أسألك بضع أسئلة حول تلك القضية.

- بالطبع، ولكن هناك تصريح للتحقيق معي؟

- هذا ليس تحقيقا، لنعتبرها محادثة عادية.

- إذا سأنظر في جدول أعمالي وسأبلغك بميعاد ومكان يناسبونني.

رحلت أمينة من المكتب وسط ثوران داخلي قد كبته منير بداخله، مع نظرات متبادلة بين محامي أمينة وبين العقيد منير وكأنه يخبره "نحن آسفون لما فعلته أمينة، أمسح ذلك الخطأ بي".

عاد منير إلى مكتبه يستشيط غضبًا وطلب أحد مساعدي الشرطة ليدخل له على وجه السرعة ليجد منير في حالة غليان فأخبره وهو يصيح:

- لتكن المراقبة مزدوجة على تلك الصحفية في كل مكان تذهب إليه، لتفتشوا كل شيء يصل إليها حتى إن طلبت شطيرة، فلتفتحوها وتفتشوا بداخلها، أريد أن أعرف عدد الأنفاس التي تأخذها يوميا، سأمر بنفسي على المكان وويلا لمن أجده متخاذلا هناك.

اتصل منير بالقسم الفني ليتأكد أن هاتف الصحفية مراقب تمامًا، وأن كل شيء تفعله سيكونون على علم به.

انهى منير اتصاله وطلب الاجتماع مجددًا مع جميع الضباط لمتابعة المستجدات. لم يكن منير يغادر مكتبه منذ بداية توليه القضية، أصبح يبيت في مكتبه ويتناول طعامه به، كان الضغط كبير عليه ولا يريد أن تأتيه ملحوظة ما في القضية ولا يكن على علم بها، كانت القضية تمثل نقلة نوعية بالنسبة له بعد الاهتمام الغير مسبوق من الإعلام والصحافة، حيث أصبح اسمه يذكر في العديد من المواقع والبرامج الإخبارية وبات محط اهتمامهم.

بدأ الضباط في إخبار منير بما توصلوا إليه من تحقيقات في اتجاهات مختلفة، حيث توصل أحدهم إلى أماكن تشغيل الخط الذي استخدمه ذلك المندوب المدعو ماهر حميدة وكانت منحصرة في أماكن محددة، حيث كان يقوم بفتح الهاتف في أماكن عامة بالإضافة إلى أماكن تواجده في بلدة الحسانة، وبالبحث عن عملية شحن ذلك الخط

بالرصيد وجد أنه تم استخدام كروت شحن مسبقة الدفع لذا كان من الصعب تتبعها، أما عن أمر النمر الذي ظهر في المقطع فقد تم إلقاء القبض على كل من اقتنى نمرا بطريقة غير شرعية وخضعوا للتحقيق كما تم استجواب كل مربيي النمور المعروفين ولكن لم يكن هنالك رابط بينهم وبين القضية، بالإضافة أيضًا إلى أمر استخدام المواد العازلة، لم يكن هناك دليل قوي قد يتبعوه.

نهض أحد الضباط ومعه بعض الصور واقترب من منير يريه إياها، لقد كانت صورا ملتقطة لأحد السيارات، كانت تلك السيارة من السيارات التي ليس لها ملصقا إلكترونيًا وأيضًا تحركت على طريق بلدة الحسانة في يومي الاختطاف وبالتحري عن رقمها التي التقطته الكاميرات وجد أنها أرقام مزيفة وتعود إلى سيارة أخرى من طراز آخر وتعود إلى سيدة تعمل بأحد شركات الإنتاج السينمائي وبالتحقيق معها ثبت عدم علمها بأي مما يحدث.

أظهر الضابط صورا أخرى مقربة لسائق السيارة الذي كان ملتزما بقواعد المرور ولم يحصل على أية مخالفة رغم أنه يقود سيارة مزيفة، أظهرت الكاميرات صورته وهو يرتدي قبعة رياضية على بدلة كلاسيكية، لقد أراد إخفاء هويته لأنه يعلم أنه قد تلتقطه الكاميرات ولم يقتصر الأمر على ذلك فقد أظهر الضابط إحدى الصور الأخرى والتي قد تم معالجتها رقميا لتكن أوضح ليظهر على السيارة أثارا لشعار ثماني الأضلاع قد تم إزالته مؤخرا، حينها نظر الضابط إلى العقيد منير يخبره:

- هذا الشعار خاص بإحدى المدن السكنية لمشروع النخبة.

٣٥

جلست أمينة في منزلها بعد أن قضت يومين في السجن الملحق بمكتب التحقيقات، شعرت بأن حياتها على وشك التغيير، الكل يتحدث عنها الآن وعن تحقيقاتها المثيرة، لم يتوقف هاتفها عن الرنين، من أشخاص تعرفهم وآخرون لا تعرفهم ولكنها فضَّلت عدم الرد في الوقت الراهن حتى تحدد خطة مستقبلية لها، لقد عدت نفسها كشخص عام لذا يجب اتخاذ قرارات مناسبة لذلك، لقد قررت أن تترك حياتها كصحفية تعمل باليومية إلى شخص ذو شأن وأهمية.

كان أول هاتف تُجيبه أمينة هو رئيس الجريدة التي تعمل بها، لقد اتصل بها عشرات المرات ولم تجبه، فتحت أمينة الاتصال لتجد صوت حماسي سعيد على غير عادته تمامًا.

- صحفيتنا أمينة المتميزة، لطالما كنت أثق في قدراتك.

- أنا أستقيل، وسأعمل بكل جهد على أن يتم إقالتك في القريب العاجل أيها الوغد المرائي.

لكم استمتعت أمينة لفعل ذلك الأمر، كانت تمني نفسها أن تفعل ذلك منذ زمن ولكنها لم تستطع لحاجتها إلى المال ولكنها الآن في حوزتها مائة ألف جنية دفعة واحدة وبإمكانها شراء ما تحبه وترغب به.

بالفعل استعدت أمينة للخروج وغادرت منزلها لتجد عدد وفيرا من مساعدي الشرطة يتبعونها، كانت تعلم أنهم سيضيقون الخناق عليها ولكنها لم تهتم واتجهت إلى مركز العاصمة للتسوق، المكان الذي لطالما ذهبته لمشاهدة المتاجر فقط وقراءة لافتات الثمن لتضحك ثم تغادر

لمحل آخر وهكذا حتى ينتهي بها المطاف بكوب من الأيس كريم من متجر معروف نسبيا ليطفئ لهفتها وانجذابها لكل تلك الماركات العالمية التي لم تكن تدرك أنها ستخطو بداخلها في وقت ما.

كانت ثياب أمينة لا تتشابه مع المتجر التي دخلته للتو، لقد كانت ترتدي بلوفر كرتونيا من الصوف يبرز من أعلاه قميص ملونا بياقته الطويلة وبنطال جينز اختفى لونه الحقيقي بعد المرات التي لا تحصى لغسله ونهاية بذلك الحذاء الرياضي الأسود الذي أصبح باهتا من تراكم الغبار عليه.

توجهت أمينة إلى قسم الفساتين، لم تكن تتذكر أبدًا هل ارتدت فستانا في صغرها، هي بالتأكيد لم ترتدي واحدا وهي كبيرة هكذا تذكرت، ولكن هل ارتدت واحدا وهي طفلة، للأسف لم يكن لديها صورا أو أي شيء يذكرها بطفولتها.

ظَلَّ كل من بالمحل يتابعها عن كثب، هم يدركون نوعية الأشخاص الذين يشترون منهم ولكنها كانت دخيلة عليهم، أدركت أمينة ذلك من نظراتهم ولكنها قد أتت للمتجر تلك المرة للشراء وسترتدي فستانا جميلا يغير من شكلها وهيئتها تمامًا.

اختارت أمينة فستانا أزرق اللون ومعه حذاء بكعب وقامت بدفع تكلفتهم وغادرت المتجر وهي مرتدية إياهم تاركة ملابسها القديمة في غرفة تبديل الملابس.

أكملت أمينة تفقدها للمتاجر وقامت بشراء كل ما رغبت به دون تردد واختتمت اليوم بكوبها المعتاد من الأيس كريم قبل أن تطلب سيارة أجرة لأول مرة لتقلها إلى منزلها مرة أخرى.

قبل أن تعود أمينة إلى منزلها عرجت على دار للأيتام قريبة من المنزل، لم تمكث كثيرًا بالداخل وخرجت بعدها عائدة إلى منزلها.

لم يكن ذلك الأمر ليمر مرور الكرام على مساعدي الشرطة الذين أسرعوا إلى مبنى دار الأيتام يستجوبون الجميع عمَّا فعلته الصحفية أمينة ليخرج أحدهم سريعًا يتصل بالعقيد منير.

- لقد قامت تلك الصحفية بالتبرع بمبلغ خمسين ألف جنيه لدار الأيتام.

دخلت أمينة إلى بنايتها لتتابعها كل العيون مندهشة، كان الاندهاش يستولي عليهم، لقد تعرفوا عليها ولكنهم الآن في حضرة الصحفية المعروفة أمينة سعيد.

انفقت أمينة ما يعادل راتب عام كامل لها في ذلك اليوم، جلست على سريرها وهي تتفحص ما اشترته اليوم، كانت سعيدة وهي تقوم بتجربة الملابس مجددًا أمام مرآتها المكسورة المنغمشة التي بالكاد تظهر ملامحها ولكنها كانت راضية مستمتعة بما تفعله.

انتهت أمينة مما تفعله وقامت بارتداء إحدى البيجامات الجديدة التي قامت بشرائها وجلست على الأريكة تفكر فيما هو قادم، لقد استقالت من عملها وقامت بإحراج كبير المحققين وكسبت عداوته دون داع، كما أنها لن تستطيع نشر أو التحدث عن قضية د. هادي بعدما وقعت على إقرار عدم النشر، لم تكن الأمور جيدة حينها ولكنها تذكرت أمرا جعلها تقفز من جلستها وتركض إلى الحمَّام.

جلست أمينة على قاعدة المرحاض وهي تبحث بعينيها في المكان إن كان هنالك كاميرا مزروعة قد يراقبونها بها، هل من الممكن أنها

موضوعة في لمبة الإنارة التي تتدلى من السلك الكهربائي المشقق ذلك؟، أم أنها موضوعة على ماسورة الدش المخروم الذي يفقد أغلب مياهه في طريقه للأعلى ولا يتبقى منه شيء ليخرجه من فوهته العليا؟، أم أنها موضوعة على ذلك الرف الخشبي العطن التي تضع عليه أمينة فرشاة شعرها وقلم الروج المنتهي منذ فترة؟

أيقنت أمينة أنهم لن يستطيعوا مراقبتها في الحمام لذا مدت يدها إلى صنبور المياه الأرضي المعطل منذ أن استأجرت المنزل، لقد أخبرها صاحب الشقة أنه سيرسل أحدهم لإصلاحه ولكن مرت سنين ولم يأت أحد ونسته أمينة ولم تشغل بالا له. سحبت أمينة ورقة ملفوفة بطريقة معينة من فوهة الصنبور وقامت بفتحها لتراجع ما كتب فيها.

- رسالة أولى صور فوتوغرافية – الجريدة.

- رسالة ثانية شريط فيديو – حارس العقار.

- رسالة ثالثة كارت ذاكرة – هدية.

- رسالة رابعة كارت ذاكرة – الجريدة.

- رسالة خامسة كارت ذاكرة - مقهى.

- لقاء.

*(يتم التبرع بنصف الأموال العائدة من تلك الرسائل إلى المؤسسات الخيرية.)

لقد كانت أمينة تنتظر رسالة ستأتيها قريبًا من السفاح ولكنها كانت ستأتيها في الجريدة حيث قامت بسب مديرها واستقالت من عملها هناك.



عادت أمينة إلى الجريدة وكأن محادثتها مع رئيس الجريدة لم تكن، توجهت إلى مكتبها الخشبي الصغير العتيق وحينها تجمع كل زملائها يهنؤونها على ذلك السبق الصحفي التي قامت به، كان الكل سعيد بها ولإنجازها إلا شخص واحد ما زال يجلس في مكتبه رغم ملاحظته لما يحدث بالخارج.

جلس رئيس الجريدة في مكتبه لم يتحرك، في الواقع هو لا يعلم ما الذي يحدث، لقد حدثته أمينة بالأمس تسبه وتتوعده واستقالت في الهاتف، وها هي تأتي اليوم لتباشر عملها وتجلس وكأن شيء لم يكن، انتصف اليوم ومازالت الحيرة تقتله فانتظر حتى هدأت الأمور وكانت أمينة بمفردها فذهب إليها.

- هل لي أن أعرف سبب استمرارك بالعمل؟

- لقد ارتأيت أن أكمل عملي هنا، سيكون لدي وقت فراغ كبير في الصباح إن تركت العمل هنا.

- ولكني لدي القدرة على طردك من هنا.

- إذا فلتفعل، لن يفرق الأمر شيئا بالنسبة لي سوى الشعور بالملل.

اتسعت عينا رئيس الجريدة وهو لا يصدق ما يُقال، ولكن ليس بيده حيلة، سيكون دربا من الجنون أن يقوم هو بطردها من عملها، لقد أصبحت ذو أهمية كبرى للجريدة الآن، ولن يغفر له مالك الجريدة الأمر إن قام بطرد أمينة.

رحل رئيس الجريدة وهو يشتعل غيظا لتراه إحدى زميلات أمينة وتركض نحو أمينة باسمة فرحة.

- ماذا أخبرتيه ليتحول وجهه للون الأحمر الداكن هكذا؟

- لم أخبره شيء سوي ما يجب عليه معرفته.

نظرت الصحفية إلى ملابس أمينة الجديدة وهي تحدثها:

- مبارك عليك الملابس الجديدة يا أمينة، من أين لك هذا؟

- أنا الآن أصبحت معروفة ويجب علي أن أرتدى ملابس تليق بالحدث حتى لو صرفت مرتب شهر كامل على ملابسي.

-هذا لا يكفي مرتب شهر كامل، هذا مرتب عام بأكمله.

- حسنا، كفى هذا الحديث ولتعدي لنا كوبين من الشاي لنشربهم.

قامت الصحفية سريعًا وأعدت كوبا من الشاي لأمينة وعادت لها قائلة:

- لتجعليني أعمل لديك يا أمينة بالله عليك.

- وماذا ستفعلين لدي؟

- أي شيء، أنظم مواعيدك، أتحدث نيابة عنك مع معدين البرامج، أدير لك حساباتك الشخصية، حقا، لِمَ ليس لديك صفحة رسمية على مواقع التواصل؟

- لم يخطر الموضوع على خاطري ولكنك على صواب سأصنع صفحة رسمية باسمي.

- فلتجلبي هاتفك سأساعدك في إنشائها.

أخرجت أمينة هاتفها وجلست تتابع زميلتها وهي تنشأ تلك الصفحة وقد قاموا باختيار اسما لها (صفحة الصحفية اللامعة أمينة سعيد الرسمية).

وسط اندماج أمينة وزميلتها في إنشاء الصفحة ووضع صورة شخصية لها جاءها زميل لها يعطيها مظروفا كتب عليه اسمها فنظرت له أمينة باندهاش ليجيبها:

- لقد جاء مندوب بذاك الظرف وعليه اسمي ولكن ما إن فتحته وجدت مكتوب عليه عناية الصحفية أمينة سعيد.

أمسكت أمينة المظروف وفتحته وسط قلق كبير وترقب من زميلتها التي ظلت تراقب ما يحدث، كان المظروف يبدو فارغا ولكن بتفحصه وجدت كارت ذاكرة بداخله فخفق قلبها بشدة وأسرعت تقوم بتشغيلها.

كان كارت الذاكرة يحتوي على مقطع فيديو مدته ثانيتين فقط، ولكنهم كانوا كفيلين بقلب مواقع التواصل رأسا على عقب في دقائق معدودة وكان ذلك هو أول منشور يوضع على (صفحة الصحفية اللامعة أمينة سعيد الرسمية).

اتجهت أمينة لمغادرة الجريدة ولكنها عرجت على مكتب رئيسها أولًا لتفتح الباب دون استئذان قائلة:

- أردت أن أخبرك أنني أستقيل مجددًا، وإن غيرت رأي مجددًا سأخبرك.

وما كادت أن تغلق الباب حتى عادت مجددًا قائلة:

- لا، ستجدني هنا في الجريدة دون أن أخبرك حتى.



لا أعلم لِمَ تكون كل المصائب في أوقات راحتي؟، لقد أنهيت نوبتجيتي صباحا وعدت إلى منزلي لأقوم ببعض المهام به ولكن عند منتصف اليوم وجدت اتصالا من النقيب حسين مجددًا، فأيقنت أنني سأعود حينها إلى المكتب بعد قضاء الأربع وعشرين ساعة الماضية به ولم تكن كافية.

- ونس أريدك في المكتب في أقل من دقائق معدودة.

- ماذا حدث سيدي؟

- ماذا حدث!، ألا تفتح مواقع التواصل أبدًا؟

حقيقة لم أكن من محبي مواقع التواصل ولكن طبيعة عملي كانت تجعلني أتعامل مع تلك المواقع المختلفة، ولكن في ذلك الوقت لم أعرف عن أي شيء يتحدث.

سمعت أختي ريم حديثي مع النقيب حسين فجأت لتريني على الهاتف فيديو مدته ثانيتين فقط ولكنه جعل إدارة البحث الجنائي كلها في حالة قصوى.

لقد كان فيديو للفنان تامر الكرامي وهو مقيد وجالس على كرسي في نفس الغرفة التي كان بها د. هادي همام.



الإدارة المركزية للبحث الجنائي

اقتحم اللواء فتحي غرفة الاجتماعات حيث يتواجد العقيد منير ورجاله يتناقشون بعد ذلك المقطع الذي نُشر، كان غاضبا للغاية حيث إنه نظر إلى العقيد منير وهو يشير إلى الضباط الصغار وهو يصيح:

- لماذا هؤلاء هنا، لماذا ليسوا في الشوارع يبحثون عن ذاك اللعين؟

حاول العقيد منير تهدئة الأمور.

- أنا أوزع المهام عليهم، وسينطلق الكل إلى مهمته.

- لا أريد أحد على مكتبه، لن يرحل أحد إلى منزله من الآن حتى تأتوني بذلك اللعين.

أشار منير إلى الضباط للخروج من المكتب لينطلقوا في تحقيقاتهم وبالفعل أسرعوا في ذلك ليجد نفسه وجها لوجه مع اللواء فتحي.

- هذا المجرم يجب أن يُقبض عليه بأسرع وقت، لن نظل في وظيفتنا إن لم نفعل.

- لم أبرح مكتبي منذ تولي تلك القضية ولن أغادر إلا وهو في السجن سيدي، ولدينا الصحفية أمينة سأقوم باستجوابها بطريقتنا بعدما خرقت القانون ونشرت مقطع جديد في القضية.

قاطعه اللواء فتحي:

- لن تسجن ولا دقيقة واحدة.

- لماذا؟، لقد رأيتها توقع على قرار عدم النشر.

- عدم النشر في قضية د. هادي همام ومحمود الدريني أما قضية تامر الكرامي فهي قضية أخرى.

صمت منير فجأة وأدرك أن أمينة ستصبح حرة مرة أخرى فحاول تدارك الأمر ليحدث اللواء فتحي:

- حتى لو أفرج عنها، لقد اكتشفنا سيارة الجاني وطرازها وجاري البحث في مجتمع النخبة عن صاحب السيارة.

- وماذا عن باقي الأدلة؟

- نبحث في أمر كروت الذاكرة التي يستخدمها، لقد وصلنا إلى المستورد وسنقوم بتعقب الكارت بواسطة الرقم التسلسلي، وحينها سنصل للمتجر الذي قام ببيعها ومعرفة من قام بشرائها.

- نريد أن نقدم ذلك الوغد بكل الأدلة التي تدينه أمام القضاء.

- نعمل على ذلك.

- ألم أخبرك أن تضع عينا على تلك الصحفية، كيف وصل لها ذلك المقطع؟

- لقد أرسله لها المجرم عن طريق شخص آخر، لقد قبضنا على مندوب التوصيل وجاري التحقيق مع شركة الشحن وتحليل كارت الذاكرة المضبوط.

- إن تلك الصحفية هي وسيلة التواصل الوحيدة لذلك المجرم يجب أن يكون هنالك صلة بينهم، لتتواصل معها بأي طريقة وتستدرجها للحديث لمعرفة المزيد.

- حسنا، سأفعل ذلك.

غادر اللواء فتحي المكتب ليخرج العقيد منير غضبه في المنضدة التي أمامه، فأصدرت قبضة يده صوتا مدويا في المكان.

جلس منير على الكرسي يفكر فيما يفعله، يحاول أن يفهم ما يفعله ذلك المجرم، كل ما لديه في ذلك الوقت هو أنه يقوم بخطف المشاهير المتهمين في قضايا أخلاقية. ظَلَّ منير يفكر بالأمر حتى جائه اتصال من أحد الضباط المشاركين في التحقيقات.

- لقد وجدنا سيارة تامر الكرامي.



اتجه منير إلى مجمع حاضنات السيارات المجهولة حيث وجدوا سيارة تامر الكرامي التي اختفى فيها، ما إن دلف تامر إلى المكان حتى أسرع إليه أحد الضباط يحدثه:

- لم نصل إليها سريعًا لأنها مسجلة باسم آخر، لم يهتم تامر الكرامي بنقل ملكيتها له.

-كيف وصلت إلى هنا إذا؟

- لقد وجدتها دورية مرور مركونة على أحد الطرق السريعة وبالبحث عنها والتواصل مع مالكها أخبرنا أنه قام ببيعها لتامر الكرامي منذ أشهر.

- هل قمتم بفحصها إذا؟

- نعم، لا يوجد شيء غريب بها، لم نعثر على مفتاحها لذا قمنا بكسر الزجاج المثلثي الخلفي لفتحها، كل شيء بداخلها يبدو طبيعيًا جدًّا، وجاري فحص البصمات الآن لعلنا نجد شيء مفيد.

اندفع منير إلى السيارة ليرتدي قفازات سوداء ويجذب فني البصمات من داخل السيارة بقوة ويدخل السيارة يتفحصها بكل تركيز.

كانت السيارة نظيفة لا تدل على أن شخص اختطف من داخلها، فحصها منير بعناية شديدة ولكنه لم يجد أي شيء، فغادر منير السيارة تاركا فني البصمات يكمل عمله.

توجه منير بعدها إلى ضابط المرور ليعرف المكان التي تواجدت به السيارة بالتحديد لينطلق إلى مكان وقوع الجريمة، مكان اختطاف تامر الكرامي.

تعمد منير أن يتبع خط السير الذي قد اتبعه تامر الكرامي، لقد خرج من مكتب وكيل كبير القضاة واتجه إلى ذاك الطريق السريـع، لقد كان متجها إلى منزله في مجتمع النخبة، لكن رحلته توقفت في منتصف الطريق حيث يقف منير الآن.

رصد منير عدة كاميرات في الطريق فأمر أحد الضباط بإفراغها كلها لمعرفة ما حدث، أما هو فوقف في المكان الذي وجدت فيه سيارة تامر يبحث عن أي دليل يقوده إلى المجرم.

حاول منير تخيل ما قد حدث، لا يوجد علامات احتكاك لإطارات سيارات، كما أن السيارة سليمة دون وجود أي خدش أو كسر بها، يبدو أن تامر قد توقف بإراداته، كما أن السيارة سليمة من الداخل، لذا فلم ينشب شجار بها، كان الأمر يبدو مريبا.

اعتقد منير أن تامر قد ركن سيارته طواعية ونزل منها للقاء المجرم وحينها إما ركب معه بإرادته أو قام المجرم باختطافه، ولكنه لم يكتشف كيف فعل ذلك، ظَلَّ منير يفكر بالأمر حتى جاءه اتصال من أحد الضباط الذي كان يمشط المنطقة من أسفل الطريق السريـع.

- لقد وجدنا مفتاح سيارة تامر الكرامي.

حينها أيقن منير أن الأمر انتهى في ذلك المكان وقد تم اختطاف تامر من هنا.

وصل الفريق الفني للمكان وبدأوا في فحص المكان بعناية، ظَلَّ منير اليوم بأكمله يبحث في المكان حتى أن الضباط والفنيين شعروا بعدم جدوى بحثهم ذلك، أمرهم منير أن يجمعوا كل أعقاب السجائر وأكياس الحلويات العالقة بالسور الخرساني للطريق، ولم يكتفي بمسافة صغيرة على طول الطريق بل ظَلَّ يسير معهم حتى تعدت المسافة خمسمائة متر كاملة ليجمعوا كل ما يجدوه من على الأرض.

انقشع النهار وبدأ الليل يسدل ستائره على المكان فوجد منير أن لا نفع من استمرارهم، فأمرهم بالعودة إلى سيارتهم والاستعداد للمغادرة.

مر أحد الفنيين ومعه إحدى حقائب الدلائل الجنائية الشفافة ليلحظ منير شيئا غريبًا بها فاستوقفه يسأله:

- ما هذا الشيء؟

- هذا غطاء محقن طبي وجدته بعيدا مغطى بالأتربة.

٤٠

كنت أجلس في المكتب وبجانبي النقيب حسين الذي ظَلَّ يندب حظه للعمل في الإدارة، حيث أصدر اللواء فتحي أمرا بعدم مغادرة أي ضابط لمنزله دون إذن منه شخصيا، حتى هو شخصيا لم يغادر مكتبه وظل يعمل حتى ساعة متأخرة.

طلب النقيب حسين طعاما من أحد المطاعم الشعبية وجلس بجانبي يأكله، كانت الرائحة فواحة للغاية وشهية وكنت بدأت أجوع فأخرجت علبة طعامي وبدأت آكل أنا أيضًا لينظر لي النقيب حسين في اندهاش قائلًا:

- ما هذا الذي تأكله يا ونس؟

- هذه شرائح من الخيار والطماطم والخس وشريحة مشوية من لحم الدجاج.

- هل تأكل تلك الأشياء دوما؟

لم أفهم مغزى السؤال.

أخرج النقيب حسين شطيرة لحم بالبصل ليضعها أمامي.

- لتجرب تلك الشطيرة، سترمي ما تأكله في القمامة حينها.

- لا أستطيع تناول تلك الوجبات، تسبب لي عسر هضم.

- اللعنة، تلك أكلة دونسيار الأولى وتسبب لك عسر هضم؟

لم أجبه.

- هل أنت من هؤلاء الناس الذين يطلقون عليهم ارستقراطيين يا ونس؟

- لا، أنا ممن يعانون من عسر هضم فحسب.

صمت النقيب حسين وجلس بجانبي نتابع تلك الإحصائيات التي تظهر أمامنا على الشاشة.

كان النقيب حسين من أصغر الضباط في إدارة البحث الجنائي ولكنه كان مدللا نوعا ما، لم يكن مظهره الجذاب وطوله الفارع وعيونه الملونة وملابسه المنمقة سبب ذلك، بل لأنه كان أبن أحد الشهداء، كان والده طبيبا ملحقا بالقوات المسلحة بدونسيار وتوفي أثناء إحدى العمليات العسكرية وقد نال أعلى الأوسمة تقديرا لتضحيته وبالتبعية نال حسين الاهتمام وحسن التعامل لأنه ابن أحد الشهداء.

كان حسين هو المنوط بإعداد التقارير الخاصة بجرائم الإنترنت وتقديمها للواء فتحي، في المقابل كان يحبه اللواء فتحي ولا يقسو عليه وإن كان النقيب حسين يهاب من اللواء فتحي بشدة، ومن قد لا يهاب اللواء فتحي زكي مدير الإدارة المركزية للبحث الجنائي في دونسيار، اللواء الذي اشتهر بسيطرته على الجريمة في أي مكان تولى فيه منصبا ولكنه حاليا يعيش حالة من الضغط العصبي بسبب تلك القضية الشائكة، لذا كان الجميع يتحاشاه في تلك الفترة.

بالعودة إلى النقيب حسين فقد كان صديقا لنا ويخاف علينا، يهتم بأمور المكتب ولا ينفعل على أحد إلا ما ندر، كنت أكبره سنا لذا كان يدعوني بالمهندس ونس عندما عُين حديثا في المكتب في الوقت الذي

كان الجميع يسخر مني فيه، وعندما أثبت نفسي في المكان وذاعت شهرتي أصبح الجميع يحترمني أما هو فقد أزال لقب مهندس من اسمي ولكني لم اعترض ولم أغضب.

أعلم أنه لم يتزوج بعد ولم يرغب في الزواج أبدًا، لقد كان يحب حياة الحرية كما كان يقول دائما، كان يدعوني دائما للخروج معه في الأماكن التي اعتاد أن يسهر بها ولكني كنت أتحجج دائما بأسباب واهية، كان يمازحني دائما بأن تلك الأماكن بريئة وليست كما أظن، كما أنهم يوفرون اللبن الدافئ إن أردت ولكني كنت أرفض دوما، لعل في حياة أخرى قد نكون أنا وهو أصدقاء حقا.

أنهى حسين طعامه وقام برمي بواق الطعام في سلة قمامتي وقال لي وهو يمضغ آخر قطعة طعام:

- لتطبع لي ما قمنا بإنجازه لأقدمه للواء فتحي لعله يرضى عنا ويسمح لنا بالمغادرة.

طبعت له ما أراد ولكن ما جاء في التقرير كان لا يبشر بأن هنالك مغادرة لأي أحد، لقد اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بمقاطع تلك الصحفية وأصبحت محتوى رائج بداخل دونسيار كلها وأنضم لصفحتها أكثر من مائتي ألف معجب في يوم واحد بعد نشرها المقطع ذا الثانيتين فقط، وأصبح الجميع يحثها على فضح المزيد من مدعيين المثالية وتقديمهم للمحاكمة وقد أطلقوا عليها جالبة حق الفقراء وازدادت شهرتها بقوة وأصبح لديها نصير كبير من المواطنين.

ولم يكتفي الأمر على ذلك بل انتشر العديد من الهاشتاج المختلفة المتعلقة بتلك القضية، فقد ظهر هاشتاج:

#أدعم_قاتل_المشاهير،

#معا_لكشف_أسرار_المشاهير،

و #أدعم_الصحفية_أمينة،

ولكن كان هنالك هاشتاج ينفرد بقمة اللائحة وبفارق كبير ويتضاعف بمقدار رهيب، لقد كان

#نريد_اعترافات_تامر_الكرامي.

٤١

عاد ماهر إلى القبو حيث يتواجد د. رأفت حاملا معه حقيبة ورقية مليئة بأكياس المكسرات وبدأ في إخراجها واحدا تلو الآخر وسط دهشة د. رأفت مما يحدث، انتهى ماهر مما يفعله لينظر إلى د. رأفت يحدثه:

- الكل يحبني.

تخلل القلق لد. رأفت، لقد كان يتابع كل الأحداث الماضية على التلفاز ويعلم عن أي شيء يتحدث ماهر، لقد شعر بأن ما يفعله من اختطاف وتعذيب للضحايا أمر صحيح والجميع يشجعه على ذلك، يبدو أن الأمور تسوء أكثر.

- هل أنت سعيد لما يُحكى عنك في مواقع التواصل؟

- وهل من المفترض أن أكون حزين؟

- لا، لكن ذلك لن يساعدنا في علاجك.

- كيف ذلك؟

- أنت سعيد لتشجيع رواد مواقع التواصل لك وما تفعله، ما خطوتك التالية إذا؟

رد ماهر سريعًا بدون تفكير:

- سأنتزع كل الاعترافات من تامر الكرامي وأرسلها إلى تلك الصحفية.

صمت د. رأفت ولم يعقب وترك ماهر يفكر فيما قاله ليجد أنه مستمر فيما كان يخطط له، فحاول التراجع عمَّا قاله ليتحدث إلى د. رأفت

- إنه مجرم وقام بجرائم شنيعة، الكل يكره المجرمين.

- الكل يكره المجرمين، ولكن ليست مهمتك أن تنتقم منهم، هل تعتقد أنك تختلف عنه الآن، هو قاتل وأنت قاتل.

- لكني أقتل القاتلين، أنا أحمي الناس من شرورهم.

- هكذا تعتقد، أنت مريض وقد يكون هو أيضًا مريض.

اندهش ماهر مما قاله د. رأفت.

- هل يمكن أن يكون مريضا نفسيا؟

- لما لا، قد يكون لديه علة مرضية جعلته يقدم على ما يفعله، وتلك هي وظيفتي في تحديد ذلك الأمر.

-هل يمكنك معرفة إن كان مريضا نفسيا أم لا؟

- نعم، ولكن يجب إجراء بعض الفحوصات الطبية عليه أولًا.

- هل آتي به إليك لتخبرني بالأمر قبل قتله؟

توتر د. رأفت مما قيل، إنه يستأذنه في إصدار أمر إعدام لشخص ما، إن ثبت أنه عاقل فسيرسله إلى قبره حينها، تشجع د. رأفت حينها ليجيب ماهر:

- لن تكون هنالك عملية قتل، لقد أخبرتك أن ذلك لن يفيد في علاجك.

بدا ماهر حزينا لما سمع فحاول د. رأفت تغيير اتجاه الحديث.

- هل قمت بزيارة طبيب المخ والأعصاب الذي أخبرتك به؟

- لقد أعطوني موعدا بعد أسبوعين، يقولون أن ذلك أول موعد متاح.

لاحظ رأفت الهدوء الذي أصاب ماهر بعدما قاله منذ قليل، لقد اختفى الحماس الذي كان على وجهه عندما أتى إلى القبو، فتحدث إلى ماهر:

- أنا مستعد أن أتحدث إلى تامر الكرامي وأبحث عن سبب ارتكابه لجرائمه.

تغيرت ملامح ماهر فجأة وبدا سعيدا ومتحمسا مجددًا ولكنه وجد د. رأفت يكمل حديثه:

- ولكن على شرط واحد.

- ما هو؟

- أن تعدني بألا تقتله.

صمت ماهر قليلًا وأخذ يفكر وبعد لحظات أجاب د. رأفت:

- موافق، هل آتي به الآن؟

لم يتوقع د. رأفت لهفة ماهر على ذلك الأمر ولكنه لم يكن بيده حيلة فأومأ له موافقا.

نهض ماهر سريعًا من كرسيه يستعد للمغادرة ولكنه بدا أنه تذكر شيئا فعاد إلى د. رأفت يخبره:

- تامر شخص عصبي المزاج كثير السباب، لذا فلا تأخذ الأمر شخصي بينك وبينه.



لم يمض الكثير حتى عاد ماهر وهو يجر شخص على كرسي، مكمم الفاه، مقيد بقيود كثيرة جعلت حركته الدؤوبة على التخلص من قيوده ضعيفة للغاية، ولكن ظلت رقبته تتحرك يمينا ويسارا معلنة عن سخطه الشديد لما يحدث له.

اقترب ماهر من الفاصل الحديدي مع د. رأفت وعدّل من جلسة ذلك الشخص لينظر د. رأفت إلى تامر الكرامي الذي بدا عليه التعذيب الشديد، ذلك الدم المتخثر على جميع أصابع قدمه، وبعض أصابع يده التي لا يستطيع تحريكها، وأنفه المعوج ناحية اليسار، يبدو أن فترة مكوثه في المكان لم تكن بالجيدة أبدًا.

توجه ماهر إلى تامر ليحدثه بلهجة أشبه بحديث أب لابنه المشاغب:

- سأنزع اللاصق من على فمك، لتتحدث بأدب كيلا أعيدك مرة أخرى إلى غرفتك.

ما إن نزع ماهر اللاصقة حتى انطلق تامر بالصياح.

- سأقتلك أيها العاهر.

أعاد ماهر اللاصقة سريعًا إلى فم تامر ونظر إلى د. رأفت قائلًا:

- ألم أحذرك من طريقة تحدثه؟، عذرا لما سمعته، سأعود به من حيث أتينا.

صاح د. رأفت وهو يحدث ماهر:

- لا، لتتنظر حتى انتهى مما اتفقنا عليه.

توقف ماهر وهو ينظر لد. رأفت ثم نظر إلى تامر يحدثه:

- أترى؟، د. رأفت يريد مساعدتك رغم ما تفعله، فلتحسن التصرف إذا.

أزال ماهر اللاصقة مجددًا من على فم تامر ليعود الأخير إلى السباب مجددًا.

- سألاحقكم جميعا أيها الحقراء.

أخرج ماهر شاكوشا صغيرا من سترته وهوى بها على ركبة تامر وهو يحدثه بصوت حاد:

- لتصمت إذا.

انتفض د. رأفت من جلسته لما رأه ومع انطلاق تلك الصرخة الكبيرة من فم تامر الذي أخذ يتألم كثيرًا وكثيرا وبدأت الدموع تهرب من عينيه.

ظَلَّ الوضع هادئا بعدها، لم يكن هنالك صوت سوى صوت تأوهات تامر المكتومة من تلك الطرقة وبعد دقائق بدأ ماهر في الحديث وهو متحمس.

- إذا، لنبدأ.

اتجه ماهر إلى كرسيه وأمسك بطبق المكسرات وبدأ في تناول بعضا منها، وأشار إلى د. رأفت إلى أنه باستطاعته البدأ فيما سيفعله.

تسمر د. رأفت لم يستطع الحديث مما رأه للتو فأكمل ماهر حديثه:

- هل تريد مني الرحيل بسبب أمر الخصوصية ذلك بين الطبيب ومريضه؟، حسنا. سأغادر.

ظَلَّ د. رأفت غير مستوعب ما يحدث حوله، فقط ظَلَّ ينظر إلى ماهر وهو يتجه مجددًا إلى تامر يرفع رأسه رغمًا عن إرادته وينظر إليه قائلًا:

- لتحسن التصرف وإلا سآتي إليك لألقنك درسا لن تنساه.

ثم أخرج ماهر هاتفه ليضعه على ركبة تامر المصابة ليشغل أحد التسجيلات الصوتية منه ويغادر المكان ويبدأ التسجيل في التشغيل.



بدأ التسجيل وظهر صوت تامر الكرامي واضحًا وهو يتحدث مع شخص آخر متواجد معه في نفس المكان وهو يوبخه:

"- لقد أخبرتك ألف مرة أنني لن أرد عليك في الهاتف، قد يكون مراقبا ... ماذا كنت تريد؟

- يا تامر بك أنت تجعلني أتي من على بُعد مئات الأميال وأنت تعلم ماذا أريد، أريد باقي حساب الرجال".

استمع تامر إلى بداية التسجيل فأصابه الذعر وحاول أن يمسك بالهاتف ولكن قيوده كانت حائلا لذلك، حاول جاهدًا أن يسقط الهاتف من على ركبتيه ليزداد ألمه أكثر ويسقط الهاتف ولكن ظَلَّ التسجيل يعمل.

"- تريد باقي حساب الرجال الذين دفنوا الفتاة في الطريق الصحراوي، ومع أول كلب مر عليها أخرج جثتها؟ ... أقمتم بدفنها على سطح الأرض أيها الحمقى!

- أقسم لك أننا حفرنا لأمتار عدة، ولكن يبدو أن الكلاب قد رأتنا وأخرجتها بعد رحيلنا، لكن لا تقلق لم نترك خلفنا أي أثر.

- تلك هي أموالكم، ولا تحدثني على الهاتف أيا كان السبب، ولتأمر رجالك أن يختفوا قليلًا حتى تهدأ الأمور."

انتهى التسجيل وحينها بدأ تامر في الانفعال وأخذ يزيد من السباب والألفاظ البذيئة وكلها كانت موجهة إلى د. رأفت الذي يجلس خلف

القضبان لا يعلم في أي شيء ورط نفسه، ظَلَّ تامر في انفعاله وأخيرا صاح به د. رأفت ليسكته:

- أصمت ... لست أنا من قام بالتسجيل لك، ولست أنا من خطفك، أنا مثلك هنا.

صمت تامر فجأة وأخذ ينظر إلى القفص الحديدي الذي يفصل بينه وبين د. رأفت الذي يجلس على كرسيه ولا يبدو عليه أي أثار للتعذيب مثله، أما د. رأفت فظلت عيناه تنظر إلى الهاتف المرمي على الأرض بالقرب منه بعدما أسقطه تامر، يعلم أن ماهر يراقبهم عن طريق تلك الكاميرات بالتأكيد ولكن جال في خاطره الأمر هل يستدعي الأمر المخاطرة أم يظل في سجنه آمنا لحين آخر.

نهض د. رأفت يركض داخل الغرفة ليلتقط الهاتف ليتصل بالنجدة، أمسك بالهاتف ليفتحه ليجده بدون شريحة اتصالات وبدون اتصال بالإنترنت، لقد كان معزول تمامًا عن العالم الخارجي.

كل ذلك ومازال تامر يستمر في سبابه ووعيده لد. رأفت الذي شعر بضيق شديد بعد فشل محاولته ومع استمرار سباب تامر خرج د. رأفت عن شعوره ليصيح به بحدة:

- أصمت حتى لا تُرسل إلى القبر بجانب الآخرين.

٤٤

هدأت الأمور قليلًا في المكان وجلس د. رأفت بعدما علم أنه باقٍ في المكان لمدة لا يعلمها. جلس وأخذ ينظر إلى تامر التي بدأت قواه تضعف وأصيب بالتعب بعد كم السباب الذي أطلقه، فتحدث د. رأفت:

- سنبدأ الجلسة الأولى، هل أنت جاهز؟

لم يجبه تامر.

- أنا د. رأفت سليمان طبيب نفسي، وأنا هنا لمساعدتك.

نظر له تامر وهو يبتسم ويجيبه:

- حقا؟!، لماذا لا تذهب وتضاجع نفسك، هذا ما قد يساعدني.

لم تتغير ملامح د. رأفت كثيرًا بل أكمل حديثه:

- هل تخبرني عن دوافعك لقتل تلك الفتاة وعملك في تجارة الفتيات مقابل الجنس؟

- أنت معتوه مثله، أقسم لك إنك معتوه.

جلس ماهر في الطابق العلوي يشاهد ما يدور بين د. رأفت وتامر الكرامي ليصدر صوت من خلفه يحدثه:

- ونس، ما الذي تفعله؟

أدرت رأسي بسرعة وأنا أنظر لمصدر الصوت أجيبه:

- ريم؟!، ماذا تفعلي هنا؟

٤٥

حسنا، لقد أردت إخباركم بالأمر منذ البداية ولكنكم لم تكونوا لتتعاطفوا معي وتعذروني عمَّا يحدث معي، أنا لست مؤلفا محترفا أستطيع إخفاء الإثارة حتى النهاية أو مخرجا سينمائيا لأرسم لكم لوحة فنية تجعلكم تتعاطفون مع ما أفعله، أنا شخص عادي أردت توثيق ما حدث لي ويبدو أنني لم أوفق في النهاية.

أود إخباركم عمَّا جعلني أنا ونس فريد مهندس الاتصالات الناجح في عمله إلى التحول لأصبح ماهر حميدة، السفاح الشهير في دونسيار، ولكن أولًا أريد أن أخبركم أن الأمور ليست كما تعتقدون، وكما طلبت منكم في البداية، ألا تصدروا أحكامًا استباقية علي قبل أن أنهي قصتي كاملة وحينها يمكنكم الحكم علي.

الفصل الثاني

٤٦

حسنا، لأعرفكم سبب ما حدث أكثر يجب علي أن أعود بكم لعدة سنوات في الماضي حيث كانت ريم أختي تعمل كطبيبة في إحدى مستشفيات مدينة طقشة شرق دونسيار.

كانت ريم في إحدى النوبتجيات الكثيرة التي كانوا يكلفونها بها بسبب قلة عدد الأطباء أو بالأصح لقلة عدد الأطباء المطيعين الذين يرضخون لتوزيعة النوبتجيات المجحفة التي يضعها زملائهم الأطباء الآخرون، كانت ريم تشكو كثيرًا من الإرهاق والتعب من تتابع النوبتجيات وتلاحمها دون أن تأخذ قسطا من الراحة ولكنها كانت تشكو لنفسها فقط أو عندما يفيض بيها الكيل تشكو إلي، لم توجه شكواها أبدًا في مكانه الصحيح بل إنها كانت تقابل رؤسائها في العمل بابتسامة بلهاء وكأنها سعيدة بتواجدها معهم وتنعم بسلام نفسي كبير ولكن في داخلها كانت تمسك بمبضع جراحة وتتهجم عليهم مشوهة وجوههم دون توقف أو إحساس بالندم أو التراجع.

كنت ألوم عليها من عدم الاعتراض أو على الأقل الحفاظ على صحتها النفسية، كانت تقابل حديثي بالابتسام مرة أو موافقتي على أنها يجب أن تأخذ موقف جدي لما يحدث لها ولكنها لم تفعل وظلت تعمل ليل نهار في المشفى حتى إنها لم تكن تغادره لمدة أسبوع كامل دون راحة وكان شقاؤها مصدر راحة لأغلب أطباء المشفى الآخرين الذين لم يهتموا بها أبدًا إلا عندما يأتوا لها متبسمين ليخبروها أنها ستبيت ليوم آخر في المشفى ولكن لنعطهم حقهم، فقد كانوا يزيدون لمسة عطف مع تلك الابتسامة وكأنهم يخبرونها بأن ليس أمامهم حل آخر سوى ذلك وأنهم لا يريدون التحامل عليها.

على كلٍ ليس هذا ما كنت أنوي أن أحدثكم عنه، فالأمر الهام كان اتصال ريم بي في الساعات الصباحية للعمل، لم تكن تفعل ذلك أبدًا نظرا لاحترامها لساعات العمل الخاصة بها وبي فقد كنت حينها أدرس بالخارج لاستكمال درجة الماجيستير الخاصة بي وهي تعمل بالمشفى، عندما وجدت اسمها على الهاتف ارتعدت وشعرت أن هنالك أمرا طارئا فلم انتظر أن انتهي مما أفعله واستأذنت سريعًا للرد عليها:

- ريم، هل أنت بخير؟

أجابتني ويبدو على صوتها شيء لم أعهده من قبل:

- نعم، آسفة، هل أنت مشغول؟

- أنا في الجامعة الآن، لكن أخبريني ماذا هناك؟

تلجلجت ريم وهي تجيب وهو شيء غير معهود منها، مما جعلني أصاب بالتوتر أكثر منتظرًا إجابتها.

- إذا، سأحدثك عندما تنتهي من يومك ولكني بخير لا تقلق.

شعرت ببعض الراحة بعد سماع ردها فلقد استبعدت حينها أن يكون شيء مكروه قد أصابها ولكن الفضول ما زال يتملكني حتى أعرف سبب ذلك الاتصال الغير معهود.

- هل أنت على ما يرام حقا يا ريم؟

- نعم، أردت أن أخبرك بخبر سعيد فحسب ولكن أعتقد أنني سأنتظر حتى تنهي عملك اليوم.

أجبتها وأنا ابتسم وقد تغيرت ملامحي وزال التوتر واستعدت لتلقي ذاك الخبر السعيد منها.

- لا، لقد استأذنت للخروج، يجب عليك أن تخبريني بذلك الخبر.

صمتت قليلًا وشعرت لوهلة أنني فقدت الاتصال بها ولكن جاء صوتها خجولا ضعيفا وكأن الكلمات تأبى الخروج من فمها.

- لقد قابلت أحد الضباط، وأعتقد أنني معجبة به.



أنهيت المكالمة حينها مهنئا ريم ولكن عقلي ظَلَّ مشغولا يحاول إيجاد تفسيرا منطقيا لما قيل، بعيد عن أن ريم لم يكن لها أي تجارب عاطفية سابقة ولم تكن من الأشخاص الذين يبحثون عن الارتباط أو هكذا ظننت فقد كانت تولي دراستها وعملها كل وقتها بل إنها كانت تبتعد عن أي تجمعات أو مناسبات يتواجد بها حشد من الناس لتفادي تكوين علاقات بهم أو التعلق بأحد ما، هكذا كنت أنا أيضًا، أو هكذا تمت تربيتنا.

كانت ريم تحب الاستقلالية، لا أحد يؤثر عليها ولا تؤثر هي على أحد إلا في أضيق الحدود، أظن أنها كانت تتحدث معي وتشاركني أخبارها لأننا إخوة كنا نتشارك منزل واحد لفترة طويلة من الزمن ليس إلا، اعتقدت أنها زهدت الحياة وقد وهبت حياتها للعلم والدراسة والعمل ولكن كلمة ضابط هي التي لا أستطيع أن أفسرها، ريم معجبة بضابط!

كانت ريم من كارهي الضباط بكل تخصصاتهم، لعل ذلك بسبب أحد الضباط الذين تنمروا علي أنا وهي في طفولتنا عندما نسيتنا أمنا في المدرسة ليوم كامل بسبب سهرها الدائم للتحضير لأحد مشاريعها العقارية المهمة، ظللنا في المدرسة وتم إرسال أحد الضباط الصغار للاعتناء بنا حتى يتم التواصل مع ذوينا، ظللنا بالمدرسة من الظهيرة حتى غروب الشمس بفترة حتى ظهرت أمنا التي غلبها النعاس في مكتبها وهي تعمل واستيقظت مذعورة لغروب الشمس دون القدوم لاصطحابنا.

ظللنا في تلك المدة في أحد الفصول الخارجية للمدرسة ومعنا إحدى المدرسات الشابات وذاك الضابط وإحدى العاملات بالمدرسة،

كان الضابط يتمتع بحس دعابة ولكنه من النوع الغير محمود، حس دعابة يعتمد على التنمر على الآخرين، لم أكن أعلم لم قد يتنمر شخص في وظيفته على أطفال صغار مثلنا حينها، ولكن حينما كبرت وظل الموقف راسخا في نفسي لا أستطيع نسيانه علمت أنه كان يريد التودد لتلك المدرسة الشابة عن طريق إضحاكها، وكان ذلك عن طريق التنمر على تسريحة شعر ريم التي كانت تحبها وتطلبها يوميا من أمنا، وأيضًا التنمر على جسدها النحيل الغير متوافق مع سنها متهما إياي بالتهام أكلها، وأيضًا التنمر على إننا توأم متشابه وأن هذا شيء محير أن يحدث لولد وفتاة وسيكون أمر محرج للفتاة عندما تكبر وتكون شبيهة لأخاها.

ما إن علموا أنهم توصلوا إلى أمي وأنها في الطريق حتى استكمل تنمره وبدأ بالتهكم على أمنا وأنها قد فعلت ذلك عن عمد لعدم رغبتها في أن نكون معها لأننا أشقياء ونسبب له ضرر نفسي، وكأنه عليم بأمور غيبية، كان ذاك الضابط يعاني من مشكلة نفسية ما ولكن التي كانت تعاني أكثر منه هي تلك المدرسة التي ظلت تضحك على دعاباته وهي تنظر إلينا وكأننا نعاني من مشاكل حقيقية بالفعل.

للعلم كانت أمنا مثال جيد للأمهات التن قد تولين زمام المسؤولية الكاملة في كل شيء في الحياة، كان والدنا خارج البلاد دائما نادرا ما نراه، كانت أمنا هي مصدر أمننا وحياتنا دون مشاركة من أحد، نعم نمتلك أموال طائلة وشركات عديدة ولكن لم نكن نمتلك عائلة مترابطة، ظن والدي أنه يمكن توفير كل شيء بالمال وبالفعل وفر لنا كل سبل الراحة بمنزل فاره كبير وألعاب كثيرة حديثة ويلبي طلباتنا دون تذمر أو تأخير ولكن ذلك لم يرق لأمنا حيث كانت تبحث عن الأسرة المترابطة المتحابة، حاولت كثيرًا مع أبي أن يتواجد بجوارنا ولكنه لم يحب الأمر وظل يتملص حتى أصبحت رؤيته كرؤية المشاهير في مكان عام.

تأقلمت أمي مع الوضع وحاولت أن تكون هي الأم والأب في نفس الوقت ولم تبخل بجهدها أبدًا في رعايتنا وتربيتنا، بل إنها حاولت أن تقوم بمهامها كاملة دون مساعدة من أحد، كانت تعد الطعام بنفسها وكانت تحضرنا للمدرسة يوميا وتأتي لاصطحابنا وفوق كل ذلك كانت ناجحة للغاية في عملها وكانت تحبه، رغم عروض أبي المتكررة لتعيين أشخاص لمساعدتها في البيت وسائق خاص لنا ولكنها رفضت أي شخص يلغي تفاعلها المباشر معنا واكتفت بعاملة تقوم بتنظيف المنزل ولكنها لم تكن لها احتكاك شخصي بنا، لذا كنا متعلقين بشدة بها وأحببناها وكانت هي مصدر الطمأنينة الوحيد لنا، لذا هي ليست مثال جيد للأمهات فقط بل هي مثال فخر.

وصلت أمنا إلى المدرسة تركض وهي ملهوفة وبدا أنها كانت تبكي لما حدث، كنا سعداء للغاية لرؤيتها والتخلص من ذاك الثرثار البغيض الذي اتخذنا مادة خام لدعابته ليعجب تلك البليدة التي لا تمت للمدرسين بصلة.

تأسفت أمي لهم فهي لم تكن تعرف ماذا فعلوا بنا وظلت تحتضننا وتأسفت لنا أيضًا ورافقتنا إلى السيارة للعودة للمنزل، ظللت أنظر متعجبا من نافذة السيارة على ذلك الشرطي والمدرسة اللذان أخذا يلوحا لنا بيديهما يودعونا وهم يبتسمون بلطف شديد بالرغم من أنهم كانوا يسببون لنا أذى كبيرا منذ لحظات، ظلت ريم جالسة بجانبي في المقعد الخلفي للسيارة وهي صامتة لا تتحدث، كنت أشعر بحزنها ولكنها لم ترد أن تظهره أمامنا والدليل على ذلك أنني لم أرها بتلك التسريحة الجميلة التي كانت تحبها منذ ذلك الحين.

ما إن أتذكر تلك الحادثة حتى ألوم نفسي على عدم الدفاع عن أختي وعن نفسي، ولكن لعل صغر سني يكون شفيعا لي أمامها فنحن لم

نتحدث أنا وهي في تلك الحادثة مجددًا، ولكن بالنسبة لي فإن تلك الحادثة قد أثرت في نفسيتي وربما كانت أحد الأسباب في جعلي ضعيفا غير واثقا من نفسي كما كانوا يخبرونني دوما عندما كبرت.

كانت تلك الواقعة سبب مباشر لريم في كره الضباط، وقد ازداد الأمر مع عدة مواقف أخرى حدثت معها على مرور الوقت ولسوء حظها فقد حدثت مع ضباط أيضًا، فهنالك ضابط آخر سمعته يوجه حديثه إلى أمنا بعدما قدمت بلاغا في والدنا بعد طلاقهم تتهمه فيه بعدم التواصل مع أبنائه لسنوات فضحك الضابط حينها وهو يخبرها متهكما:

- إنه يرسل لكم أطنانا من الأموال، لما قد يحتاجون لرؤيته؟

كل تلك الأمور دارت في رأسي لمجرد أنها قالت أنها قد قابلت أحد الضباط وقد أعجبت به، أعلم لِمَ قالت ضابط بالأخص فقد كان من الممكن أن تقول أنها قابلت شخصا ما وأعجبت به لكنها تعلم بأنني على علم بكرهها للضباط أو لمواقفها السيئة معهم، لذا كان علي الانتظار لإنهاء عملي لأسمع قصتها وعن مقابلتها لمعتصم.

كان معتصم حين مقابلته لريم ضابطا في هيئة ردع السموم والمخدرات في مدينة طقشة، كان الوضع هادئا في منتصف الليل خارج المشفى حتى سُمع صوت اصطدام قوي بالقرب من الطريق السريع أمام المشفى فتأهب الجميع متوقعين وجود مصابين نظرا لقوة صوت الارتطام، بعدها بدقائق دخل معتصم إلى المشفى وهو مصاب بكسر في قدمه بعدما أصيب أثناء مطاردته لأحد الخارجين عن القانون، كانت قدمه مكسورة ومصاب بعدة جروح متفرقة في جسده، على ما يبدو أنه كان في شجار كبير مع ذلك المجرم الذي يسحبه خلفه من قميصه،

بالرغم من وجود إصابة بالغة في قدم معتصم فإنه ما زال يستخدمها لألا يقع.

كانت حالة المجرم يرثى لها مقارنة بمعتصم فلم يستطع المجرم الوقوف على قدميه الاثنتين والدماء تغطي ملامح وجهه تمامًا وجعلته يشهق محاولا استنشاق الهواء بدلا من دمائه.

جلس معتصم على كرسي في بهو المشفى وظل منصوب القامة شادا ظهره لأعلى حتى لا يفقد الوعي وجذب المجرم باتجاهه ليجلسه على الأرض بجانب قدميه وهما يقطران دما على الأرض دون توقف.

تجمع الطاقم الطبي حولهم في محاولة لعلاجهم لكن معتصم أمرهم بالابتعاد وأخرج الأصفاد من جيبه ليكبل المجرم بيده ونظر للخارج كأنه ينتظر شخصا ما ولم يوافق أن يتم علاجهم إلا بعد أن جاء أحد زملائه ليطمئنه أنه سيتولى مسؤولية المجرم وحينها تم البدء في إسعافهم.

كانت ريم هي الطبيب النوبتجي كالعادة في ذلك اليوم ورأت كل ما يحدث في الاستقبال باندهاش وقد تملكها الخوف والتوتر أكثر عندما تولت أمر إسعاف النقيب معتصم.



وقفت ريم تتابع حالة معتصم الذي مدد بجسده على أحد الأسرة وهو يتابع بترقب ما يحدث حوله، قام أحد الممرضين بوضع قدم معتصم في الجبس بعدما تأكدوا من وجود كسر بها، وتولت ممرضة أخرى تنظيف وجهه من أثار الدماء واكتشاف جروحه، أما ريم فكانت تقف خلفهم متوارية مادةً يدها من بعيد تتحسس وظائفه الحيوية بسماعتها الطبية وفجأة ابتعد الممرضين عن معتصم لتظهر هي أمامه وهي تمد يدها بطريقة غريبة للغاية فنظر إليها وهي تتدارك الأمر تقترب منه وهي خائفة، مرت تلك الدقائق كالدهر على ريم وما إن انتهت حتى أخبرته أنه يجب أن يظل تحت العناية ليوم كامل حتى يتأكدوا من سلامته وحينها يستطيع المغادرة.

مد معتصم يده اتجاه ريم وهو يحدثها:

- هل من الممكن أن تعطيني هاتفك، لقد كُسر خاصتي وأريد استخدام الهاتف.

تسمرت ريم للحظات ولكنها بحركة تلقائية أخرجت هاتفها بسرعة لتعطيه إياه وهي تفتحه، أمسك معتصم الهاتف وهو ممتن لها ويطلب منها أن تخبره بكلمة السر، حيث أنه سيحتفظ بهاتفها لفترة وسوف يعيده لها مجددًا دون أن يتعدى على بياناتها الخاصة.

وقفت ريم متجهمة لا تعرف ماذا تقول ولكنها لم تعترض أيضًا وبحركة خضوعية قامت بإخباره برمز فتح الهاتف دون اعتراض منها وحينها بدأ معتصم وكأنه يبحث عن شيء ما في الهاتف ولكن ريم لم تعرف عن أي شيء يبحث ولم تستطع أن تقوم بسؤاله.

غادرت ريم وتركت معتصم ليرتاح ولكن في طريقها للخارج اصطدمت بحشد كبير من الرجال الذين بدا أنهم يحرسون شخص مهم حتى أن أحدهم قام بدفعها لتبتعد عن طريقهم فتداركت ريم نفسها قبل أن تقع وهي تنظر لذاك الشخص الذي توجه إلى الغرفة حيث يتواجد معتصم وحينها ظهر صوت عال في المكان وهو يصيح في معتصم ولم يمض الكثير حتى خرج الرجل وهو حانق للغاية ويتبعه رجاله مجددًا لخارج المشفى.

طلب معتصم رؤية ريم مجددًا فذهبت إليه ومازال التوتر يتملكها فمد يده يعطيها هاتفها ويشكرها فأخذت هاتفها بهدوء وهي في طريقها للخروج استوقفها قائلًا:

- ألن تسأليني عن سبب احتفاظي بالهاتف؟

وقفت ريم في مكانها واستدارت ولكنها لم تستطع الإجابة وظلت تنظر إلى معتصم دون رد فكسر هو جمودها.

- هذا هاتفك، كان يجب أن تسألي عن سبب تركك له لي.

أجابته ريم ببديهية ساذجة:

- ألست ضابطا؟

ابتسم معتصم لتلك الإجابة رغم الآلام المنتشرة في كل جسده وأجابها:

- هل هذا سبب قوي لتعطيني هاتفك ليظل معي؟

- أعتقد ذلك.

حينها شكرها معتصم مجددًا وغادرت الغرفة ولكن لم تمر ثواني حتى عادت مجددًا وهي تسأل بوجه حازم ممتزج بالترقب:

- لم احتفظت بهاتفي معك؟

ابتسم معتصم مجددًا وهو يحاول الجلوس على السرير فأسرعت ريم تمسك بيده تساعده حتى تمكن من الاعتدال في جلسته ونظر إليها يحدثها:

- هل تعلمين من كان ذاك الشخص الذي زارني منذ قليل؟

هزت ريم رأسها بالنفي، فأكمل:

- هذا كان مديري بالعمل، لقد أتى ليوبخني على القبض على أحد أبناء أشهر تجار المخدرات في دونسيار، هذا الرجل الذي دخلت به إلى المشفى، أما عن هاتفك فقد أخذته لأقوم بتسجيل الحوار الذي سيدور بيني وبينه ولكن الأمور لم تسر على حسب ما خططت لها.

تجهمت ريم لسماع ذلك الكلام، فلماذا يخبرها بتلك التفاصيل، وهل مسموح لها أن تعرف بتلك الأشياء، ولكنها سألته مستفسرة:

- لِمَ تقوم بالتسجيل لمديرك بالعمل؟

نظر لها معتصم بإمعان شديد وهو يخبرها:

- لتفكري بالأمر وستكتشفين الإجابة.

حاولت ريم التركيز لتصل لإجابة ولكنها لم تكتشفها في حينها فقامت بسؤال معتصم:

- هل أنت في مأزق؟

أجابها وهو يبتسم:

- بالتأكيد، ولكني لم أفعل أي شيء خطأ.



ظلت ريم تفكر فيما قاله معتصم ولكنها لم تصل لإجابة واقعية حتى جاءها أحد الأشخاص يافع السن يطلب مقابلتها بشكل فردي، كان ذلك الشخص يرتدي ملابس فاخرة متناسقة و يبدو عليه الوقار الشديد والحديث بلباقة بارعة، عرف نفسه أنه المحامي الخاص بعائلات الجيرة، عائلات الجيرة المشهورة بتجارة المنسوجات والأقمشة، كان المحامي قد أتى بسبب حادثة النقيب معتصم والتي على إثرها تم القبض على أحد أبناء العائلة بتهمة الاتجار في المخدرات بعد العثور على خمسة كيلوجرامات من مخدر الميثامفيتامين في سيارته التي كانت في حادثة التصادم التي حدثت أمام المشفى، كانت ريم تجلس لا تعرف ما صلتها بالأمر وما الغرض من المقابلة وحينها بدأ المحامي في توضيح سبب اللقاء.

بدأ المحامي في الاستفسار بسؤال ريم عن حالة موكله عند وصوله المشفى، وإن كان هنالك من أحدث به تلك الإصابات. كان من الطبيعي أن تكون إصاباته بسبب اصطدام سيارته وأيضًا بسبب الشجار الذي نشب مع أحد الأشخاص وهذا ما حدث بالفعل، فاستفسر إن كان النقيب معتصم في قواه العقلية عند وصوله المشفى، هنا تغيرت ملامح ريم وشعرت بشيء مريب يحدث، فأكمل المحامي يوضح لريم ما قد حدث.

أخبرها المحامي أن موكله قد لُفقت له تلك القضية بواسطة النقيب معتصم بسبب خلاف شخصي بينهم، قام معتصم بدس المخدرات بسيارة موكله وقام بالإبلاغ عنه، وما إن قاموا بصنع كمين له فأصيب موكله بالتوتر عند رؤيته للنقيب معتصم وأدى ذلك إلى مطاردة

بالسيارات والتي انتهت بالحادثة التي تمت أمام المشفى وحينها تم إلقاء القبض على موكله والمخدرات في سيارته.

أخرج المحامي بعض الأوراق من حقيبته وأخذ ينظر بكل ورقة ويعطيها لريم، كان الورق كله متعلق بالنقيب معتصم وعدد الجزاءات التي حصل عليها في خدمته، كان عددهم كبير بالفعل فقد تم نقله لأكثر من إدارة خلال خدمته القصيرة في جهاز الشرطة، وإحدى الورقات كانت تمثل تقرير من مديره الحالي عن أن معتصم غير كفء ويطلب نقله من هيئة ردع السموم والمخدرات، وكان هنالك تقارير طبية أخرى عن خضوع النقيب معتصم للعلاج النفسي وتأثير الأمر على قواه العقلية.

أمسكت ريم الورق تقلبه لتطلع على كل تلك المعلومات وهي متفاجئة مما يحدث وزاد توترها عندما تذكرت أنها كانت تتعامل مع ذلك الشخص وأعطته هاتفها ولكنها مازالت تتساءل في داخلها، ما علاقتها بكل ذلك.

أكمل المحامي حديثه بأن موكله موقفه جيد جدًّا في القضية وبالظروف المحيطة بها، ولكن سيكون الأمر محسوما إن أدلت بشهادتها في مكتب كبير القضاة بأن النقيب معتصم لم يكن في كامل قواه العقلية حينها وأنه كان يتصرف بغرابة وكأنه تحت تأثير شيء ما، وأنهم سوف يشكرونها على فعلتها وسيجيبون كل مطالبها في المقابل.

سرت قشعريرة كبيرة بجسد ريم وهي تستمع لذلك الكلام الهادئ الرصين الذي يخرج من فم المحامي، لقد عرض عليها رشوة مقابل شهادة زور للتو وهو يبتسم وكأنه أمر بسيط، كان واثق في حديثه كأنه يقول حقيقة ما حدث وموقن به، ولكن ظَلَّ التوتر والخوف يتملكون ريم حتى أنها لم تتذكر بقية المقابلة وما حدث بينهم بعدها، كل ما

تذكرته أنها مجبرة أن تجيبه عن قرارها قبل انتهاء اليوم ليعد ترتيباته ويعلم طلباتها.

ظلت ريم ذلك اليوم غائبة البال ولم تستطع مباشرة عملها حتى لاحظ الجميع ذلك وظنوا أنها مريضة فعرضوا عليها أن ترتاح قليلًا في استراحتها وأن تتناول شيء حتى تستعيد عافيتها وتعود لاستكمال عملها، لكم كانوا رحماء فيما بينهم.

جلست ريم في غرفتها تسترجع ما حدث وماذا ستفعل، لم يكن لها أي أصدقاء لتتحدث لهم في هذا الأمر الخاص للغاية، وأمنا لم تعد موجودة في الحياة حينها لنركض نختبئ في حضنها باكين نشكو لها ما حدث، لم يعد لها سواي، أخوها التوأم الذي هو أملها الوحيد الآن، ولكنها كانت تعلم أنني كنت بالخارج أدرس وكنت حينها في فترة الاختبارات النهائية فاختارت أن تمحوني من قائمتها أيضًا بالرغم من إنها لم يكن بها سواي، لكم كانت ريم طيبة للغاية ومراعية للآخرين لحد السذاجة، لقد وصل الأمر منها إلى حد غير منطقي.

لم أعلم حينها بمحنتها وتصرفت ريم بما ارتأته مناسبا، فاتصلت بالمحامي وهي ترتجف وأخبرته بأنها مستعدة للتفاوض وبالفعل قابلها المحامي في اليوم التالي وتم الاتفاق على نص الشهادة التي يرغبون منها أن تقوله وألا تذكر أشياء معينة قد حدثت وأما عن المقابل فقد أخبرتهم أنها لا تريد مقابل سوى ألا يتعرضوا لها أو ألا يصيبوها بمكروه وقد كان الاتفاق.

مرت أيام قليلة حتى تم استدعاء ريم لسماع شهادتها في القضية، كان الأمر محل اهتمام الصحف لذا كان هنالك عدد من الصحفيين لتغطية الحدث، كما كان النقيب معتصم حاضرا ويبدو عليه الغضب

الشديد، يبدو أن كل شيء أصبح ضده وكل شيء أصبح مجرد وقت حتى يكون هو من في قفص الاتهام.

دخلت ريم إلى غرفة وكيل كبير المحققين، كان رجلا كبير السن بشوشا رؤيته تريح النفس، قابل ريم ولاحظ عليها التوتر البالغ فحاول تهدئتها وإخبارها ان كل شيء سيكون على ما يرام ولن يمسسها ضر، ولكن ذلك لم يشفع عندها بشيء فقد كانت متوترة يدها ترتجف وتخرج كلماتها متقطعة ضعيفة وكأنها مصابة بالحمي.

انتظر نائب كبير المحققين بعض الوقت حتى تألف ريم المكان وتشعر بالأمان قليلًا قبل بدأ التحقيق وظل التحقيق مستمرا لوقت طويل بالرغم من صغر شهادتها التي اتفقت عليها، ساد التوتر بالخارج وظل الجميع يتحدث عمَّا يحدث بالداخل حتى تم استدعاء النقيب معتصم للحظات وخرج بعدها سريعًا، ثم بعدها تم استدعاء كبير رجال الشرطة للدخول إلى غرفة التحقيقات.

كان الأمر مثيرا للتساؤلات وأصبح الغموض يحيط بالمكان، مرت دقائق وخرج بعدها كبير رجال الشرطة مجددًا من الغرفة واتجه مسرعا إلى إحدى الغرف ليجري اتصالا هاتفيا.

أصبح المكان مشحونا، الجميع يقفون على أقدامهم منتظرين خروج الطبيبة التي تجاوزت شهادتها ساعات متواصلة ولكن الإثارة ازدادت عند رجوع كبير رجال الشرطة ومعه ضابطين وقاموا بالدخول إلى غرفة التحقيقات ولم يمض الكثير حتى خرج كبير رجال الشرطة والضابطان وفي وسطهم ظهرت ريم منكمشة وسط خوفها من كم الحشد الموجود والصور التي التقطت لها وهي في طريقها للخروج والجميع يسأل ما الذي حدث بالداخل.

٥٠

خرجت ريم من مبنى نائب كبير القضاة وسط حماية من رجال الشرطة وانتهت التحقيقات في ذلك اليوم واستمر حبس المتهم بالاتجار بالمخدرات رغم حضور أغلب أفراد عائلته ظنا منهم أنه سيخرج دون توجيه أي اتهام إليه ولكن شيء ما حدث لم يعرفوه بعد.

عاد معتصم إلى مكتبه في هيئة ردع المخدرات وهو مصدوم مما حدث ولكنه كان شاكرا للظروف التي ساعدته في عدم تلفيق تلك التهمة به ولكنه أراد تقديم الشكر لصاحب الفضل الأول في ذلك لذا قام بالاتصال بمشفى طقشة وحصل على رقم الطبيبة ريم.

ظَلَّ هاتف ريم يرن كثيرًا ولكنها لم تجب فهي لم تكن تعرف هوية المتصل، لاحظ أحد الضباط الأمر وأخبرها أن تجيب إن أرادت فهي الآن تحت حمايتهم، لذا تشجعت ريم وأجابت على الهاتف ولكنها كانت تضعه على السماعة الخارجية ليسمعه الضباط إن كان تهديدا ولكن جاء صوت معتصم واضحًا يتحدث:

- أنا أهاتفك فقط لأشكرك على ما فعلتيه معي.

ألغت ريم سريعًا خروج الصوت من السماعة الخارجية ووضعت الهاتف على أذنها بعدما تعرفت على معتصم من صوته وأجابته:

- لم أفعل شيء سوى قول الحقيقة.

فأجابها معتصم:

- وأيضًا ذلك التسجيل، كيف فعلتيها؟

توترت ريم في الإجابة ولم تستطع الرد عليه وسط رجال الشرطة ولكنها تحدثت بلغة مبهمة ولم تجب على سؤال معتصم:

- نعم يمكنك القدوم للمشفى للاطمئنان على حالتك الصحية.

ثم أشارت ريم إلى أحد الضباط مستفسرة إن كان بإمكانها مباشرة عملها بصورة طبيعية فأجابها بالإيجاب وأنهم مكلفين بمراقبة أماكن عملها ومنزلها حتى إبلاغهم بانتهاء الحماية، لذا عادت ريم إلى الهاتف مجددًا متحدثة:

- سأنتظرك في المشفى لاستكمال باقي الفحوصات إذا.

فهم معتصم أنها لا تستطيع توضيح ما حدث في الهاتف ولكنه علم بأنها تنتظره في المشفى لذا نهض مسرعا وتحرك متجها إلى المشفى.

وصل معتصم سريعًا للمشفى وقابل ريم وجلسا في أحد غرف الكشف وبدا على ريم أنها متوترة بعض الشيء ولكن حديثها مع معتصم قد جعلها تهدئ ولو قليلًا.

- هل أنا من أمرتك بالتسجيل لمحامي عائلة الجيرة؟

هكذا بدأ معتصم حديثه مع ريم مستفسرا وهو يبتسم من دهاء ريم، لتجيبه ريم قائلة:

- لم أكن صاحب تلك الفكرة، لم أكن أعلم أن هذا قانونيا حتى.

تعجب معتصم وتغيرت ملامحه وهو يستفسر:

- فكرة من إذا؟

أجابته ريم:

- فكرة وكيل كبير القضاة هو من أخبرني بذلك، وأنت من أكدت الأمر.

زادت علامات الحيرة على معتصم وأراد أن يفهم ما قد حدث بالصباح في التحقيقات لذا أوضحت له ريم كل شيء.

في ذلك اليوم عندما جاءها المحامي لعرض الرشوة وأعطاها مهلة للتفكير وظلت طوال اليوم تفكر فيما ستفعله، اختارت أن تظل متمسكة بمبادئها ولن تتخلى عنها ولكنها أرادت أن تؤمن نفسها أيضًا لذا خطر على بالها نفس ما قام به معتصم مع رئيسه بالعمل وهو تسجيل الحوار بينها وبين محامي عائلة الجيرة.

كان لدى ريم التسجيل ولكنها لم تكن تعلم ما ستفعل به وعندما دخلت إلى غرفة التحقيقات طلبت من وكيل كبير القضاة الحماية قبل الإدلاء بأقوالها وهو ما حققه له وضمن حمايتها، لذا حينها شهدت بأن النقيب معتصم كان في كامل قواه العقلية ولم يكن هنالك أي شيء غريب به ولم يترك المجرم حتى تأكد أنه في قبضة رجال الشرطة وبعدها تلقى علاجه، ثم أخرجت ريم هاتفها وشغلت التسجيل الذي يوضح طلب محامي عائلة الجيرة بأن تشهد ريم زورا لصالح موكله.

سمع وكيل كبير القضاة التسجيل بتركيز وحينها أخبر ريم بأن ذلك التسجيل غير قانوني ولا يعتد به لأنه لا يوجد تصريح مسبق للتسجيل لذلك الشخص، ولكنه صمت قليلًا وأخذ يفكر بعدما أعاد سماع التسجيل مرة أخرى وحينها أخبر ريم أنه يمكن أن يؤخذ به إن كان الضابط المسؤول عن التحقيقات هو من أمرها بذلك.

وقفت ريم لا تدرك ما الذي يحدث ولكن وكيل كبير القضاة طلب من مساعده أن يجلب النقيب معتصم ليسأله عن أمر ما.

خرج مساعد الوكيل لجلب معتصم وعاد به سريعًا إلى الوكيل الذي سأله بمجرد دخوله:

- هل أنت من أمرت الطبيبة ريم فريد بالتسجيل لمحامي عائلة الجيرة بصفته وكيل السيد عثمان الجيرة، لمساعدتك في تحقيقاتك في قضية الاتجار بالمخدرات التي تتولاها؟

تسمر معتصم مكانه وأخذ كثيرًا يحاول استيضاح ما يحدث ولكنه أخيرًا أجاب بتوتر:

- نعم.

فسأله الوكيل:

- سيتم إضافة ذلك لمحضر الأقوال وستقوم بالتوقيع عليه وضم التسجيل إلى ملف القضية، حسنا؟

- حسنا.

خرج معتصم من الغرفة وهو مندهش مما يحدث ولكنه يعلم بأن ريم لم تشهد ضده والدليل أنها قد قامت بتسجيل تسجيل صوتي لمحامي عائلة الجيرة.

طلب وكيل كبير القضاة من مساعده تدوين أمر إضافة ملف التسجيل للقضية حيث إنه استند إلى أقوال الضابط المباشر المسؤول عن التحقيق في قضية الاتجار بالمخدرات وأن محامي العائلة هو وكيلهم

القانوني ويخضع بالتبعية إلى الإذن المسبق الصادر من مكتب كبير القضاة.

لم تفهم ريم ما يقال ولكن الوكيل أوضح لها أن هنالك إذن سابق للتحقيق في أمر عائلة الجيرة والنقيب معتصم هو المسؤول في القضية لذا يحق له أن يقوم بالتسجيل لهم أو أن يجند أحد ليسجل لهم أو لمن يمثلهم قانونيا، لذا فإن ذلك التسجيل قانونيا ويؤخذ به بعد التحقق من صحته وأنه حقيقي غير مفبرك.

كانت ريم تجهل كل قوانين دولة دونسيار، فهي لم تسجل للمحامي إلا محاولة منها في حماية نفسها ولكن الأمر قد جاء بمنافع أخرى.

استمع معتصم لحديث ريم عمَّا حدث وهو مندهش ولاحظ مدى حماسها في سرد ما حدث لها وكأنها كانت تستمتع به، كانت مبتهجة وكأنها نجحت في الإيقاع بذلك المحامي ولم تشهد زورا. حاول معتصم استوقاف ريم وشكرها عمَّا فعلته معه فلقد علم أن الجميع قد أعد له الكمائن وكانت ريم هي من ستثبت آخر مسمار في نعشه وسيكون هو المجرم في تلك القضية.

شعرت ريم بأهميتها بما قيل وأخبرت معتصم بأنها لم تفكر ولو للحظة أن تشهد زورا ولكنها كانت خائفة من تبعات ما سيحدث لها عندما تقول الحقيقة وحينها تذكرت أمر الحماية التي عينت لها فسألت معتصم:

- هل من الممكن أن يرسلوا أحدا لقتلي؟

قالتها وقد زال الحماس من على وجهها واستولت عليها تعابير الخوف، فأجابها معتصم:

- لن يغامروا بإرسال أحد اليك فأنت الآن في حماية القضاء وأي مكروه سيحدث لك سيكونون هم أول المتهمين.

فسألته ريم في اهتمام:

- ولكن يوجد احتمال أن يقتلوني؟

- ليس في الوقت الحالي، ربما بعد أن تهدأ الأمور قليلًا.

تجهمت ريم واتسعت عيناها لسماعها ذلك الكلام ولم تستطع الحديث بعدها فأدرك معتصم سذاجة ما قاله فحاول تخفيف الوضع قائلًا:

- لا تقلقي، أنا معك، سأتولى أنا الأمر.

- كيف ذلك؟

- سأباغتهم قبل أن ينالوا من أي أحد فينا.

٥١

مرت الأيام وازدادت الاتصالات بين ريم ومعتصم حتى أصبحت لعدة مرات يوميا، كان نطاق الحوار في البداية يتمحور عن قضيتهم وعن جديدها وعمَّا سيفعله معتصم للإيقاع بعصابة الجيرة ولكن الحديث ظَلَّ يتطور وينحرف عن مساره حتى وصل إلى أنواع أكلاتهم وألوانهم المفضَّلة حتى وصل الأمر إلى الاتفاق على الخروج سويًّا في أحد مطاعم المدينة ولكن كان هنالك سبب يمنع ريم من الخروج في موعد، لقد كانت نوبتجياتها التي لا تنقطع.

أحبت ريم شخصية معتصم المحبة للمخاطرة، ربما تكون قرارته اندفاعية جالبة للمشاكل ولكن ذلك كان يروق لها، لم ترد أن تكون مثله أو لنقل أن الخوف قد تملكها منذ صغرنا فلم تستطع أن تمتلك تلك القدرة، فأتذكر حديثها معي عند وفاة والدتنا وقد أصبحنا بمفردنا وقتها عندما أخبرتني أنه لم يعد لدينا من يدافع عنا ويجب علينا توخ الحذر وعدم صنع المشاكل لأننا أصبحنا وحيدون حينها.

بالحديث عن وفاة أمي فدعوني أخبركم بالأمر سريعًا، عندما اقتربت أمي من منتصف عقدها الخامس أصابتها أعراض لم تكن معهودة من قبل، كنا حينها في بداية دراستنا الجامعية، زرنا طبيبنا الخاص والذي أبدى انزعاجه من تلك الأعراض، كان وجهه يخبرنا بذلك أما كلامه فقد جاء مطمئنا ومبشرا بأنه ليس هنالك داع للقلق، ولكن زيارة أمنا لطبيب آخر ودون اصطحابنا كان دليل مقلق أن هنالك أمر ما.

تم اكتشاف أورام غير حميدة تنتشر داخل مخ والدتنا وقد كان في مرحلة متقدمة، لم تخبرنا حينها بأن هنالك شيء وأنها تذهب لإجراء

بعض الفحوصات فقط ليس إلا ولا تريد أن تشغلنا عن دراستنا وأنها على ما يرام ولكنها لم تكن كذلك.

كانت الأيام تمر عليها وتذهب إلى عملها وقد بدأ الألم يتملك منها بشدة، لم تعد تستطع مشاركتنا حياتنا المعتادة رغم محاولتها بالتمسك بها ولكن المرض كان أقوى منها وحينها اضطرت لمصارحتنا بالأمر. رغم أننا كنا طلاب جامعيين إلا إننا مازلنا كالأطفال تجاه أمنا، لم نستطع أن نتخيل أنه في وقت ما لن نجدها معنا، لن نستطيع مجاراة الحياة بدون توجيهاتها أو دون رعايتها.

عشنا مع أمنا كل مراحل مرضها وحاولنا جاهدين ألا نجهدها معنا، حاولت هي ألا تفقد عملها ولنكن منصفين فقد حاولوا مساعدتها في البداية والتغاضي عن غياباتها المتكررة وعدم المساس براتبها الشهري الذي لم نكن نحتاجه على كل حال، ولكن مع مرور الوقت فقدت أمنا مكانتها لدى الشركة التي تعمل لديها وأصبحت عالة عليهم وكأنهم يتكرمون عليها بما يفعلونه معها وظل الأمر هكذا حتى جاءها خطاب شكر من الشركة وإعفائها من خدماتها متمنين لها الشفاء العاجل.

كانت ريم هي من قرأت ذلك الخطاب وهي تبكي، فقد رأت أمها من أفضل موظفة للشركة، وقد حضرت العديد من حفلات التكريم لها ورأت كم التصفيق والحفاوة بها سابقا وها هي الآن تقرأ عليها خطاب تسريح ولكن بلغة مهذبة وكل ذلك بسبب مرضها.

مثلما كنا وحيدين تمامًا في حياتنا، استمر الأمر في مرضنا، لم يزرنا أحد ولم يعلم أبي أيضًا، أبي الذي نعتني بالأنثى الخجولة عندما رفضت أن أترك أمي وأذهب للعيش معه، كان يريد أن يدربني حتى أدير شركاته فيما بعد ولكني رفضت وحصلت منه على كم توبيخ وإساءة لا تتوقف،

كان يخبرني بأنه يمتلك توأم من الفتيات، بل إن ريم تستطيع أن تتدبر أمورها أما أنا فسأظل بتولا لا أملك قرار نفسي، أمرني بعدم الزواج حتى لا أظلم إحدى الفتيات معي، كنت أعلم أنه يوبخني من أجل تقويتي وتحفيزي لأقوم بمساعدته وإدارة أعماله ولكن أعتقد بأنني فشلت في تحقيق ما تمناه.

علم أبي بمرض أمنا في مراحلها الأخيرة فاكتفي بمكالمة هاتفية لم تتجاوز دقائق معدودة ثم كان يرسل رسالة نصية قصيرة تحوي كلمة " أتمنى لك الشفاء العاجل" وكأنها قد أصيبت بنزلة برد. لم نكن نهتم بذلك الأمر ولم نضمر الضغينة لأحد أيضًا، هكذا علمتنا أمنا، فلتعامل الأشخاص مثلما تحب أن يعاملوك.

حاولنا مع أمنا عدة أنواع من العلاج ولكن كان يبدو أن الأمور لا تسير على ما يرام فقد فقدت أغلب وزنها وهربت الدماء من وجهها وتحول للون الشاحب ولكنها مازالت جميلة محتفظة بابتسامتها وكلامها الرقيق معنا. كانت ريم كثيرة البكاء تلك الفترة وأصبحت في حالة نفسية سيئة، أما أنا فقد أردت تقمص دور رب الأسرة لأبين لهم أنني سأتحمل المسؤولية بدلا عن أمي حتى شفائها، قمت بقص شعري تمامًا تضامنا معها، بالرغم من أن ذلك فتح علي بابًا واسعا للتنمر من أصدقائي، وجعل أمي تبكي لرؤيتي هكذا إلا أنني أحسست براحة وأنا كذلك.

كنت أحاول منع نفسي من البكاء أمامهم ولكنها بمجرد أن تقوم باحتضاني وأشعر بدفء حضنها حتى أنفجر بالبكاء بصوت جهوريا رغم إرادتي وعلى إثره أجدهم هم الآخرين قد انهالت دموعهم أيضًا.

تُوفيت أمنا ونحن مستلقيين بجانبها، كنا نعرف أن الأمر اقترب لذا لم نكن نفارقها وأردنا أن نودعها ونطمأنها بأننا سنكون معها دائما، جاء مرضها فجأة وكان فترة حزينة كئيبة ولكنها لم تكن متعبة أو مرهقة، وكأن رغم ابتلائها بمرضها إلا إنها لم تتألم كثيرًا، أو هكذا جعلتنا نشعر.

كانت ريم ترى نظرات أقاربنا الذين تكرموا وأتوا للعزاء وهم يبتسمون خفية من آن لآخر، لا تعلم لماذا أتوا فهم لم يسألوا عنا مطلقا من قبل ولم تكن هنالك أي روابط اجتماعية اهتموا بها مع أمنا، ولكنها التزمت الصمت واستقبلت عزائهم وحينها جاءتني لتخبرني أنه من الآن يجب علينا توخ الحذر وعدم صنع المشاكل وتولت هي حمايتي وإرشادي إلى الطريق الصحيح.

اعتذر لكم إن كان كلامي حزينا ولكني تذكرته فرغبت في سرده.

عل كلٍ، لنعود إلى ريم ومعتصم وموعدهم الذي اعتبروه موعدا لمناقشة القضية والتباحث في أمرها ولكن لتخرج ريم هذا الموعد كان عليها تجربة شيء جديد عليها ولكنها أحبته وكان معتصم هو المحرض الأول لم فعلته.

في بداية شهر جديد ومع كشف نوبتجيات الشهر، وجدت ريم نفسها تحتل أكثر من عشرين يوما فيه وكانوا بحاجة إلى توقيعها لاعتماد الكشف ولكن بكل هدوء مع ابتسامة خفيفة قامت ريم بتمزيق كشف النوبتجية ببطيء شديد ليصدر الورق قدًا ملحوظا وسط اندهاش كل الأطباء المتواجدين. نظرت لهم ريم وهي تبتسم قائلة:

- سأستأذنكم بأن تكون النوبتجية الجديدة مقسمة بالتساوي على كل أطباء المشفى.

ثم تركتهم وغادرت الغرفة.

بدت ريم مبتسمة من الخارج ولكن دقات قلبها المتسارعة بالداخل كانت على أوجها، تدفق الأدرينالين في جسدها جعلها سعيدة، لقد أحبت الأمر، شعرت بقوة وهي تقوم بتمزيق الورقة وهي تتركهم وسط ذهولهم لتخرج من الغرفة.

ما إن خرجت حتى اتصلت بمعتصم تخبره أنها قامت بما أخبرها به وقد بدا على صوتها الحماس الشديد، حينها أخبرها معتصم أنه ينتظر معرفة نوبتجيتها الجديدة حتى يحددوا يوما ليخرجوا فيه سويًّا، فتملكت الفرحة وجه ريم وبدون تخطيط قامت بالاتصال بي لتخبرني أنها معجبة بضابط ما.

حينها ليلا عرفت بكل المصائب التي وقعت بها ريم وعن القضية التي أصبحت هي جزء منها، في البداية كنت غاضب منها لعدم إخباري منذ البداية ولكني لم أرد أن أكون سببا موترا إضافيا لها فأخبرتها بإبلاغي بكل جديد في القضية وأيضًا إبلاغي بكل شيء عن ذلك الضابط الذي أعلم أنها قد وقعت في حبه.

استمرت ريم في حديثها عن معتصم معي وعن لقاءاتهم المتكررة حتى جاءني اتصال منها في أحد الأيام وهي تبكي قائلة:

- لقد أرسل أحدهم إلي رسالة يخبرني أن أغادر مدينة طقشة بأسرع وقت وألا أعود لها مجددًا، كما أخبرني بألا أخبر وكيل كبير القضاة لأنه لن يساعدني تلك المرة.

- من أرسل اليك تلك الرسالة؟

- لا أعلم.

- هل لها علاقة بتلك القضية؟

ردت بحنق وهي متوترة:

- لا أعلم.

- هل أخبرت معتصم بالأمر؟

- لن يستطيع معتصم مساعدتي الآن.

- لماذا؟

- لقد صدر قرار بنقله من إدارته.

٥٢

تركت ريم عملها بالمشفى وعادت إلى منزلنا بالعاصمة وهي متوترة قلقة لما هو قادم، فلقد علمت بما حدث من مستجدات للقضية بعدما أخبرها بها معتصم الذي نقل إلى إدارة تنظيم حركة المرور والطرق في مدينة الكرمة بعدما نال عقاب جديد أضيف إلى ملفه الوظيفي لعدم اتباع الأوامر العليا.

علمت ريم باعتراف المحامي بصحة التسجيل الذي سجلته له، ولكنه أضاف بأنه فعل ذلك من تلقاء نفسه دون الرجوع إلى موكله وأنه نادم على ما فعله ومستعد أن ينال عقابه، ولكن الأمر الأكبر في القضية هو ظهور أحد الأشخاص يعترف بأنه قائد السيارة التي وجدت بها المخدرات وأنه كان ينوي أن يبيعهم إلى أحد التجار ولكن أبن السيد عثمان الجيرة أخذ السيارة دون أن يعلم ما بها، وحينها تم إلقاء القبض عليه وتوجيه التهمة إليه ولكنه لم يكن له دخل أو معرفة بوجود المخدرات في السيارة.

حينها حصل ابن عثمان الجيرة على البراءة وسُجن المتهمين الآخرين المحامي والسائق وبعدها مباشرة قدم رئيس معتصم تقريرا بعدم صلاحية النقيب معتصم للعمل في إدارة ردع السموم وقدم كل ما يثبت عدم كفاءته وبالفعل نجحوا فيما أرادوا وتم نقل معتصم من الإدارة مع حصوله على عقوبة شديدة.

رغم افتراق ريم ومعتصم في ذلك الوقت فلقد عادت ريم إلى العاصمة وهو انتقل إلى مدينة الكرمة، إلا أن اتصالاتهم ببعضهم البعض ازدادت وعلاقتهم تطورت مع الوقت حتى اتفقا الاثنان على الارتباط أخيرًا، رغم تردد معتصم من الارتباط بريم بسبب ما يحدث له من

مشاكل عديدة واصطدامات متعددة يكون هو الخاسر بها دائما، إلا أن ريم أصرت أن تستمر معه وتسانده بل الأكثر من ذلك، التعلم منه والحذو حذوه.

اعترف لكم أن ريم تغيرت كثيرًا بعدما تزوجت من معتصم، لقد أرشدها إلى طريق صحيح تسير به، لم تتنازل عن أي حق لها ولم تتهاون في أي واجب عليها، لم ترضى بتكليفها بنوبتجية إضافية ولم تغفل عينيها للحظة في نوبتجيتها، أخبرها معتصم بأنها يجب أن تتميز في تخصصها حتى لا تكن لقمة سائغة لأصحاب النفوس الغير سوية، وقد جربت ريم ذلك الأمر سابقا عندما امتنعت عن تولي نوبتجيات إضافية في مشفاها السابق وحينها أصبحت طبيبة غير مرغوب بها، تحولت معاملة الجميع معها إلى النقيض، وعند مغادرتها المشفى لم تجد من يدافع عنها أو يطلب منها الاستمرار، عندها علمت أنها كانت بلا قيمة، عبارة عن شخص مطحون يغطى أوقات بدلا عن أشخاص آخرون لا يكترثون إلا لمصلحتهم الشخصية.

قامت ريم بتحضير دراسات متقدمة في الجراحات الدقيقة، وكانت متفوقة للغاية في الدراسة مثلما كنا في صغرنا، كانت دائما هي الأولى بدون منافس، وكان معتصم خير مساند لها، كان هو درع حمايتها ومستشارها الأول وحبيبها الدائم.

تقلدت ريم وظائف مميزة في المستشفيات التي عملت بها حتى أنها كانت تقوم بعمليات جراحية صعبة بمفردها دون مساعدة وذاع صيتها وعرفت بالاسم بأنها من أنبغ الجراحين وأن لها مستقبل باهر ينتظرها.

أما معتصم فظل كما هو لا يكل ولا يمل في تنفيذ القانون وما يمليه عليه ضميره، كان ذلك يجلب عليه المشاكل ولكنه لحسن حظه تلك

الفترة كان لديه رئيس بالعمل يحاول بقوة حمايته والدفاع عنه طالما يقوم بعمله، رغم اصطدام معتصم بالعديد من الشخصيات التي قد تجلب له الأذى إلا أنه لم يرضخ ولم يتهاون في إنفاذ القانون، أما رئيسه فقد كان يسانده تارة ويطلب منه أن يتغاضى تارة وهذا لم يكن من شيم معتصم ولكنه عل كلٍ أحب رئيسه وكنّ له كل احترام لأنه يعلم بأنه رجل مخلص لعمله وللقانون.

كان معتصم يدلل ريم دائما ويخبرها بأنها فأل خير عليه، فلقد مرت سنوات وهو لم يحصل على عقوبة أو جزاء، كما أن لديه رئيس بالعمل يدافع عنه دائما ويتصدى لكل من يحاول اذيته.

مرت ٣ سنوات على زواج معتصم وريم ولم يحالفهم الحظ في إنجاب أطفال، كانت المشكلة لدى ريم ورغم محاولاتهم المتعددة لدى الكثير من الأطباء إلا أن الفحوصات كانت تشير إلى عدم قدرة ريم على الإنجاب، لم يظهر معتصم لها أي فعل يشعرها أو يجعلها تحزن لذلك، كان داعما لها ودائما ما يخبرها أن ذلك قدر ويجب عليهم الإيمان به، وأنهم سيظلون سعداء حتى إن لم يرزقوا بطفل.

كان الأمر صعبا على ريم فقد رغبت بالحصول على طفل تدلله، رغم محاولاتها المتكررة لإيجاد علاج إلا إنهم لم ينجحوا، كانت ترى حب معتصم للأطفال الآخرين وعطفه الشديد عليهم، كان يهتم بهم ويرعاهم كما لو أنهم ابنائه، لذا كانت تبكي كثيرًا عندما ترى ذلك ولكن حديث معتصم معها كان يخفف عنها ولا يتركها إلا وهي تضحك وينتهي الأمر بعناق أو بقبلة حنونة.



مر الوقت وتغير رئيس معتصم بالعمل وجاءه آخر وحينها تبدلت الأمور رأسا على عقب عندما وجّه رئيسه الجديدة تحذيره الأول له، علم معتصم حينها أن الأمور لن تكون جيدة حينها.

رغم المشاكل والتوتر النفسي الذ كان يلاقيه معتصم في عمله حينها إلا أنه لم يُظهر ذلك لريم، كان يحكي لها ما يحدث ويشاركها أخباره إلا أنه لم يشعرها بتوتره أو قلقه لما قد يحدث، ولكن بعد مرور أشهر قليلة جاءت أخبار حزينة لهم بنقل معتصم إلى إدارة البحث الجنائي قسم الأرشيف الداخلي بمدينة نالة.

حزن معتصم لذلك الأمر كثيرًا فذلك القسم كان للضباط المعاقبين، فقد كانت مهمتهم مكتبية بحتة تتعلق بأرشفة أوراق القضايا وحفظها. أما عن ريم فقد حزنت لحزن معتصم هي أيضًا وعلمت أن زوجها ذو حظ عثر، أو بالأصح إن احتفاظه بقيمه ومبادئه ليس مناسب لذلك العصر. تعلم ريم بأن معتصم لم يخطئ ولكنه أيضًا لم يتغاضى ولذلك فأنه غير متوافق لما يريدون منه.

استمر معتصم في قسم الأرشيف ووجد لنفسه متعة خاصة في قراءة ملفات القضايا الكبرى ومتابعاتها وكأنه يقرأ روايات جريمة شديدة التشويق، كان يتابع كل التفاصيل حيث إنها تتجمع كلها عنده بمجرد الانتهاء منها، أما ريم فقد خصصت وقتا لدراسة جميع الكتب الخاصة بقانون دونسيار، لم تكن تعرف ما السبب الذي دفعها لذلك ولكنها اعتقدت بأنها ستحتاجها يوما ما، وكان سبب ذلك الاعتقاد هو معتصم ومشاكله.

كنت في زيارة عائلية لهم في منزلهم المستأجر المتواضع، حيث كان كلما يتم نقل معتصم إلى إدارة جديدة كان يجب عليهم أن يرتحلوا إلى مدينة جديدة ومنزل جديد، كنت أحب المكوث لديهم والشعور بألفة الناس والدفء الذي يحيط بمنزلهم، رغم تواضعه إلا أن حبهم جعله أشبه بالقصر، كنت متعلق بأختي كثيرًا وهي أيضًا متعلقة بي، كنا نتشارك كل لحظاتنا سويًّا، كانت ريم ولأنها تكبرني بعشرين دقيقة فقد ولت نفسها ولية أمري والمسؤولة عن حمايتي وقد أحسنت صنعا في ذلك، كنت استشيرها في كل كبيرة وصغيرة وبدخول معتصم في حياتنا تحسنت أوضاعنا الاجتماعية وأصبحت ألوذ بهم في كل شيء وقد اعتبروني طفلهم الذي لم يأت بعد، ولكني كنت طفلا كبير بعض الشيء.

رغم أنني أحببت رفقتهم ولكني لم أرغب يوما في الارتباط حتى لا أجعل من يحبني يشعر بالتعاسة حينما يحدث مكروه لي، مثلما يحدث لمعتصم، كنت أعلم أن وراء ضحكات ريم تلك حزن دفين، حزن لعدم سعادة معتصم لما هو فيه، لقد شعرت بحبها اللامتناهي له ولكنه حب ممتزج بترقب موتور.

في منزلهم جلسنا نتحدث عن فترة دراستنا وأيام الدراسة الأولية والمتقدمة، ذكرت ريم بمهارتنا البارعة في الرسم، كنت أنا وريم من أمهر الرسامين ،ولكن لأكن صادقا كنت أتميز عليها بدرجة كبيرة، كنت أستطيع أن أرسم الأشخاص لمجرد رؤيتهم مرة واحدة، ولم يقتصر ذلك الرسم على لوحات فقط فقد كنت أمتلك المهارة على النحت بالصلصال وحتى الرسم بالرمال، ولكن مع مرور الوقت انشغلت أنا بأمر آخر، فقد تطور التنمر بي حتى وصل إلى التحرش الجسدي، كان مزاح الأطفال آنذاك يشمل الاحتكاك والقتال الجسدي بينهم البعض، وكانوا يقتاتون على الأطفال البؤساء الذين يبدو عليهم الضعف والخوف، ويرتدون نظارات سميكة، نعم مثلي أنا، كنت أنا واحدا من هؤلاء

البؤساء، بل كنت أشهرهم، لذا كان لزاما علي أنا أتعلم رياضة قتالية أستطيع بها حماية نفسي من هؤلاء البغضاء، اخترت المصارعة الرومانية حينها، حيث ارتأيت أنها أنسب رياضة للقتال التلاحمي الذي يحدث بيني وبين هؤلاء المشاغبين، وقد نفعتني كثيرًا في الدفاع عن نفسي ولكنها أكسبتني المزيد من الأعداء حينها حتى أصبحت أدافع عن نفسي أمام ميلشيات من الأطفال البغيضة ولكني ظللت أمارس المصارعة حتى درجة الإتقان وحينها قل التحرش الجسدي بي وازداد التحرش اللفظي.

أما ريم فظلت تثقل موهبتها حتى أتقنت فنون النحت وخباياه، كان معتصم يستمع للأمر باهتمام شديد فهو كان يعلم بحبها للرسم ولكنها لم يكن يعلم بتميزنا الشديد.

أما معتصم فقد ذكر فترة دراسته في كلية الشرطة وعن صعوبة تلك الفترة وقسوتها ولكنها علمته العديد من الأمور ومنها الاعتماد على النفس و أيضًا الإخلاص في العمل، وأيضًا ذكر أحد الضباط الذين أعجب بهم داخل الكلية وقد اتخذه قدوة فيما بعد، أتذكر بأن اسمه كان الرائد/ أحمد عزيز ولقد كان له صدفة سيئة للغاية معنا سأسردها لكم في حينها، كان معتصم يسرد لريم العديد من المواقف التي رأها لذلك الضابط عندما كان طالبا في كلية الشرطة وعن كم المشاكل التي أوقع نفسه بها حينها، وكأنه قد أكتسب جلب المشاكل منه، لم يكن الرائد/ أحمد عزيز يعلم بأن لديه معجب شديد بما يفعله ولم يستطع معتصم أن يتقرب منه ولم يحالفه الحظ بالعمل معه أبدًا.

في أحد الأيام حيث كان معتصم يقرأ بتركيز إحدى ملفات إحدى القضايا اكتشف وجود اختلاط بين دليل مادي في قضية كبرى تم الحكم فيها، كان الأمر كفيل بإعادة فتح تلك القضية مجددًا والتحقيق بها، توجه معتصم إلى مديره وأخبره بما وجده وشرح له الأمر، بدا الأمر

محمسا ودافعا لمعتصم أن يجعله ذلك الأمر معروفا ويتم تقديم الثناء له وأيضًا يكون عاملا في خروجه من مكتب الأرشيف ذلك.

انتظر معتصم رئيسه ليأتي به بالأخبار ولكنه في أحد الأيام وهو متوجه للعمل وجدهم يخبرونه أنه ممنوع من الدخول لمكتبه وحينها رأى مديره وهو منكس الرأس يخجل أن ينظر في وجهه، وجاء من ورائه أحد رؤساء إدارة البحث الجنائي يخبره:

- النقيب معتصم، أنت موقوف مؤقتا عن الخدمة حتى انتهاء التحقيق معك.

٥٤

لم يعد معتصم يذهب إلى العمل منتظرًا التحقيق معه ولكن المدة قد طالت وبدأ الحزن والاكتئاب يتملكانه حينها، كان يحاول ألا تشعر ريم بذلك ولكنها كانت تعلم ما يخفيه وحاولت بكل ما استطاعت أن تخرجه من تلك الحالة ولكنه سرعان ما يعود إليه ويزداد الأمر بمرور الوقت دون إخباره عن سبب توقيفه عن العمل.

زادت عصبية معتصم في تلك الفترة بسبب بقائه في البيت، وحينها ظهرت تلك المشاكل النفسية التي كان يعاني منها سابقا، فلقد تم تشخيصه بالصرع الحاد بعد وفاة والده وإصابته بحالة اكتئاب حادة جعلته عصبي حاد الطباع، كان ذلك الأمر سرا لم يخبر معتصم أحدا به حتى لا يتسبب الأمر في إقصائه من العمل، كنت أنا وريم فقط من نعلم بالأمر.

كانت أغلب الأدوية الطبية لا تؤتي بثمارها مع معتصم وحالاته الانفعالية، فوصف له أحد الأطباء أحد الحقن المخدرة لأخذها عند بدأ الشعور بنوبة الصرع حتى لا تخرج الأمور عن السيطرة، كان اسم الدواء ميدازولام، لقد رأيت أمبولات منه منتشرة في أرجاء البيت حيث تناول معتصم أكثر من جرعة مخدرة في تلك الفترة، فكلما شعر بأن الأمور ستخرج عن السيطرة كان يأمر ريم بإعطائه محقن ليغيب عن الواقع في دقائق قليلة ولتسقط ريم بجانبه باكية حزينة لما يحدث له.

علم معتصم بعد فترة أنه موقوف لأنه قد خالف القواعد المتعارف عليها واطلع على ملفات لا يسمح لأحد الاطلاع عليها، كان من المفترض أن يضعها في الأرشيف ويسجل أحكامها وجلساتها وتنسيق أدلتها دون الاطلاع عليها، هكذا كانت القواعد لديهم، ولم يكتفوا بأنه قد توقف

عن العمل لمدة بل رأوا أن تواجده في ذلك القسم لن يفيدهم فقاموا بنقله إلى قسم تلقي الشكاوى من الهاتف وتسجيلها وتلك المرة في مدينة الواحة، لقد كان تقليل آخر لشخصه ولكنه عاد للعمل حينها وبدأت قصة جديدة له.

ما إن عاد معتصم مجددًا لعمله الجديد حتى تغيرت حالته النفسية بعض الشيء حتى أنه أعد مفاجأة لريم عندما أحضر لها بعض أدوات النحت والأجهزة الخاصة به، كانت مفاجأة سارة جدًّا لها حتى أنها أخبرتني بذلك الأمر يومها وكانت قد أعدت تمثال لي بالصلصال وقامت بتصويره وأرسلت لي الصورة حينها، هذا التمثال هو صورة حية مني بكل تفاصيل وجهي من تجاعيد وثنايا وملامح دقيقة، كانت ما تزال تمتلك تلك الموهبة المميزة لديها.

مع استمرار عدم وجود أطفال لدى ريم ومعتصم أصبحت حياتهم معتمدة على بعضهم البعض، لا يفترقان، يفعلان كل شيء سويًّا، يشاركان بعضهم كل تفصيلة صغيرة حدثت في يومهم، اعترف لكم بأن ريم أصبحت شخصا آخر بعد حياتها مع معتصم، أصبحت عطوفة أكثر مع الجميع، شرسة وقاسية مع كل من يتعدى على حقوقها، تسعى لخدمة كل من يلجأ لها بقدر استطاعتها، مغلقة الباب في وجه كل من يحاول استغلالها، وها هي الآن قد أصبحت من أبرع الجراحين الذي تتمنى أي مشفى أن تعمل لديهم، كنت أنظر لها بعين فخر دائما، لقد عانت ريم كثيرًا وحملت المسؤولية صغيرة، لم تعش حياة الفتيات الصغار اللاتي تهتمن بملابسهن ومكياجهن، لم تتح لها الفرصة لذلك، لذا عندما وجدتها سعيدة مع معتصم كنت سعيد لها وشعرت بأن ذلك عوضا لها.

كنت أود أن أقدم لها أي شيء تطلبه ولكنها كما أخبرتكم كانت زاهدة في حياتها قنوعة بما لديها، بل العكس كانت هي من تقدم لي كل ما في قدرتها، لم تتوان للحظة في التضحية من أجلي حتى أنها هي من سعت في إنهاء إجراءات سفري لاستكمال دراساتي العليا وهي لم تكمل خاصتها، كانت سعيدة لنجاحي حزينة لفراقي لأول مرة منذ كنا في بطن أمنا.

أما معتصم فما زالت الحياة صعبة عليه وأصبح الاكتئاب ملازما له أغلب الوقت كان الأمر محزنا لريم أن تراه هكذا لذا كان عليها أن تخفف عنه، لذا استغلينا فرصة زيارتي لهم وطلبت منا أن تقوم بدعوتنا على الغذاء في أحد المطاعم الفاخرة بمدينة الواحة محاولة منها أن تخرجه من حالته النفسية السيئة فوافقنا على الفور.

وصلنا للمطعم وجلسنا في المنطقة المفتوحة به، حينها بدأ معتصم وريم يتذكرون ذكرياتهم السابقة وعن أول لقاء لهم في المشفى وعن خوفها حينها منه وتوالت الذكريات وهم يضحكون ويسخرون مما حدث لهم، كان وقتا ممتعا معهم ولم يستوقفه سوى توقف سيارة بدون بيانات أمام المطعم وهبط منها رجال يبدو عليهم شيء مريب.

نزل رجلان منها متجهين لمكان آخر بالقرب من المطعم وظل السائق في السيارة وبدا عليه التوتر الشديد، لاحظ معتصم الأمر فشغل به وظل يتابع ما يحدث وحينها انتبهت ريم لانشغال معتصم بأمر ما، أما أنا فلم أكن أدري ما الذي يحدث، سألته ريم فأشار لها إلى السيارة، فطلبت منه أن يترك الأمر وأننا هنا لقضاء وقت ممتع وألا ينتبه لأشياء أخرى ولكن معتصم لم يكن ليترك الأمر ليمر كذلك، فنهض من كرسيه وتوجه إلى سائق تلك السيارة.

تلجلج السائق عندما وجد أحد الأشخاص يضع يده على حافة النافذة مقتربا برأسه يتفحص ما بداخل السيارة وهو يسأله:

- ماذا تفعل هنا، ولماذا تركك أصدقائك ورحلوا بعيدا؟

تعرق السائق فجأة وهو يجيب بتوتر شديد:

- سأرحل فورا.

ثم صمت قليلًا وهو يحاول التفكير وأكمل:

- من أنت لتسألني من الأساس؟

فأخبره معتصم:

- النقيب معتصم، بحث جنائي، لِمَ لا توجد بيانات لتلك السيارة؟

هنا ازداد السائق تعرقا وبدأ يتوتر أكثر فعلم معتصم بأن هنالك شيء يحدث فطلب من السائق أن يعطيه أوراق السيارة ورخصته والنزول من السيارة.

حينها سمع صوت إطلاق نيران في مكان قريب من المطعم وبدأ يظهر صوت صراخ بعض الأشخاص ليسود الذعر بين الناس فربط معتصم الواقعة بهؤلاء الأشخاص ولكن صوت طلق ناري خرج من داخل السيارة واستقر في صدره جعل جسده يهتز فجأة وهو يحاول الاستمرار في الوقوف ولكنه شعر بشعور غريب يسري بداخله، حاول معتصم التمسك بالسائق وهو يرمقه بنظرة حادة وحينها عاد الرجال يركضون للسيارة يركبونها وخرجت طلقة أخرى من أحد الرجال الذي ركبوا السيارة لتجعل معتصم ينتفض مرة أخرى ليركع على ركبتيه

وتنطلق السيارة مسرعة في الهروب في نفس اللحظة التي وصلت فيها ريم لمعتصم تتفقده بذعر.

ما زال معتصم راكعا بركبتيه مواجها برأسه رأس ريم التي ركعت هي الأخرى وهي تتفحص أماكن إصابته وهي تبكي بشدة تخبره أنها ستعتني به، حاول معتصم أن يتماسك وهو يفتح عينيه ويغلقها بسرعة وكأنه أصيب بخلل ما، صاحت ريم بالناس لطلب الإسعاف وهي تحاول وقف النزيف بما تستطيع ولكنها وجدت أن إحدى الإصابات قد أصابت قلبه فشعرت بأن قلبها قد انفجر بداخلها وهي تبكي ليترنح جسد معتصم ليسقط على صدرها فتدفعه لينهض مجددًا وهي تصيح به أن يظل معها، ولكن الأمر كان محسوما فمال معتصم بجسده على أحد الأجناب لتساعده ريم أن يستلقي على ظهره وحينها لم يبد معتصم أي حركة سوى ابتسامة خفيفة أخيرة في وجه ريم.

حدث كل ذلك وأنا أقف مختبئ في أحد أركان المطعم أشاهد ما حدث وأنا خائف أن أخرج للعلن.

٥٥

تُوفي معتصم وأصبحت ريم كالجماد، لقد تُوفي بين يديها، تُوفي وهو حزين مكتئب لما يحدث له، لم ينصفه أحد طوال حياته رغم إخلاصه وتفانيه في كل شيء يفعله، شعرت بغصة كبيرة لفقدانه، حاولت التفكير بمدى حزن ريم، بالتأكيد لن يكن حزني شيئا بالنسبة لها، لقد كان بمثابة أب وأخ وصديق وحبيب لها، لا أعلم كيف ستصمد بعد ما حدث.

حاولت الاقتراب من ريم في ذلك الوقت اعتقدت أنها ستبكي في حضني وهيأت نفسي لذلك لكني وجدتها تقف جامدة لا مشاعر لها، كانت كالشجرة المتصلبة التي لم تصلها الماء لسنين ولكنها ما تزال حية بداخلها، لم أرها تدمع تلك الليلة وكأن هنالك خطب ما بها، مع كم المواساة والتعازي التي حصلت عليها لم يكن هنالك أي ردة فعل من تجاهها، لم تتحدث مع أحد ولم تشاركنا الحزن، أعتقد أنها أرادت أن تحزن بداخلها و لم ترد لأحد أن يراها، لابد أن الأمر كذلك، لم أرها تحب أحد في حياتها مثلما أحبت معتصم، لذا اؤكد لكم أنه كان هنالك بركان في داخلها كان يجب أن يخرج حتى لا يتسبب في مكروه لها.

تم الانتهاء من تصريح الدفن وتأكيد الوفاة بسبب الطلق الناري الذي أصاب القلب وبعدها تم الدفن والعودة للمنزل، ولكن لأول مرة بدون معتصم، سيكون ذلك هو الحال الدائم بعد ذلك، دخلت ريم المنزل ومازالت تتحرك كأنها روبوت ينفذ الأوامر التي تطلب منه، حضرت بعض زميلاتها في العمل لتقديم العزاء ولم يحضر من عمل معتصم سوى زميل له في المكتب وقد عين رسميا لتقديم واجب العزاء، لم يحضر أي شخص آخر من زملائه.

حاولت سؤال زميله عمَّا ستفعله الإدارة لموت ضابط لديها، وإن كان هنالك تكريم له وعن مجهوداته السابقة، فوجدته يجيبني برد خجول بأن الإدارة قررت بأن معتصم قد تُوفي وهو في إجازة ولم يكن بالعمل حين تم قتله لذا لن يكون هنالك أي مراسم خاصة له، وقدم تعازيه مرة أخرى بعدما وعدني بأنهم يبذلون أقصى ما في وسعهم لإلقاء القبض على من فعل ذلك ولم يمكث بعدها إلا لحظات ورحل وهو يعلم بمدى خزي ما أخبرني به.

أعلم بأن رئيس معتصم لم يكن يحبه وكانت هنالك العديد من الخصومات بينهم ولكن هل تصل الكراهية إلى تلك الدرجة، بالإضافة إلى وجود حدث آخر قد اجتذب اهتمام الصحافة حينها وهو مقتل طفلين بإطلاق ناري أمام إحدى بوابات نادي الواحة، هل تتذكرون الصدفة السيئة التي ربطتها مع الرائد أحمد عزيز، لقد كان الطفلان المغدور بهم هما أطفال الرائد أحمد عزيز، والمجرمون الذين قتلوهم هم من كانوا يستقلون السيارة التي رصدها معتصم وكانت سبب قتله، انصبت الأخبار على مقتل الطفلين ولم يذكر أحد معتصم.

مر اليوم كأنه دهرًا، حاولت أن أقنع ريم بالأكل أو النوم ولكني لم أنجح في كليهما، كان علينا أن نرحل عن المنزل لفترة لأنه سيذكرها بمعتصم طالما ظلت فيه، لذا أعددت لها حقيبتها وقمت بالتحدث إليها بأن علينا المغادرة لمنزلنا بالعاصمة حتى تهدئ قليلًا وأستطيع مراعاتها حينها.

لم ترفض ريم ولم توافق أيضًا، فقط قامت لتدخل إحدى الغرف في المنزل لتجلب ذلك الجهاز الذي أحضره لها معتصم لتقوم بالنحت به، كانت تحمله ووضعته على المنضدة القريبة من باب المنزل وكأنها إشارة منها أنها على استعداد للمغادرة.

جلبت كل شيء يخصها وأسرعت أضعه في السيارة وهي تقف صامتة تنتظرني انتهي، لم تغير ريم ملابسها منذ الحادث، كانت هنالك بقع دماء مازالت على فستانها التي كانت ترتديه، لم أقوى أن أخبرها أن تغير ملابسها، لقد وافقت أن تأتي معي للعاصمة وهناك قد أستطيع أن أخفف عنها ولو قليلًا، لذا فتحت لها باب السيارة لتركب وأسرعت إلى كرسي القيادة ولكن سيارة رباعية توقفت أمامنا ونزل منها أفراد حراسة ضخام البنية وفتحوا أحد الأبواب ليهبط من السيارة شخص ما يبدو أنه ذو أهمية، تقدم نحو سيارتنا يحدثني:

- أنا اللواء/ مجدي فايد، كنت رئيس معتصم السابق في العمل.

تذكرته حينها في الحال، فهذا الرجل هو الوحيد الذي أنصف معتصم في حياته ودافع عنه، وقتها كانت حياتهم جميلة بسيطة لا يشوبها هم أو غم.

أكمل اللواء مجدي حديثه معي:

- البقاء لله، لقد أتيت لتقديم واجب العزاء، لقد كان رجل صالح قبل أن يكون ضابط كفء مخلصا لعمله ندر في هذا الزمن، ليكون الله في عونك ويلهمك الصبر.

رحل اللواء مجدي عائدا إلى سيارته وحينها ولأول مرة منذ الحادثة أجد دمعة تهرب من خد ريم وتسقط على فستانها.

٥٦

عدنا للمنزل وتوجهت ريم إلى غرفتها مباشرة، أخرجت الحقائب من السيارة وتوجهت للمطبخ لإعداد طعام ساخن لها وما إن انتهيت حتى توجهت إلى غرفتها أطرق الباب فلم أجد إجابة فقمت بفتحه بهدوء وبطيء، وجدت ريم منكبة على المكتب ومعها أحد أقلام التلوين وكراسة رسم قديمة تخصها، كان يبدو أنها وجدت متنفس لها يخرجها من حالتها ويخفف عنها.

تركت لها الأكل والمياه وأخرجت لها ملابس جديدة كانت تخصها في المنزل، وأخبرتها أنني سأعد لها الحمام ومنشفة نظيفة حتى تستطيع الاستحمام ثم أخبرتها أنني في الغرفة المجاورة إن أرادت شيء فليس عليها سوى أن تطرق بابي ثم تمنيت لها نوما هادئا ورحلت من غرفتها.

كنت أمني نفسي أن تخرج ريم من حالتها سريعًا، ظللت مستيقظ في سريري يومها لا أستطيع النوم، كانت تراودني أفكار سيئة بخصوصها تدفعني للاطمئنان عليها حتى لا تصيب نفسها بمكروه، كنت أنهض من حين لآخر أتفقد باب غرفتها وأطرقه وألقي نظرة خاطفة عليها ولكنها مازالت منكبة على تلك الكراسة لا أعلم ماذا تفعل.

مر الوقت وأحسست بتعب شديد فنحن لم ننم منذ يومين وأخاف أن اقترب من فراشي فكنت سأغفو في وقتها على الفور، جلست على كرسي المكتب الخاص بي وحينها ثقلت رأسي وبدأت الأحلام تراودني فاستسلمت لها بضعف شديد، ولكني بعد وقت قصير استيقظت مفزوعا على صوت طرق شديد.

نهضت مسرعا خارجا من الغرفة وأنا أترنح أحاول معرفة سبب الطرق فوجدته صادر من الحمام، لقد كانت ريم بالداخل تحاول الخروج، لقد نسيت أن أخبرها بعطل مقبض الباب من الداخل، كنت أعيش وحدي في المنزل ولم أكن أغلق باب الحمام حينها بسبب ذلك الأمر الذي جعلني أمر بتجربة شخصية مريرة في إحدى المرات حتى استطعت الخروج من شباك الحمام الصغير حينها ولكن الآن أصبح ضروريا أن أصلح ذلك الباب.

فتحت الباب لريم بسرعة لتخرج منه وقد استحممت وبدلت ملابسها المتسخة، خرجت ولم تنظر إلي وإلى ابتسامتي البلهاء التي كانت تعبر عن أسفي عمَّا حدث للتو، توجهت إلى غرفتها وأغلقت الباب، فوجدت نفسي أقف وحيدًا بلا هدف فعدت إلى غرفتي ولكني اطمأننت قليلًا عليها وحينها توجهت إلى سريري لأنام.

مر الليل دون كوابيس أو أحلام كنت أقلق منها، كان عقلي مليء بها واعتقدت أنها ستخرج بمجرد أن أغفو لتجعلني أنهض مفزوعا ولكن يبدو أن تعبي وإرهاقي قد طغى على كل شيء ونمت نوما عميقا لم يجعلني أتذكر أي شيء سوى عندما استيقظت صباحا على صوت منبه الهاتف.

نهضت سريعًا من فراشي وتوجهت إلى المطبخ لأعد الفطور لي و لريم وما إن انتهيت حتى حملت الطعام وتوجهت إلى غرفتها لتناول الفطور سويًّا، طرقت الباب فلم أجد إجابة لذا تركت طبق الطعام بجانب الغرفة ورحلت ولكن هواجس الخوف لم تكن لتتركني فعدت مجددًا لأطمئن أنها بخير فطرقت الباب بهدوء مجددًا فلم تجب، ففتحت الباب ببطيء وألقيت عليها نظرة خاطفة لأجدها تغط في نوم عميق حينها اطمأن قلبي وأغلقت الباب سريعًا ولكني وجدت صورة جديدة معلقة أمام فراش ريم، صورة لم تكن موجودة من قبل، حاولت

التركيز فيها من بعيد لأجد أنها صورة لشخص ما، لم تكن لمعتصم إنما لشخص لا أعرفه، كانت الصورة تبدو حقيقية للغاية وكأنها التقطت من كاميرا هاتف ولكني أعلم أن ريم هي من رسمتها فمازالت لديها تلك الموهبة المميزة ولكن تبقى السؤال المهم، من هو ذلك الشخص التي رسمته ووضعت صورته على الحائط أمام فراشها.

ذهبت للعمل يومها وطلبت الانصراف مبكرا للاعتناء بأختي وقد وافقوا نظرا لأن لدي سجل كبير لديهم من تغطية نوبتجياتهم وإنهاء أعمالهم الصعبة، لذا فقد كان من السهل الحصول على إذن لأول مرة.

أظن أنني نسيت أن أخبركم عن عملي في تلك الفترة، لم أكن قد التحقت بمكتب تحليل البيانات في قسم جرائم الإنترنت حينها بل كنت في وزارة تكنولوجيا المعلومات ولكن في نفس القسم، قسم تحليل البيانات، كانت وظيفة مرهقة حينها حيث عليك تطوير شبكة ذكاء اصطناعي يمكنها التنبؤ بتطور الأحداث بناءً على المعطيات الجارية، ومنها يتم تحليلها رقميا واستخراج عدة نتائج باحتماليات مختلفة وحينها يمكن استنباط أو الوصول لسيناريو محتمل للأحداث يساعد في دراسة وتسهيل بعض الأمور قبل حدوث تعقيدات، أعلم أن الأمر يحتاج لإيضاح ولكن أعتقد أننا سنخرج عن سياق السرد لذا سأوضحه لكم إن سمح الأمر بذلك لاحقا.

عدت إلى المنزل سريعا لأتفقد ريم، وجدت رسالة على ورقة كتب فيها " سأذهب لجلب بعض متعلقاتي وأعود مجددًا"، كان ذلك خط ريم الذي أعرفه، لقد غادرت إلى الواحة مجددًا، حاولت الاتصال بها لكنها لم تجيب، لو كانت سألتني كنت بالتأكيد سأذهب معها حتى اطمئن عليها ألا يحدث مكروها لها حينما تعود إلى منزلها وتتذكر

معتصم، ولكني شعرت بأنها قد بدأت تخفف عن نفسها وتتفاعل مع العالم المحيط بها.

مررت من أمام غرفتها المفتوحة لتشدني تلك الصورة مجددًا لأنظر لها عن قرب، صورة أشبه بالحقيقية ولكن لشخص مجهول رسم بأدق التفاصيل والملامح حتى أن هنالك ندبة طولية صغيرة بجانب وجهه الأيسر قد ظهرت واضحة جلية في الرسمة. رحلت من غرفة ريم وتوجهت لإعداد الغداء وكنت أعيد الاتصال بريم ولكن دون إجابة، انتهى اليوم واقترب منتصف الليل ولم تعد ريم وبدأت بالقلق عليها.

حتى بدأت الأفكار السيئة تراودني، هل اتصل بالشرطة أبلغهم بالأمر، هل أقدمت ريم على إيذاء نفسها، هل حدثت لها انتكاسة بمجرد عودتها لمنزلها، ظللت أفكر في أمورا كهذا حتى قررت أخيرًا أن أعود إلى مدينة الواحة بنفسي للبحث عنها.

كنت أعد نفسي للخروج ولكني سمعت صوت سيارة تركن في مرأب البيت، لقد أخذت ريم إحدى سياراتنا المركونة هناك، هبطت الدرج سريعًا للطابق السفلي حيث يوجد المرأب لأجد ريم تركن السيارة وتهبط منها وفي يدها قفاز طبي، اقتربت منها وأنا أصيح بها:

- لماذا لا تجيبي على هاتفك، لقد اتصلت بك مئات المرات.

لم تجبني ريم وتوجهت إلى صندوق السيارة وفتحته وأنا أقف أمامه لأصعق وتسري رعشة في كامل جسدي وأنا اتراجع بخطوات سريعة للوراء.

لقد كان هنالك رجل مقيد في الصندوق ورأسه مغطى باللون الأحمر، لون الدم الذي سال منه، أقف مذهولا من الموقف لا أستطيع

التحدث، ولكن ريم بدأت في تحريك ذلك الرجل دون خوف وبدأت في سحبه لإنزاله من السيارة وحينها ظهر وجهه أمامي لتتجمد تعابير وجهي عندما تأكدت بأن ذلك الشخص هو صاحب تلك الصورة المعلقة في غرفة ريم، أحاول جمع شتات نفسي لأفهم ما الذي يحدث وبصوت خائف مرتعب سألت ريم:

- من هذا الرجل؟

أجابتني ريم ولأول مرة منذ الحادثة وبصوت قوي صارم:

- هذا قاتل معتصم.



تجمدت في مكاني لم استطع تصديق ما قيل، استمرت ريم في جذب الرجل لإنزاله من السيارة وهي تستخدم كامل قواها، لا أعلم ماذا فعلت حتى تستطيع وضعه في صندوق السيارة، فقوتها الجسدية لا تقوى على حمل طفل صغير، نظرت لي ريم بحنق وهي تحدثني:

- هل ستساعدني أم لا؟

أقف خائفا من طريقة حديث ريم معي، لم أعهدها تتحدث بصرامة كهذا، كانت لغتها قاسية عنيفة وكأنها تأمرني، لم استطع الاقتراب من الجثة أو هكذا ظننت في البداية فالرجل لم يتحرك حركة واحدة، ولكنها أوضحت لي قائلة:

- يجب أن أسرع في إفاقته حتى نستطيع استجوابه.

هنا هدأت قليلًا وعلمت أنه ما زال حيا ولكن يبقى أمر اختطافه وأيضًا تلك الدماء التي تغطي رأسه بالكامل، بالتأكيد ريم في ورطة كبيرة، ولكن كان الأهم حينها أنه لم يمت.

اقتربت من ريم على استحياء وبدأت في المساعدة، قمت بحمله من ذراعيه وبدأت في سحبه وسرنا على توجيهات ريم التي بدأت أرتعد منها ومما تفعله، توجهنا إلى القبو -المكان الذي جهزناه بعد ذلك لعملياتنا اللاحقة- حيث كان مليء بكراكيب قديمة بالية وقد انتشر الغبار ف المكان، ، ألقيت الرجل على الأرض وأسرعت ريم تجلب كرسيا لتضعه عليه وتكبله بحبل بلاستيكيا سميك قد أخرجته من داخل بنطالها، ووجدت دلو قديما في القبو فملأته بالماء وعادت وبكل عزمها

قامت بدفعه دفعة واحدة إلى وجه الرجل الذي حينها ولأول مرة بدأ في الاستفاقة.

كانت استفاقته بطيئة للغاية غير متناسقة مع دفعة الماء التي أخذها في وجهه حالًا، هذا لأن ريم عندما تتبعته قامت بتسديد ضربة قوية له بقضيب حديدي وافقدته وعيه، ثم قامت بإعطائه حقنة مخدرة للتأكد من عدم إفاقته في طريقهم للعودة للمنزل، كان محقن كالذي كان يأخذه معتصم أثناء نوبات صرعه.

أخذت ريم تصفع الرجل على وجهه يمينا ويسارا بقوة شديدة، كانت الصفعة تصدر صوتا عاليا وكان الرجل وهو دائخ يحاول تفاديهم ولكنه لم يستطع حتى بدأ يستعيد وعيه شيئًا فشيئًا وحاول اكتشاف ما يحدث له، كل ذلك يحدث أمامي وقلبي ينبض بسرعة شديدة لا أصدق أن ذلك يحدث في منزلنا.

كررت ريم أمر دفع الماء في وجه الرجل أكثر من مرة ثم توجه له الصفعات التي أصبحت أشبه باللكمات، كانت تفعل ذلك والغل ظاهرا تمامًا على وجهها، حينها أفاق الرجل وبدأ يطلق السباب علينا وهنا بدأ الذعر يتملكني ولكن الغريب أن ريم لم تهتز لما يقوله من وعيد وتهديد وكلمات بذيئة مستمرة، لا أعلم من تلك الفتاة التي تقف أمامي الآن ولكن بالتأكيد هي لم تكن ريم التي أعرفها.

ظَلَّ الرجل يتفوه بكلمات ثقيلة الوقع على الأذن وظلت ريم تجلب المياه وتدفعها في وجهه ليشهق بشدة ثم يعود للسباب مجددًا، وبعد فترة قامت ريم بتمزيق قطعة من قميصه ثم كورته ووضعتها بعنف واضح في فمه لتخرسه أخيرًا مما يفعله ثم أخرجت عددا من خُلات الأسنان من جيبها وأمسكت أصابع يد الرجل بقوة وبدأت تغرس ذاك

العود بين أظافره واللحم لتنطلق صرخة مكتومة شديدة من الرجل ولكن ذلك لم يجعل ريم تتوقف بل كانت تدفع العود أكثر وبقوة، يحاول الرجل تخليص يده من قبضة ريم ولكنه لم يستطع فقد كانت تمسكه بإحكام شديد لم أتخيل أبدًا أن بإمكانها فعل ذلك، كنت أقف في الخلف أشاهد ما يحدث أحاول إنكار ما يحدث وأنني في خضم كابوس لابد أن ينتهي، ولكنه لم ينتهي.

بدأ الرجل في البكاء من شدة الألم وريم تنظر له بملامح جامدة لا تدل على أنها سترحمه أو في طريقها لإخلاء سبيله، نظرت ريم إلى الرجل وهي تحدثه:

- سأنزع العود من إصبعك في المقابل ستكون هادئ لا تتحدث إلا عندما أسمح لك.

ثم نزعت ريم العود من يديه وقامت بإزالة قطعة القماش من فمه ليبدأ الرجل في السباب مجددًا فعادت ريم لتضغط القماشة بقوة أكثر داخل فمه مجددًا وتخرج عددا من العيدان وتدفعهم بين أظافره بقوه ليصرخ الرجل مجددًا فتركته ريم في ألمه وتوجهت ناحيتي تقف بجانبي وأخذت تنظر إليه من بعيد وهو يتألم بشدة.

مرت فترة والرجل يتلوى من الألم بعدها عادت إليه ريم لتخلع حذائه والجورب الذي يرتديه ثم تقدمت إلى أحد أدراج مكتب قديم وضع منذ مدة وأخرجت منه شاكوشا وعدة مسامير طويلة، لا أعلم كيف تتذكر أماكن تلك الأشياء وهي لا تعيش بالمنزل منذ سنين، وضعت ريم أحد المسامير بين إصبعي قدمي الرجل ونظرت إليه قائلا وهي تلوح بالشاكوش أمامه:

- أعتقد بأنك تعرف ما أنا مقدمة على فعله الآن.

ثم أكملت:

- أتمني أن تصمت تلك المرة.

ثم نهضت ريم لتنزع القماشة من فمه وهي تترقب ما سيفعله الرجل وتلك المرة صمت الرجل بالفعل ولم يطلق السباب فهدأت ريم هي الأخرى قليلًا ووجهت له سؤالا:

- هل تتذكرني؟

فحرك الرجل رأسه نافيًا:

- هل تتذكر ذلك الرجل الذي قتلتموه أمام المطعم بدم بارد منذ يومين؟

هنا اتسعت عينا الرجل ولم يستطع الإجابة، ظَلَّ ساكنا ولم يتحدث فاقتربت منه ريم تسأله:

- هل لو طلبت منك معرفة أسماء باقي المجرمين الذين كانوا معك فستخبرني؟

بدأ التوتر يصيب الرجل أكثر وهو يجيب بتلعثم:

- لم أكن سوى سائقا للسيارة ولا أعلم من ركبوا معي حينها، كان دوري أن أقود فقط دون أن أسأل عمن معي.

- أصدقك، ولكن لنعطيك حافزا بسيطا لعلك تتذكر شيء عنهم.

ثم أخرجت ريم مسمارا آخرا وبدون تردد اقتربت من أحد أصابع الرجل وبطرقة واحدة أحتل المسمار منتصف إصبع الرجل وسط

صراخه الذي زلزل المكان كله، لقد خيل لي أنى سمعت صوت اختراق المسمار لعظامه، لم أشاهد أي عملية تعذيب من قبل في حياتي حتى في الأفلام كنت لا أقوى على المشاهدة، ولكني أشاهدها حية حقيقية الآن وكانت بطلة المشهد هي ريم، أختي.

أكملت ريم حديثها مع السائق:

- سأتركك تفكر في الأمر جيدًا وسأعود لك في الصباح، لعلك تتذكر.

ثم جذبته بكرسيه لأقرب عمود خشبي وقامت بربطه بذلك العمود وابتسمت في وجهه وهي تخرج مسمارا آخر من جيبها ليصرخ الرجل بشدة مجددًا لمشاهدته وتعيد ريم الكرة مرة أخرى وهي تخبره:

- هذا ليجعلك تتذكر أسرع ... أتمنى أن ننتهي من الأمر بسرعة.

نهضت ريم من جلستها وتركت الرجل ويوجد في إصبعيه تلك المسامير واتجهت إلى السلم المؤدي إلى الدور الأرضي للمنزل وما إن رأيتها راحلة فأسرعت ألحق بها وأنا خائف أن أوجه لها أي حديث.

٥٨

توجهت ريم إلى المرحاض حتى تغتسل وأنا أقف انتظرها على الباب حتى تنتهي وما إن خرجت ورأتني حتى وقفت منتظرة أن أبدأ الحديث، كنت خائفا منها في تلك اللحظة ولكني تشجعت وشرعت في الكلام:

- يجب أن نبلغ الشرطة.

- نبلغهم بماذا؟

- نبلغهم أن قاتل معتصم بحوزتنا.

- وهل أنت متأكد أنه سيلقى عقابه حينها؟

- بالتأكيد، سيعرفون أنه الفاعل وسيلقون القبض على الآخرين.

صمت قليلًا قبل أن أكمل:

- انتظري، هل كنتي أنتِ من سينفذ العقاب عليه؟

لم تجبني ريم فأكملت:

- ريم، أعلم أنك مكلومة لفراق معتصم ولكن ليست تلك هي الطريقة لمعالجة الأمر، يجب أن نسلمه للشرطة.

- فات الأوان على ذلك، لقد اختطفناه وقمنا بتعذيبه، لن نفلت من العقاب.

- اختطفناه؟، قمنا بتعذيبه؟

- نعم، ألم تكن معي بالأسفل وقد رآك؟، هل سيخبر الشرطة أنك كنت هنا بالصدفة فوقفت لتشاهد ما حدث؟ أنت متورط معي في الأمر.

صعقت لما قيل ولكن بالتفكير به فهو أمر منطقيا للغاية، لقد أصبحت متورطا في الأمر رغمًا عني ولكن أيا يكن، كان يجب أن نضع حدا لذلك الأمر.

- حسنا، يجب أن نسلمه ونرى كيف ستسير الأمور، لا يجب أن تتفاقم أكثر من ذلك، وماذا تنتظرين بعدما يخبرك بأسماء المجرمين الآخرين، ماذا ستفعلين معهم؟

- سأفعل بهم مثلما سأفعل به.

- وماذا ستفعلين به؟

لم تجبني ريم.

أصبح الأمر مقلقا أكثر بصموتها وأصبحت متوترا وخائفا أكثر.

- فلتخبريني بخطتك، كيف ستنتقمين منهم، كيف عرفت بمكان ذلك السائق من الأساس قبل وصول الشرطة إليه؟

- من هاتف معتصم.

- كيف؟، أنا لا افهم.

- كان معتصم يستند بيده على باب السيارة عندما تلقى أول طلقة وكان الهاتف بيده اليمنى وسقط حينها داخل السيارة، وعرفت مكان اختباء السيارة بعدما حددت مكان تواجد الهاتف، عدت اليوم لمدينة

الواحة وظللت أراقب المكان حتى خرج الرجل من مخبأه وقمت بضربه بقطعة حديد على رأسه من الخلف وجلبته إلى هنا.

كانت ريم ذكية، استخدمت خاصية إيجاد الهاتف لتحديد مكان هاتف معتصم، لم تحتج سوى كلمة السر الخاصة بمعتصم وبالتأكيد هي كانت تعلمها فقد كانت اسمها وتاريخ ميلادها، حتى أنا كنت أعلمها، فقد كان معتصم كثيرًا ما يسألني عن أشياء تقنية في الهاتف وما إن يفشل في صنعها يعطيني كلمة السر لأتمها له.

وجهت سؤالي بعدها لريم:

- هل كنت تعرفين بأمر هاتف معتصم من البداية ولم تخبري الشرطة؟، هل خطتي لفعل ذلك منذ الحادثة؟، أتسعين للانتقام؟

لم تجبني ريم.

- هذا خطأ، هذا خطأ كبير، لا يمكن أن نستمر في الأمر.

- نعم يجب علينا أن ننتهي من الأمر.

تركتني ريم فجأة وهي حانقة واتجهت إلى القبو مجددًا وأغلقت الباب من الداخل وتوجهت للرجل مجددًا وحينها بدأت في سماع صوت صراخه الشديد يعود مجددًا وبشكل متواصل، يبدو أن ريم قد جن جنونها، ظللت أطرق على الباب بشكل متكرر ولكن دون جدوى، لولا أن منزلنا يقع على مساحة واسعة ولدينا حديقة شاسعة لاكتشف أمرنا من أول صرخة لذلك الرجل.

استمرت ريم لفترة بالأسفل مع ذلك الرجل وبعدها وجدتها تفتح الباب ويدها مليئة بالدماء والصمت يخيم على المكان، نزلت بسرعة

اتفقد الرجل لأجد رأسه قد مالت بالكامل للأمام على صدره ولكني لاحظت أنه ما زال يتنفس، إنه حي ولكن ما حدث له يكفي أن تُخطف روحه من جسده، لقد حطمت ريم ركبتيه الاثنتين بالمطرقة، احتلت عدد لم أحصيه من المسامير في أماكن متفرقة من جسده، كانت كلها تخترق عظامه، كان لحم فخذه يبدو بأنه مشرح بواسطة أداة حادة طوليا والدماء تقطر منه، كان يحتاج للعناية الطبية العاجلة وإلا سيموت قريبًا.

أما ريم فوجدتها عندما عدت للأعلى تجلس على الأريكة ممسكة بورقة وقلم وتسجل بعض الكلمات فاقتربت منها أحدثها:

- ماذا فعلت؟

- لقد أحضرت باقي بيانات من كانوا معه في السيارة.

٥٩

أجلس أنا وريم في السيارة نتابع أحد البيوت المشبوهة منتظرين أحدهم أن يخرج منه، كان بيت عشيقة أحد الأشخاص الآخرين وعلى حسب أقوال السائق المعذب فإننا سنجد شخص ممن كانوا معه في ذلك المنزل حيث كان يقله كل يوم من ذلك البيت.

حسنا لعلكم تتساءلون ماذا أتى بي في السيارة مع ريم، حتى أنا أتعجب لذلك الأمر ولكنها كانت جيدة جدًّا في الإقناع والتهديد، لقد ساعدتها في إنزال السائق من السيارة وأيضًا كنت شاهدا لعملية التعذيب التي وقعت له وبالتأكيد سيشهد ضدي إن أرسلناه للشرطة لذا أنا متورط معها في الأمر كما أنها أخبرتني أنها ستصدق على شهادته إن قمت بالإبلاغ عنها، وأيضًا... ولأكون صريحا معكم، لقد أحببت ما حدث، أحببت مشاهدة الرجل وهو يتعذب، اعترف لكم بذلك بعدما لم يعد هنالك رجعة في الأمر الآن.

ظللنا نراقب البيت حتى اقتراب طلوع الفجر حيث خرج من باب المنزل رجل يترنح ويسير بخطوات حلزونية ويبدو عليه السعادة وغيابه عن الواقع، نزلت ريم من السيارة ووقفت أراقب المكان بتركيز كبير، لم أكن أعلم ما الذي يجب فعله لمراقبة المكان ولكني ظللت أنظر يمينا ويسارا كثيرًا أشاهد إن كان هنالك أحد يشاهدنا ولحسن حظنا لم يكن هنالك أحد.

تتبعت ريم ذلك الرجل وهو متجه لسيارته وتحمل في يدها قضيبا حديدا وما إن اقتربت منه حتى ضربته بقوة فسقط مغشيا عليه، حينها أشارت لي ريم بالقدوم بسرعة بالسيارة وقد فعلت ذلك وقمت بحمل الرجل بسرعة ووضعته في صندوق السيارة وانطلقت مسرعا بالسيارة

وأنا أنظر في المرآة لعل أحد قد رآنا ولكني لم أجد أحد، ولكني كنت أشعر بشعور جديدا كليا علي، لقد كنت أشعر بالانتشاء.

تبقى رجلا أخيرًا وكان جلبه سهلا بعدما علمنا أنه يختبئ في نفس البيت الذي يختبئ به السائق وبنفس الخطة التي اتبعتها ريم، انتظرناه للخروج من المنزل وحينها باغتناه وهو يسير وحيدًا في الطريق.

حسنا، أصبحوا جميعا مكبلين ويجلسون في منتصف القبو في منزلنا، كان شكلهم رائع، مجرمون خاضعون تمامًا لنا، لا يجرأ أحدهم أن يغضبنا فلقد وضعت ريم السائق أمامهم بعدما قامت بمعالجته حتى لا يفقد المزيد من الدماء وبالتالي سيفقد حياته. حسنا، لقد قدمت له أنا بعض الطعام بدون علم ريم، لقد شعرت ببعض الأسى تجاهه، ولكن المجرمون الآخرون كانوا يرون ما حدث له وكل العظام المكسورة تلك التي لم تعالج بعد، أصبح السائق هزيلا يبدو عليه الإعياء الشديد وقد حان وقت استجواب زملائه.

أخرجت ريم صورة لمعتصم كانت تحتفظ بها وقربتها من الشخص الذي أطلق عليه الرصاصة التي استقرت في قلبه.

- هل تعلم من هذا الشخص؟

لم يجبها الرجل بالرغم من إمعانه في الصورة ولكن علامة الاستفهام كانت جلية على وجهه، يبدو أنه لم يكن يتذكره، الأمر الذي أثار غضب ريم بشدة وقامت بجذب الرجل من شعره بقوة وهي تقرب الصورة من وجهه وهي تخبره:

- لتبد بعض الاهتمام وتخبرني من هذا الرجل في الصورة.

لم يرق للرجل ما يحدث له وحينها أجابها بحنق شديد:

- لا أعلم من هذا، وبالتأكيد لا تعرفي من نحن وما سنفعله معك، سنبحث عنك وسنجدك وحينها ستترجيننا أن نعفو عنك ونقتلك ولكننا لن نفعل.

أصبت بالرعب لما قيل، يبدو صادقا تمامًا فيما قاله، ولكن في المقابل لم تتأثر ريم ولم يكن هنالك أي ردة فعل منها تجاهه فقط تجاهلته وأخرجت صورة أخرى بها صورة طفل وطفلة وأرتهم للرجل فتغيرت ملامحه حينها فسألته:

- تتذكر هؤلاء إذا؟

حينها بدأ الرجل في التشنج وبدأ يحاول في فك قيوده ولكنه لم يفلح فهدأته ريم وهي تخبره:

- لا تقلق، ليس لي صلة قرابة بهؤلاء الأطفال، ولكني سأرسل لوالدهم هدية سعيدة قريبا.

لم أكن أفهم قصد ريم حينها ولا أعلم ماذا ستفعل معهم.

بعدها أخرجت ريم صورة معتصم مجددًا وهي تريها لهم وتقول:

- هذا الرجل هو من قتلتموه أثناء فراركم بالسيارة بعد قتلكم للطفل والطفلة أمام النادي.

حينها صاح الرجل فيها وهو ما زال يحاول فك قيوده قائلًا:

- لم نطلب منه أن يتطوع ويعترض طريقنا، لقد كان غبيا بما فيه الكفاية ليلقى حتفه حينها.

ابتسمت ريم للرجل وهي تتحرك حولهم في حركة رشيقة خفيفة وكأنها تلعب باليه وتوقفت لدى السائق وهي تحدثه:

- أنت من أطلقت عليه رصاصة من داخل السيارة لتستقر في بطنه، اليس كذلك؟

ثم أخرجت مبضعا طبيا من جيبها وقامت برفع قميصه لتظهر بطنه وهي تنقبض وتنبسط بسرعة فقامت بدفع المشرط بقوة داخل بطنه ليصدر منه أنينا، فبدأت ريم تحرك المبضع بحركة افقية لتشق بطنه بالكامل لتتناثر الدماء بالمكان ولم تمر لحظات حتى بدأت أعضائه الداخلية تنزلق لتخرج من ذلك الشق الذي أحدثته ريم، كان ذلك وسط نظرة ألم واهنة أخيرة أصدرها ذلك الرجل قبل أن يفارق الحياة.

خفق قلبي لدرجة أنه كاد أن يغمي علي، لقد حضرت عملية قتل للتو، لقد شاهدت الرجل وهو يفارق الحياة، لقد مات أمام عيني. أنظر إلى أختي التي امتلأت يدها بدماء الرجل فأخذت تمسح الدماء في ملابس السائق المتوفى وهي تتوجه إلى الرجل الثالث تحدثه:

- أنت لم تتعرض لمعتصم ولكنك بالتأكيد قد أذيت أحد الطفلين، لذا سأخيرك بين عدة خيارات.

كانت تلوح بالمبضع في وجهه ثم بدأت تحدثه وهي تشير إلى أماكن متفرقة في جسده:

- أتعلم، هنالك العديد من الشرايين في جسد الإنسان وبالرغم من أنها تغذي كل أعضائه إلا أنها قد تتسبب في قتله بسرعة كبيرة. إذا، هل نقطع الشريان السباتي، أم الشريان الفخذي، أم الشريان العضدي؟

حينها انفجر الرجل في البكاء وبدأ يعتذر لها ويرجوها أن تتوقف ولكنها جذبته من شعره وهي تحملق به بقوة وتخبره:

- لا يوجد مجرم يبكي، مت شجاعا يا رجل.

ثم مررت المبضع على أحد شرايينه لتنفجر ماسورة دماء من رقبته وأخذت الدماء تهطل منه وهو يخور حتى فارقت روحه جسده.

حينها لم استطع أن تحملني قدمي فسقطت على الأرض وأعصابي لا تحتمل ما يحدث، أما ريم فقد جذبت كرسيا وجلست وجها لوجه أمام الرجل الأخير الذي كان يوبخها منذ لحظات والذي بات يعرف الآن أنه على مقربة من الموت، اقتربت منه ريم وهي تحدثه:

- أنت من أطلقت الرصاصة التي استقرت في قلبه، أتتذكر؟

حاول الرجل التحدث وصوته يكاد لا يخرج:

- أنا آسف، لم نخطط لفعل ذلك، صدقيني.

أجابته ريم:

- أعلم، أما أنا فقد خططت لقتلكم.

حركت ريم بيدها لتضع المبضع على صدر الرجل وهي تحركه في حركة دائرية حول قلبه ليبدأ الرجل في الارتجاف وسرت رعشة كاملة في

كل جسده، ظلت ريم تفعل ذلك لفترة طويلة حتى بدأ الرجل في البكاء حتى أنه تبول على نفسه من شدة الخوف وحينها دفعت ريم المبضع ببطيء شديد ليخترق صدر الرجل ثم يمر على قفصه الصدري ثم ضغطت ريم بشيء من القوة حتي أخترق المبضع العظام وبدأ الوصول إلى القلب، كل ذلك وريم تنظر في وجه الرجل عن كثب لتتابع تعابير وجهه، لم يفرق بين وجهيهما سوى سنتيمترات قليلة، ظلت ريم تضغط بقوة خفيفة ليمر المشرط ببطيء داخل قلبه حتى سكن الرجل فجأة وتوقف قلبه عن النبض، لتخرج ريم المشرط من جسده وتمسح المشرط المتسخ بدمائه في قميصه وتنهض صاعدة الدرج لتغتسل.



ظللت في مكاني لا أقوى على النهوض، أجلس وأمامي ثلاثة جثث قد فارقت الحياة للتو، رائحة الدماء تنتشر في المكان حتى أن بعضها وجد سبيلا في اتجاهي، لا أعلم ماذا حدث لم يكن ذلك اتفاقنا أبدًا لم تخبرني ريم أنه ستقوم بقتلهم، هل ذلك الرجل استفزها بكلامه ففعلت ذلك في لحظة غضب ولكن لا لقد كان المبضع في جيبها، لقد أحضرته خصيصا لفعل ذلك كما أن كلامها كان مرتب ومحدد لكل منهم، لقد أعدت كل شيء مسبقًا.

عادت ريم مجددًا بعدما غسلت يدها ووجهها من أثار الدماء وجلبت معها مجموعة أحبال قوية وما إن اقتربت مني حتى رمتها أمامي وهي تقول:

- هيا أنهض لتساعدني.

لم أكن أعلم ماذا تريد مني ولكني أطعت أوامرها، لقد كنت خائفا مرتعبا منها، لقد قتلت ثلاثة أشخاص للتو وتتعامل بهدوء شديد دون نظرة ندم، لقد جن جنونها وأصبحت تائهة الآن.

قمت ووجدت قدمي خدلة فأخذت أزحف بقدمي بصعوبة وأنا أحمل الحبال وأتبعها، بدأت ريم بفك قيود القتلى وأمسكت بأحد الحبال وأمرتني أن أربطه بطريقة معينة ثم أعلقه على العمود الخشبي الأفقي الموجود بالدروم، عندها تبين لي ماذا تريد فعله، لقد أرادت تعليقهم عاليا ليتدلوا من الأعلى وكأنهم عبرة لمن يراهم مثلما كانوا يفعلوا قديما، توليت أمر تعليقهم بمفردي وكان أصعبهم هو ذلك الرجل الذي

تتدلى أحشائه خارج بطنه، لم استطع حمله دون لمس تلك الأحشاء، الأمر الذي جعلني أتقيأ لعدة مرات.

انتهينا من تعليقهم جميعا وحينها وقفت ريم أمامهم في شموخ وهي تنظر إليهم وتأخذ نفسا طويلا وكأنها قد أنجزت مهمتها، ثم أخرجت كاميرا قديمة كانت تخص أبي وقامت بالتقاط صورا للجثث وقالت:

- هنالك من سيكون سعيدا بتلك الصور.

لم أكن أعلم مقصدها حينها ولكني علمت أنها أرسلت تلك الصور إلى الرائد أحمد عزيز الذي قُتل طفليه علي يد تلك العصابة وقد أضافت له أمرا آخر، لقد أخبرته باسم من حرضهم على فعل ذلك بعدما عرفته من ذاك السائق.

تركت ريم الجثث معلقة هكذا حتى الصباح، فلم ترد أن نقوم بحفر قبورهم في منتصف الليل فيسمعنا أحد الجيران فتسير التساؤلات، أرادت ريم دفنهم في حديقة المنزل وفي ضوء النهار.

كان أمر حفر القبور هو أصعب شيء قد قمت به، كلفتني ريم بالأمر برمته، اضطررت حينها الاستئذان من العمل وادعاء المرض. بدأت في حفر ثلاثة قبور لتلك الجثث مع تشغيل آلة جز العشب لتخفي صوت المجرفة وهي ترتطم بسطح الأرض، ظللت لأكثر من ست ساعات متواصلة حتى انتهيت من تلك العملية، كان ذلك هو أصعب عمل بدني قمت به في حياتي ولكنه تم على نحو جيد في النهاية وأصبحت الثلاث جثث تحت الأرض الآن كما أنهم لدى الشرطة مازالوا مطلوبين وهاربين من العدالة لدى مكتب التحقيقات.

تغيرت صفاتي في تلك الفترة، ولأكون صادقا لقد أحببت ما حدث نوعا ما، لا أستطيع بالتأكيد أن أنفذه أو أخطط له ولكني استمتعت أن أكون جزء منه، لا أعلم أن كان ذلك مرض نفسي أحتاج فيه إلى علاج أو شيء من هذا القبيل ولكن بالتأكيد ريم هي من تحتاج إلى العلاج قبلي.

مرت الأيام علينا وبدأت الحياة تعود مجددًا لمجراها الطبيعي وبحثت ريم عن مشفى جديد تعمل به ونجحت سريعًا في ذلك، أما أنا فقد كنت أتذكر ما حدث من آن لآخر وتصيبني بهجة لا أعلم سببها، لم أكن أشعر بتوتر أو قلق أنه سيتم اكتشافنا أو معرفة ما فعلناه، ولكني في المقابل على يقين أنه إن كررنا ما فعلناه فسأصاب بالدوار وسأتقيأ مثلما فعلت المرة السابقة وكان ذلك يصيبني بالهم والقلق، كانت ريم هي من تخطط وأنا أساعد في التنفيذ وأنفذ أوامرها التي كانت دقيقة للغاية.

كانت ريم تجلس بغرفتها كثيرًا وتظل بالساعات منكبة على مكتبها تقوم برسم أشياء لم أعلمها، امتلأت الغرفة برسوم أشبه بتقسيم مبنى سكني وبه غرف مصممة بدقة، كنت أظنها تخطط للرحيل من المنزل والتوجه إلى منزل آخر تقيم به ولكن الأمر لم يكن كذلك.

كنت أتناول طعام العشاء فوجدتها قادمة متحمسة بشدة وهي تحمل أوراق كثيرة بيدها وقامت بسحب طبق الطعام من أمامي وسط ذهولي وفرشت أوراقها على طاولة الطعام لتغطيها بالكامل وحينها قالت:

- أريد استشارتك الهندسية في تجهيزاتي الإنشائية.

لم أعرف ما غرضها فسألتها:

- هل لي أن أعرف ما هذه الرسومات أولًا؟

- هذه تجهيزات إنشائية للقبو، أريد أن أحوله لهذا التصميم.

- أي قبو؟

-قبونا.

- لم تحتاجين لتغيير القبو؟

- أريد أن استضيف بعض الزائرين الجدد.

خفق قلبي بشدة حينها، لم أشعر بأن الأمر سيكون عاديا وفعلا أخرجت ريم ورقة بها صورة أحد الأشخاص المجهولين وأخبرتني:

- هذا حامد البيسي، قاتل وبلطجي مأجور، هذا سيكون ضيفنا.

٦١

جعلتني فكرة تغيير القبو اتحمس للغاية، شرحت لي ريم الأمر برمته، سيصبح ذلك المكان هو سجننا الخاص، نقوم بسجن المجرمين فيه، نعذبهم ونستخرج منهم أقوالهم وأفعالهم القذرة وفي الأخير نقتلهم.

لم أكن أنا من يقوم باختيارهم، كانت تلك وظيفة ريم حيث كانت تبحث عن هؤلاء الأشخاص عبر الإنترنت الخفي أو ما يسمى بال Dark Web كان هنالك تطبيق خاص لاستئجار المجرمين لإتمام أعمال غير شرعية، تواصلت ريم مع بعضهم وعلمت بعضا عن بياناتهم بعد الدفع لهم نظير أعمال إجرامية وهمية طلبتها منهم.

كان التطبيق أشبه بسيرة ذاتية لكل مجرم، كل جريمة تريد فعلها لها أصحابها، بالتأكيد كانوا يضعون أسماء حركية لهم ولكن بمجرد حصولهم على المال وإتمام الاتفاق كان من الممكن اقتفاء أثرهم على أرض الواقع والتربص بهم. وللمعلومية، لم يتأذى أي شخص بريء من ذلك الأمر، لقد كنا نراعي ذلك للغاية قبل تنفيذ عملياتنا.

كنت متحمس أكثر لتلك التجهيزات الخاصة بالمكان، سيتم إنشاء طابق إلكتروني مجهزا بأحدث التقنيات في منزلنا، أوضحت لي ريم أنه سيتم تقسيم القبو إلى عدد من الغرف المنعزلة التي سيتم فتحها وغلقها إلكترونيًا، وكاميرات مراقبة ستراقب المكان بأكمله وتصدر إنذارا إن حاول أحد الهرب، وقضبان حديدة تمكننا من الاقتراب من المجرمين دون أن يستطيعوا لمسنا، لكم كان هذا رائعا.

كان هنالك مكبرات الصوت الضخمة التي ستصدر أصواتا مزعجة للغاية ولمبات الإنارة التي تطلق أنوارا ساطعة تؤذي من ينظر لها، كان

هنالك مكيفات تستطيع تغيير درجة الحرارة من ساخنة جدًّا إلى باردة في لحظات ورشاشات الماء التي خططت أن تتواجد في مكان نوم الضيوف، فكرت ريم في كل تلك الأمور ورتبتها ترتيبا بارعا، تم تخطيط القبو بكفاءة عالية وهو ما استخدمناه بعد ذلك في احتجاز ضيوفنا، هكذا كنا نطلق عليهم.

لم يتبق إلا شيئا واحدا وقد وجدت أنه كان مبالغا فيه وهو أن يتم تغليف القبو بطبقة سميكة من مواد عازلة للصوت الأمر الذي أثار فضولي فسألت ريم:

- المنزل والحديقة على مساحة كبيرة، لم قد نحتاج إلى عزل القبو؟

فأجابتني ريم:

- لأنني سأقتني نمرا.



كان أمر النمر صادما بالنسبة لي ولم أفهم غرضها منه، بدأنا التجهيزات سريعًا وكنا حريصين للغاية على عدم كشف الأمر لأي شخص قد أتى للعمل لدينا أثناء التجهيزات، حتى إننا اضطررنا إلى تعلم بعض الحرف الخاصة لاستكمال الأعمال في القبو، فقد تعلمت طريقة لحام الصلب وطريقة تغليف الحوائط بالمواد العازلة، بالإضافة إلى المجهود المبذول في شراء المواد الخام، فقد أصرت ريم ألا نشتري كل شيء من مكان واحد وألا نشتري الكمية كلها من مادة خام معينة من مكان واحد حتى لا يقتفي أحد أثرنا ولا نثير التساؤلات عمًّا سنفعله بتلك الكمية من تلك المواد.

استمرت التجهيزات لعدة أشهر نظرا لأننا كنا نهتم بكل تفصيلة بالمكان، وبدأ الشكل النهائي يتضح أخيرًا بعدما توليت أمر تركيب كل الأجهزة الإلكترونية الخاصة، كان هذا هو الجزء الممتع بالنسبة إلي، كنت أنهي عملي في الوزارة يوميا وأسرع لأستكمل باقي اليوم في القبو دون كلل أو ملل.

انتهينا من تجهيزاتنا وأصبح المكان جاهزا لاستقبال أول زوارنا، لكن قبل وصوله خرجت ريم إلى مكان ما وعادت وهي معها صندوق صغير أشبه بصندوق حمل الكلاب ولكن ما بداخله لم يكن كلبا، لقد كان نمرا.

لم أعلم من أين جلبته ولم أسألها فقد قررت من اليوم الأول لحضوره أنها هي المسؤولة عن رعايته ولن اقترب منه أبدًا. نعم كنت أخاف منه وأظن أنه لم يحبني أنا أيضًا فكلما رآني أجده يزمجر في وجهي غضبًا، ولكنه كان حنونا طيبا مع ريم التي كانت تدلله كثيرًا.

حانت اللحظة الحاسمة ووصل أول زائر للمكان، اعترف لكم بأنهم جميعا لم يحسنوا التصرف ولم يكونوا على خلق حميد ولكن كل ذلك كان متوقع ووضعناه في الاعتبار، فلقد أصبحت ريم مخططة بارعة وقد أعجبت باهتمامها بالتفاصيل الصغيرة، كنت أنا مساعدها الأول والأخير، وأصبحت اتولى كل الأمور الجسدية التي تحتاج إلى قوة، حتى أنني قد بنيت جسدا قويا مليئا بالعضلات حتى اكون مناسبا لما يطلب مني.

كان حامد البيسي هو أول شخص يخضع لتجاربنا وقد استمتعنا به ولكنه لم يستمتع بتواجده لدينا بالتأكيد، ظَلَّ معنا حوالي عشرة أيام قبل أن يلحق بأصدقائه المجرمين تحت التراب.

أظن أنه يجدر أن يُطلق علينا لقب سفاحين متسلسلين الآن.

استمر الأمر لفترة وكانت ريم تقوم باختيار الشخص وتضع الخطة وأنا أنفذها بحذافيرها، أعتقد بأنه زارنا تقريبا ثمانية أو تسعة ضيوف في تلك الفترة، قاموا بزيارتنا ولكنهم لم يغادروا منزلنا من بعد تلك الزيارة.

لأصدقكم القول، لقد أصبنا بالملل بعد فترة، حتى أن ريم كانت تترك لي أمر الاستجواب إن خضع المجرم لما نطلبه منه، فلم تعد تجد متعة في الأمر، حتى أنني أتذكر أنه في أحد المرات قد قامت بقتل المجرم دون أن تقوم باستجوابه. بالطبع قمت بلومها على الأمر فتلك ليست بشيمنا، يجب علينا التأكد أولًا من الجرم قبل القتل، أعتقد أنها قد اقتنعت بكلامي حينها ولم تكرر الفعلة مجددًا.

مر الوقت ولم نجد ما يثير اهتمامنا، تبدلت أحوال ريم وشعرت بأنها قد تسرب إليها بالاكتئاب أو الحزن الشديد ولكن كل ذلك تغير بعد زيارة غريبة من شخص أخبرنا أنه عالم أجنة أدعى أنه قد قام بعدة

تجارب على البشر لتحسين قدراتهم وقد كنت أنا وريم ممن تم عليهم تلك التجارب.

تلك قصة طويلة لا أريد أن أقحمها هنا الآن ولكنها كانت مغامرة شيقة جددت الإثارة لدينا ولكني كنت أنا البطل فيها، لعلي أسردها لكم لاحقا إن أعطوني وقتا لذلك.

توقفنا عن القتل لمدة تقترب من ثلاث سنوات وانشغلنا بأمور أخرى مثلما أخبرتكم ولكن عندما بدأ الملل يتسرب إلينا مجددًا جاءتني ريم بفكرة جديدة ولكن تلك المرة كانت جريئة ومفعمة بالإثارة والخطورة، لقد قررنا حينها أن نقوم بما نفعله ولكن سيكون زوارنا تلك المرة من الشخصيات العامة المشهورة ولكن ليس ذلك فقط، بل سنقوم بنشر ما نفعله علنا على الجميع.



حسنا، يبدو أنني أسهبت قليلًا في الحديث عن الماضي ولكن كان يجب أن أوضح لكم الأمر كاملا، لقد دُفعت إلى الأمر دون اختيار، نعم لقد شاركت فيه ولكني في البداية كنت أحاول أن أخفى ما فعلته أختي أما الآن فأنا شريك في جرائمها لا أخفي ذلك عنكم ولكني منذ البداية اتخذت قرارا والتزمت به، وهو أنني لن أقتل أحد بيدي.

لعلكم أيضًا تتسألون لِمَ اعترف على أختي كتابيا؟، ذلك لأن الأمور تعقدت أكثر فأكثر واعترافي ذلك لن يقدم ولا يؤخر شيء فيما حدث بعد ذلك، لقد أخبروني أن حديثي الآن لن يعتد به وليس له فائدة. لذا اعتبروا ما أخبرتكم به ما هو إلا فضفضة لا أكثر ولا أقل ودعونا نكمل ما حدث.

أين توقفنا؟، نعم عندما أتت ريم لتشاهدني وأنا أراقب جلسة د. رأفت سليمان مع تامر الكرامي التي تتم في القبو، حقيقة كان الأمر يدعو للاستغراب، طبيب نفسي مختطف يقوم بجلسة نفسية لفنان معروف مختطف أيضًا داخل منزل من خطفهم، لم يكن ذلك الأمر وفق خطة ريم التي وضعتها لنا، وكان أمر إصابة ركبة تامر أيضًا حينها من قراراتي الشخصية ولأخبركم أمرا، لقد كان ذلك أول تعدي جسدي أقوم به تجاه من نستضيفهم لدينا.

كانت ريم تكره أن أحيد عمَّا خططت له، ولكني شعرت بأنني أقوم بدور الدمية في تلك الخطة لذا قمت بذلك الأمر وأخبرتها ما أنوي فعله. اقتنعت ريم بفكرتي وأشادت بها وأيضًا أخبرتني أنه كان من الأفضل أن استشيرها قبل فعل ذلك، لأصارحكم، لقد فعلت ذلك عن عمد لأبعث لها برسالة أنني قادر على إدارة الأمور أنا أيضًا.

خلال حديثي مع ريم جاءني اتصال من النقيب حسين مجددًا، لقد حدث أمر جلل في دونسيار ويريدني على وجه السرعة في المكتب.

كان من المفترض أن ننفذ الخطة ونستعد لاستقبال ضيفنا الثالث رجل الأعمال راضي النوفي، ولكن يبدو أن الأمر سيؤجل حتى أعود من العمل. كانت ريم قد أعدت كل شيء متعلق باختطافه كالمعتاد ولم يتبق سوى الزيارة التي سأقوم بها له لاصطحابه إلى منزلنا حيث نكمل ما خططنا له.

بالحديث عن راضي وأعماله المشبوهة، لا يوجد عمل مشبوه لم يعمل به، إنه يدير مؤسسة كاملة لتغطية مصائب رجال الأعمال المشبوهين، هل تتاجر في الأطعمة الفاسدة المعاد استخدامها وضُبطت بالجرم، سيوفر لك شخصا يعترف أنه هو من أفسدها عن عمد، هل تتاجر في سيارات الحوادث الغير صالحة للاستخدام وتم اكتشاف الأمر، سيجد لك من يشرح للشرطة كيف كان يفعل ذلك دون علمك ويعبر عن أسفه، هل تتاجر في أدوية منتهية الصلاحية تباع بتواريخ مزورة وتم الإبلاغ عنك، سيجعل ذاك المندوب الخسيس الذي لا يتمنى لك الخير هو من فعلها. كان هذا الرجل كان نصير الشر في ذلك الزمن، افعل مصائبك وأنا من سينظف خلفك، هكذا كان شعار ذلك الرجل.

تركت ريم وعدت مجددًا للقبو لإنهاء تلك الجلسة بين د. رأفت وتامر الكرامي التي لا أعلم ماذا قيل فيها بعد وصول ريم ونقاشها معي.

انتهيت من الأمر وعدت مجددًا إلى د. رأفت باسطا يدي له قائلا:

- هل يمكنني استعادة هاتفي مجددًا؟

جلب د. رأفت الهاتف من على مكتبه وجاء يمرره لي في توتر بعدما فشل في استخدام الهاتف كوسيلة لهروبه وجاء يخبرني:

- أنا لم أقصد شيء بما فعلته.

- لا تعتذر يا د. رأفت، النجاة غريزة لدى كل البشر، لا ألومك بالطبع، لكنت فعلت المثل لو كنت مكانك.

سألني وأنا أغادر القبو:

- ماذا ستفعل مع تامر الكرامي؟

- سأحاول أن أستمع لنصيحتك.

صعدت مجددًا للأعلى استعد للرحيل من المنزل لتستوقفني ريم وأنا أمام المنزل تحدثني:

- هل سترحل هكذا؟

- هل هناك أمرا ما؟

لم تجبني وأشارت إلى المرأة أمامي لأنظر لأجد نفسي مازلت بالشارب والذقن المستعارة ومساحيق التجميل التي جعلتني رجلا مسن.

يبدو أنني من فرط الحماس من خطتي قد نسيت أن أزيلهم. لكني مازلت على رأي، أنا قادر على إدارة الأمور مثلها.

٦٤

وصلت إلى المكتب لأجده هادئ بعض الشيء على غير العادة، لطالما استدعاني النقيب حسين في كل المصائب التي يصبح فيها المكتب أشبه بلغم مستعد للانفجار ولكن تلك المرة كان الأمر مختلف، حتى أن زميلي النوبتجي تعجب لحضوري.

شعرت بالتوتر، لا يبدو الأمر منطقيا، هل عرفوا شيئا عني؟، هل اخطأنا أنا وريم في أمر ما؟، يبدو الوضع أنه شرك، لقد نصبوا لي كمينا لإيقاعي على ما يبدو.

بدأت يدي تتعرق وأشعر بضربات قلبي تتزايد بلا رادع لإيقافها، لن أستطيع الانتظار هكذا، فكرت في مشاهدة آخر مستجدات القضية المؤرشفة لأعرف إلى ماذا وصلوا ولكني تراجعت بسرعة، قد يكونوا يراقبون ما أفعله، وأيضًا ذلك من المحرمات التي أخبرتني بها ريم. "لن نتبع المعلومات القادمة عن طريق عملك"، ظنا منها أنها قد تكون دليلا يقودهم إلينا. اللعنة على ذاك التوتر الذي يجعلك تموت في الدقيقة الواحدة مئة مرة.

وصل النقيب حسين للمكتب ويبدو عليه السعادة البالغة، كان أمر يبعث الراحة نوعا ما، ظللت أنظر له منتظرًا أن يتفوه بكلمه ولكن بدا عليه السرحان فبادرت بالحديث:

- هل حدث أمر ما؟

خرج حسين من شروده ليبدو أنه قد تفاجأ بوجودي ليجيبني:

- ألست أنت النوبتجي اليوم؟

صمت لم أجد إجابة أقولها.

- آسف يا ونس، لقد أسأت الفهم، ولكن من الجيد حضورك، لقد أردت استشارتك بأمر ما.

اندهشت لما قاله النقيب حسين وازددت توترا عندما طلب مني مغادرة المكتب والذهاب إلى غرفة الاجتماعات الملحقة بمكتبنا، هل سيتواجد هناك أحد الضباط الذين سيقومون باستجوابي، أم أنني أتوهم كل تلك الأمور، ليتني أعرف ماذا يدور في رأس حسين.

دخلت غرفة الاجتماعات لأجدها فارغة وكنت أنا وحسين أول من دلفها حينها. جلس حسين على أحد المقاعد وأمرني بالجلوس وحينها بدأ بالحديث:

- أعتقد أنني معجب بأحدهم.

لم أجبه.

- لقد تعرفت على إحدى الطبيبات منذ فترة وبدأنا التواصل وأعتقد أن الأمور تسير على نحو جيد معها.

لم أعقب.

- وأردت أن أخذ رأيك في الأمر

أخذت عيني تفتح وتغلق كالأبله، لا أعرف ماذا أقول، لما أنا جالس في تلك المحادثة من الأصل؟، زاد صمتي عن الحد فصاح بي حسين قائلًا:

- ونس، أنا أحدثك، أنت صديقي وأريد نصيحتك في الأمر.

لا أعلم ما الدلالات التي اتبعها حتى يأخذ بنصيحتي حينها، أنا من سينصحه في أمر متعلق بالحب؟، شككت لوهلة أنه قد يكون تحت تأثير مخدر ما ولكن النقيب حسين رياضي ملتزم لا يسلك ذلك الطريق، إذا رجحت أن ذلك بسبب احتجاز اللواء فتحي للضباط داخل الإدارة لأيام متوالية وإنهاكهم في العمل حتى انتهاء قضية السفاح، لعل ذلك هو السبب فأنا لم أعرفه حتى الآن.

انتهت المحادثة بيني وبين حسين قبل أن تبدأ، لم أمده بأية إجابات تفيده، ظَلَّ يسألني عمَّا يفعله ولكني لم أجد ما أخبره به، حقيقة لم أكن أدري حينها ماذا أخبره.

غادرت غرفة الاجتماعات وعدت للمكتب لجلب أغراضي لأغادر لأجد زميلي محمود ينهض ويحدثني وهو يمسك بوريقات قد أعدها:

- ونس، هل أطلب منك طلب سئيلا؟

لم أجبه، أعلم أنه سيكون طلبا سمجا للغاية كشخصيته.

- لقد طلبت مني زوجتي أمرا هاما ويجب أن أحضره لها على وجه السرعة، لذا هل يمكنك تغطيتي في تلك النوبتجية وسأعوضها لك؟

ثم أخرج قلما من جيبه وأظهر الورق الذي كان في يده وقد كان مبادلة قانونية للنوبتجية، وأنا الذي كنت أعتقد أنه قد أتم جزء من عمله، لا، لقد كان يطبع ورقة لمبادلة النوبتجية ليعود إلى منزله.

على كلٍ، ها أنا أجلس على مكتبي أنهي عمل محمود بعدما طبع قبلة على جبيني بعد موافقتي لمبادلة نوبتجيته، أعلم أنني شخص ساذج

للغاية، لكني لم استطع دحض طلبه، وأيضًا لم يكن هنالك ما أفعله في البيت حينها لذا قد أستمتع بوقتي في المكتب.

بدأت في إكمال عمل محمود الذي لم يفعله وقد كان تحليل البيانات الخاصة بغرق إحدى السفن الغير شرعية والتي كانت تحمل عشرات المهاجرين من دونسيار، غرقت السفينة مخلفة العديد من الأموات الذين أرادوا ترك دونسيار متجهين إلى بلاد أخرى ظنا منهم أنهم قد يجدوا حياة أفضل هناك.

كانت أغلب التعليقات تدعو لهم بالمغفرة والرحمة وما إلى ذلك، ولكن كان هنالك جانب من التعليقات يخص هؤلاء المسؤولون عن تلك السفن الغير شرعية وإنها موجودة بكثرة ولا يوجد رادع لها، لقد كانوا يوجهون الاتهامات لشخص ما بعينه، إنه رجل الأعمال جابر الفريدي.

٦٥

انتهيت من إعداد التقرير وتجهيزه وانتظرت حتى يعود النقيب حسين لأخذه، ولكنه أتى لأمر آخر.

- أين ذهب محمود؟

- لقد حدث أمر طارئ واضطر للمغادرة.

- هل أخبرك بالتقرير المفصل الذي طلبه العقيد منير إذا؟

- أي تقرير؟

- لقد طلب تقرير مفصل بكل ما يخص قضية السفاح، لقد طلبه اللواء فتحي من العقيد منير ليكن جاهزا على مكتبه في الصباح الباكر لأنه سيذهب لرؤية الوزير شخصيا.

نظرت له في تجهم ولم أتحدث ولكني كنت أصيح بداخلي "محمود، أيها اللعين".

بدأت العمل مجددًا لإعداد ذلك التقرير، أراد العقيد منير إدراج كل التقارير في ملف واحد مع تحديد أبرز النقاط في القضية حتى يسهل قراءتها عند عرضها على وزير الأمن الداخلي، لذا كان من المفترض أن أقرأ كل التقارير مجددًا وأحدد النقاط الهامة من وجهة نظري، وأقدمه للنقيب حسين يقدمه للعقيد منير ليقدمه للواء فتحي ليعرضه على الوزير، وتلك لم تكن نوبتجيتي. محمود، يا لك من وغد.

بدأت في قراءة التقارير منذ بداية القضية واستخراج بعضا من النقاط الهامة لإعداد الملف وكان منها:

* البلاغ المقدم من الصحفية أمينة سعيد ضد د. هادي همام ببيع الأطفال للأثرياء.

* مقطع الفتاة التي اتهمت أمينة بالتنديد بشرفها ومسح أمينة لذاك المنشور وتحرير محضر بسرقة حسابتها على مواقع التواصل.

* اختفاء د. هادي همام والبلاغ المقدم من زوجته ضد الصحفية أمينة

* اكتشاف اختفاء محمود الدريني وظهور فيديو هجوم النمر عليه.

* ظهور الصحفية أمينة على إحدى القنوات الإخبارية ومعها تسجيل بصوت محمود الدريني يعترف بتجارة أعضاء الأطفال بالتعاون مع د. هادي.

* التحقيق في أمر السيارة التي يشتبه أنها تخص المجرم.

* قرار عدم النشر في قضية د. هادي همام ومحمود الدريني.

* نشر الصحفية أمينة لفيديو تامر الكرامي في نفس مكان اختطاف د. هادي وإلقاء القبض عليها.

* إطلاق سراح الصحفية أمينة لعدم ثبوت تهمة النشر بدون إذن.

* العثور على سيارة تامر الكرامي واكتشاف غطاء محقن طبي في موقع الجريمة يشتبه أنه دليل في الجريمة.

تذكرت ذلك الغطاء، إنه غطاء حقنة المخدر التي أعطيتها له، وهم الآن يقومون بإجراء فحص جنائي كامل عنه فتنبهت إلى أمر هام. أن لديهم بصماتي وحمضي النووي على قاعدة البيانات عندما أخذوها مني عند التحاقي للعمل بالمكتب.

٦٦

في نفس الوقت كانت أمينة داخل إحدى المكاتب الخاصة بجمعيات تسهيل الزواج بعدما حصلت على أول دفعة من أموال المواقع الاجتماعية بعدكم المشاهدات والتفاعلات التي حصلت عليها، لم تصدق أمينة الأمر حتى أمسكت بالأموال في يدها، وكان أول شيء تفعله هو أن قامت بقسمه إلى جزئين واتجهت إلى إحدى جمعيات تسهيل الزواج وتبرعت بستين ألف جنيها.

ما إن خرجت أمينة من باب الجمعية حتى وجدت أمامها العقيد منير، انذعرت أمينة من تلك الفجأة ولكنها تمالكت أعصابها سريعًا وهي تنظر إلى العقيد منير مندهشة من مشاهدته في ذلك المكان.

- العقيد منير يا لها من مفاجأة، ماذا أتى بك هنا؟

- لقد وجدت أن جدولك مزدحم، فأردت أن أقابلك وجها لوجه.

ضحكت أمينة ليكمل منير حديثه:

- هل يمكننا الحديث في المكان الذي تختارينه؟

- هنا.

- هنا؟

- نعم، يمكنك سؤالي ما شئت ونحن هنا.

شعر منير بأنه غير مرحب به من قبل أمينة ولكن لم يكن بيده شيء آخر سوى أن ينصاع لها لعله يستخرج منها أية معلومة مفيدة.

- أنتِ شخص خيّر للغاية، لقد تبرعت لدار أيتام منذ أيام وها أنت تتبرعي مجددًا لجمعية خيرية أخرى، هل لي أن أسأل عن السبب؟

- لقد أجبت في أول حديثك، أنا شخص خيّر، أحب أن أفعل الخير.

- فاعل الخير لا يتبرع مرة واحدة بنصف أول مبلغ يتحصل عليه في حياته.

- أنا فعلت ذلك... يبدو أنكم تراقبوني جيدًا.

- ليس جيد بالقدر الكافي، فنحن لا نعرف من يرسل لك تلك المقاطع ولماذا يرسلها إليك أنت بالذات، هل تعرفين أنت؟

- من يرسلها فأنا لا أعرفه، أما لماذا أنا... فلا أعرف أيضًا يمكنك سؤاله حين تمسك به.

تغيرت ملامح وجه منير لسماعه ذلك الحديث ولكنه حاول كتم غيظه ليكمل حديثه:

- إذا لأطلب منك طلبا شخصيا، إن تواصل معك المجرم مجددًا هلا تخبرينا أولًا قبل نشر الأمر على مواقع التواصل؟

- لقد حاولتم من قبل وقمتم بمراقبتي وفشلتم، لذا إجابتي لا، لن أخبركم بشيء.

صمت منير ولم يجد ما يقوله لتكمل أمينة حديثها:

- لقد أخبرتكم، تلك المقاطع تصلني من حيث لا أدري، ولذلك أنتم لا تستطيعون اتهامي بشيء، واستميحك عذرا لدي موعد في إحدى

المجلات لعلني أجد هناك مقطع اعترافات تامر الكرامي. (قالتها مستهزئة وهي تركب إحدى سيارات الأجرة وتغادر).

عاد منير إلى مكتبه يستشيط غضبًا، لم يكن يصدق أن شخصا ما قد يهينه بتلك الطريقة، أصبح الأمر شخصيا بينه وبين تلك الصحفية فما إن دلف إلى مكتبه حتى قام بالتواصل مع النقيب حسين يأمره بإعداد تقرير مفصل لكل ما يخص تلك الصحفية وطلب منه أن يمعن الفحص ويجلب كل المعلومات حتى لو لم تكن مهمة.

جلس منير يحاول تهدئة نفسه ولكنه لم يستطع فظل يصب جم غضبه على كل من يتواصل معه أو يدخل مكتبه وحينها شعر بأنه يسير في طريق وعر وصعب وقد يؤثر ذلك على مستقبله إن لم يستطع اكماله بطريقة جيدة.

تحول مكتب منير إلى تلال من الملفات المختلفة، أخذ يجول ويجول بين الملفات الكثيرة الموجودة، كان يمني نفسه باكتشاف هوية السفاح والانفراد بأمر الإيقاع به والقبض عليه، حينها سيتحدث الجميع عنه وتصبح صورته واضحة وقوية ويكون مؤهل لتقلد منصب ذو سلطة كبيرة، لقد كان يطمح أن يصبح مديرا لإدارة البحث الجنائي ولم يتوقف طموحه هنالك، فقد وجد في نفسه المقومات أن يصبح هو وزير الأمن الداخلي يوما ما.



غادرت المكتب صباحا بعد انتهاء النوبتجية وإعداد التقرير للعقيد منير ليقدمه للواء فتحي، وما إن وصلت البيت حتى وجدت ريم تقف أمامي متأففة ويبدو أنني لن أنعم بنومة هادئة.

- ونس، لماذا تأخرت في العمل؟، لقد اتفقنا على اختطاف راضي النوفي.

- نعم، ولكني استدعيت للعمل، لقد استمعت للمكالمة.

- هل رأيت الأخبار المنتشرة حول تلك السفينة الغارقة؟

- نعم، الجميع يربط الأمر بجابر الفريدي مجددًا.

- حسنا، يجب علينا اختطاف راضي قبل أن يتدخل ويقوم بإخراج جابر الفريدي مجددًا لذلك يجب علينا أن نأتي به الآن.

- الآن؟

-نعم، قبل أن تصعب الأمور أكثر، ولدينا التسجيل الذي يثبت جرائمه، أم أنك غير مستعد؟

كان ذلك سؤال خبيث منها.

- لا أنا مستعد، لكن الخطة أن نختطفه ليلا.

- لن يشكل ذلك فارقا، ولكن لتسرع لأنه سيغادر منزل الفتاة بعد أقل من ساعة.

كانت ريم لديها وجهة نظر لاختطافه بسرعة، فراضي النوفي معروف بقربه وصداقته لجابر الفريدي، لذا فكان من المتوقع أن يخفي راضي كل الدلائل التي تثبت تورط جابر في غرق السفينة، بالتأكيد هناك من سيأتي إلى مكتب التحقيقات وهو يبكي بشدة يعترف على نفسه بأنه من أخرجها دون علم سيده وسيخرج جابر منها دون عقاب، ولكن لنرى كيف سيتصرف بعد أن يكون راضي ضيفنا التالي.

بالحديث عن راضي، فقد كان رجل ذو علاقات خاصة، لا يقتصر على نوع واحد من النساء، ولكنه كان مخلصا لإحدى هؤلاء النساء، بالطبع لم تكن زوجته، كانت فتاة ثلاثينية تصغره بعشرات السنين ولكنها وجدت فيه الرجل المعطاء الذي وهبها العديد من المزايا ومنها تلك الشقة المزدوجة التي أقف أمامها منتظرًا إياه للخروج، كان كل يوم ثلاثاء يأتي إلى تلك الشقة المعزولة بمفرده، دون سائقه، يأتي بعد انتهاء عمله ليقضي اليوم مع تلك الفتاة ويغادر صباحا عائدا إلى مكتبه، لا أعلم كيف أقنع زوجته بذلك الأمر ولكنه كان لا يتخلف أبدًا عن تلك الفتاة في ذلك اليوم.

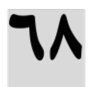
كنت أشك في قدومه تلك الليلة لمنزل تلك الفتاة بعد انتشار خبر تلك السفينة الغارقة ولكن رجل مثله يخرج أعتى الرجال من قضايا أكبر وأصعب من تلك هل سيشغل باله بأمر سفينة غارقة، بالطبع لم يشغل بالا وجاء في ميعاده وقضى ليلته دون أن يعكر أحد جمالها.

انتهت ليلة راضي لدى تلك الفتاة وركب سيارته، لم أكن أستطيع اختطافه من أمام منزله لكثرة الكاميرات التي تغطي البيت، ولكني أعلم طريق سيره لذا بمجرد خروجه لأول منعطف بسيارته سيجد سيارتي المعطلة في منتصف الطريق، سأطلب منه المساعدة، وما إن يهبط من سيارته ويأتي لمساعدتي ستكون فرصتي سانحة لتخديره، وبالفعل هذا

ما حدث، بمجرد أن أعطيته حقنة المخدر بدا عليه الذعر ولأنه كان صغير الحجم فكان من السهل على تقييده من الخلف وجلسنا على الأرض لدقائق وهو لا يستطيع التخلص من حركة "الكماشة" التي تعلمتها من المصارعة الرومانية فلم يقوى على الصمود وما هي إلا دقائق حتى بدأ يفقد السيطرة تمامًا ليجدني أساعده على النوم في هدوء.

كانت تلك المهمة تسبب قلق بالنسبة لي ولا أعلم السبب رغم أنه كان أصغرهم حجما وأيسرهم في الحمل، ولكن كان بداخلي هاجس دفين بأن هنالك أمر ما وبالفعل حدث مالم نخطط له، فقد شاهدني أحد حراس الأبنية الجديدة وهو عائد على دراجته ليقف يصيح بي وأنا أدفع راضي إلى داخل صندوق السيارة.

- أنت، ما الذي تفعله بهذا الرجل؟



لم أتمالك أعصابي فقمت بإغلاق صندوق السيارة سريعًا وعدت إلى مقود السيارة أضغط بكل قوتي على بدال البنزين لتنطلق السيارة مسرعة قبل أن يلحقني ذلك الحارس.

استطعت أن أرحل من المكان ولكن ضربات قلبي ظلت مضطربة لفترة طويلة وظلت قدمي تتحرك لا إراديا أسفلي، كل ذلك بسبب تصميم ريم على خطف راضي صباحا، ليتني لم أطاوعها فيما أرادت، وقررت أنه ما إن أعود للمنزل سيكون هنالك وقفة حازمة معها، فنحن الاثنان في مركب واحدة، بالإضافة إلى أنني من أقوم بأغلب العمل وهي تكتفي بالتخطيط

حسنا... والقتل، لقد نسيت ذلك... هي من تقتل أيضًا.

توقفت بأحد الشوارع الخالية للحظات لإزالة الذقن والشارب المستعارين وإزالة مساحق التجميل عن وجهي، ونزلت مسرعا أزيل اللاصق الأسود من على لوحة أرقام السيارة، كانت ريم تؤكد علي دائما بأن اضع لاصق أسودا في عملية الاختطاف، وأقوم بإزالته مباشرة بعد الرحيل من المكان، معللة ذلك لعدم الكشف عن هوية السيارة إن رآني أحدهم وهذا ما نفعنا بالفعل تلك المرة.

كنت أحاول جاهدًا أن أفهم خطط ريم وكيفية اهتمامها بالتفاصيل الصغيرة ولكني كنت أجدها تبالغ في بعض الأشياء ورغم نقاشتنا في ذلك الأمر إلا إنها كانت تفعل ما تراه صوابا في النهاية أما أنا فلم يكن أمامي إلا التنفيذ.

كنت في طريقي للعودة إلى المنزل ومررت حينها على أحد بوابات خدمات الطريق، لقد كانت مزدحمة والسيارات تقف في صف طويل. تسرب الرعب بداخلي وبدأ التوتر يتملكني، لا يمكن أن أفقد السيطرة الآن.

حاولت جاهدًا أن أستجمع قواي وأتذكر ما أخبرتني به ريم في تلك الحالة، كان أول شيء هو الهدوء، حسنا أول أمر هو أصعب أمر بالنسبة لي، بدأت أخذ شهيقا وزفيرا والسيارات تمر أمامي واقترب دوري، إنهم يفتحون صناديق بعض السيارات، إن قاموا بتفتيش الصندوق فسيجدون راضي نائم هناك، شهيق وزفير، ماذا أخبرتني ريم غير ذلك، نعم الذقن والشارب المستعارين، لقد أزلتهم بالفعل، اقترب من البوابة ومازالوا يفتشون صناديق بعض السيارات، إنهم يفتشون السيارات ذات اللون الفاتح، لقد أبلغ حارس العقار الشرطة عن عملية الاختطاف، شهيق وزفير وقلب خافق، لا استطيع الالتفاف والهروب الآن، إن دخلت عليهم بحالتي تلك فأنا أخبرهم أنني أخفي شيء بالتأكيد، شهيق وزفير، هل أتوهم أن هنالك صوت صادر من صندوق السيارة، هل استيقظ راضي الآن؟

مساعد الشرطة أشار إلي للتقدم.

- صباح الخير، ما الذي يحدث هنا؟

كان ذلك أنا بعدما تغير حالي في تلك الثانية الأخيرة، وأنا ابتسم في وجه مساعد الشرطة واتحدث معه بكل ثقة فتعجب المساعد من سؤالي وبدى مندهشا ولكنه رد علي:

- رخصة السيارة ورخصتك الشخصية.

- أنا المهندس ونس فريد، من الإدارة المركزية للبحث الجنائي.

تغيرت ملامح المساعد للنقيض وهو ينظر إلى بطاقتي التعريفية ويلقي علي التحية لأعيد السؤال عليه:

- ما الذي يحدث هنا؟

- لقد تلقينا بلاغا باختطاف أحد الأشخاص بالقرب من هنا في صندوق إحدى السيارات.

- أهاً، ليكن الله في عونكم لإيجاد المجرم.

أومأ لي المساعد بالتحرك وهنا شعرت بارتياح نفسي كبير ولكني وجدت ضابطا يستوقفني وهو يسأل مساعد الشرطة:

- هل قمت بتفتيش تلك السيارة؟

- إنه مهندس بالإدارة المركزية للبحث الجنائي.

أقترب الضابط مبتسما وهو يحدثني:

- عذرا على إيقافك، ولكنك تعلم بالأوامر الصادرة منكم بتفتيش كل السيارات التويوتا الفاتحة التي تمر على الكمائن.

حسنا، لقد قرأت عن أمر التفتيش في التقارير التي أعددتها ولم أحددها للواء فتحي في التقرير، أعتقد أنه سيعاقبني بسبب ذلك، وريم، ستقتلني لعدم إخبارها ذلك الأمر.

حاولت التحدث إلى الضابط:

- نعم، أعلم بتلك الأوامر ولكني على عجلة من أمري للحاق بالعمل.

- اعتذر لك ولكن البوابة بها كاميرات وقد يتم معاقبتي لذلك، لن يأخذ الأمر لحظة.

ثم أمر الضابط المساعد أن يسرع ليفتش صندوق سيارتي حتى أرحل، لقد وضعني أمام الأمر الواقع.

وقف مساعد الشرطة خلف السيارة منتظرًا أن أفتح الصندوق لأقوم بترقب شديد بالضغط على الزر ليفتح صندوق السيارة.



عدت إلى المنزل وأدخلت السيارة إلى المرأب لأجد ريم في انتظاري، حقا لقد كان يخالجني العديد من المشاعر المتضاربة تجاهها، هل أقوم بلكمها لإصرارها على تنفيذ خطتها في وضح النهار، أم أسرع عليها أقبلها لفكرتها الخارقة لصنع صندوق وهمي داخل صندوق السيارة، نعم تلك كانت فكرتها، أن نصنع صندوق مُبطن داخل صندوق السيارة وهو حيث اخفيت راضي فيه وأغلقت عليه ببطانة هي نفس لون بطانة صندوق السيارة فبدى أن الصندوق فارغ حينها، يحتاج الأمر شخص على علم بحجم صندوق السيارة الأصلي ليعلم أن هنالك جزء من الصندوق مخفيا خلف ما يراه.

هل تذكرون تلك التفاصيل التي كنت أراها مبالغة من ريم ولا فائدة منها، تلك كانت منهم، تلك التفصيلة التي جعلتنا ننجو من الشرطة، لذا فأنا اعترف لكم بأنها متفوقة فيما تفعله، ولكنني أيضًا متفوق فيما أفعله، فأنا من جلب راضي إلى المنزل بعدما أحسنت صنعا.

حكيت لريم كل ما حدث لي من أمر البواب الذي رآني إلى تفتيش السيارة لدى إحدى البوابات ولكني بالتأكيد لم أخبرها بأمر الأوامر التي صدرت بتفتيش كل سيارات التويوتا، فهذا سيدينني أمامها ولم أرغب بأن تسوء صورتي أمامها.

فتحت صندوق السيارة ومددت يدي بالداخل لأنزع الغطاء الخفي ليظهر من ورائه راضي يغط في نوم عميق. قمت بحمله واتجهت به إلى القبو حيث غرفته التي أُعدت له، كانت ريم ترافقني كل تلك المدة تقوم بما تفعله دائما، تراجع معي ما قمت به وتتأكد أنني لم أخطأ في شيء مما

خططت له، كان ذاك الرجل الذي رآني هو الخطأ الوحيد ولكنه لم يكن بسببي، لذا فإنني قمت بدوري على أكمل وجه.

انتهيت من تقييد راضي بأحد مقاعد الغرفة وقمت بإعداد المكان حتى نقوم بتصويره مثلما فعلنا مع الآخرين، كان من المفترض أن نرسل الفيديو الخاص به إلى أمينة ولكن تامر الكرامي كان يؤخر كل شيء، لأصدقكم القول، لقد تعبنا للغاية للحصول على اعتراف منه، لم أعتقد أن هنالك أحد عنيد لتلك الدرجة، برغم كل ذلك التعذيب الذي لاقاه إلا أنه أبى أن يعترف على ما اقترفه، بالرغم من ذلك التسجيل الذي سمعه وهو يتحدث عن دفن تلك الفتاة في الطريق الصحراوي إلا أنه لم يستجب لطلبنا في تسجيل اعتراف واضح على باقي جرائمه.

غضبت ريم بشدة وأظهرت حنقها الشديد، لقد حاولت معه بشتى الطرق، الكهرباء، المطارق، الأقمشة المبتلة، التعليق ورأسه لأسفل، المسامير التي اخترقت أغلب أصابعه، كل ذلك ولم يرضخ لما نريده منه، أشرت إلى ريم أن نقوم بإظهار ذلك التسجيل الذي حصلنا عليه منه ولكنها رفضت تمامًا، لم أكن أعلم سبب رفضها حينها ولكني مع الوقت علمت أنها تخشى أن أكون قد أخطأت عندما قمت بزرع ذلك المسجل له وحينها سيكون هنالك دليلا مادي للإيقاع بنا، لذا ففضَّلت أن تحصل على التسجيل من تامر بنفسها ولا تستعين بذلك التسجيل الذي قمت أنا بتسجيله.

كنا نريد اعترافا مفصلا منه ولكنه يأبى أن يفعل، لذا كان هنالك تأخير في الخطة وكان هذا الأمر يؤرق ريم ويغضبها، هي تريد كل شيء حسبما خططت له، لذا فقد كان لها خطة أخيرة ولكنها كانت دموية بعض الشيء.

لازلت لم أنم منذ البارحة وأصرت ريم على أن أتي معها إلى الغرفة حيث يتواجد تامر الكرامي، وجدت بالخارج معدات خاصة كانت لا تبشر بالخير، هنالك ساطور ضخم ذو نصل مهيب، ومكواة متصلة بالكهرباء يصدر عنها صوت صفير يشير إلى وصولها إلى درجة عالية من السخونة بالإضافة إلى بعض الأدوات الطبية كالكحول والشاش وحقنة طبية. يبدو أن العرض مستمر.

دخلت ريم ومعها كل تلك الأدوات على طاولة متحركة ليتفاجأ تامر الكرامي ويوقن أنه لن يمر بيوم سعيد أبدًا، اقتربت منه ريم لتعطيه الحقنة الطبية ليصاب تامر بالذعر.

- ما هذا، ماذا اعطيتني؟

- تلك حقنة مهدئة حتى لا تفقد الوعي أثناء عملي.

- عملك؟، ماذا سيحدث؟

بحركة خاطفة قامت ريم بجلب الساطور وهوت به بقوة على معصم تامر الأيسر لينفصل كفه عن ذراعه وتخرج نافورة دماء في المكان فأمسكت ريم بالمكواة الساخنة لتضعها على يد تامر المبتورة لتكي الجرح، كل ذلك كان على صوت صريخ تامر المدوي الذي أعتقد أنه قد فاق فيه زئير النمر الموجود معنا.

أظن أن تامر قد أصيب بصدمة عصبية لما رأه يحدث له، لقد تطور أسلوب التعذيب وأصبح أشد قسوة، ظَلَّ يصرخ دون توقف، لا أتذكر إن كان يأخذ شهيقا ليتنفس حينها، ظَلَّ صوت صراخه يدوي في المكان حتى اختلط أخيرًا ببكاء، لقد فقد الرجل رباطة جأشه.

لم يؤثر الأمر في ريم فاقتربت منه وهي تحدثه:

- لقد بدأ صبري ينفد.

رحلت ريم من الغرفة ولكن تامر ما زال يبكي بشدة من الألم ومما حدث ليده، كنت حزينا لما يحدث له، لا أعرف لما اتعاطف مع البشر بالرغم من علمي أنهم يفعلون أقبح الأفعال بأشخاص مثلهم، لعل تلك فطرة في لا أستطيع تغيرها.

رحلت مسرعا للخارج لأجلب علبة من العصير المثلج وعدت بها إلى تامر أعطيها له وأنا أحدثه:

- لتشرب ذلك العصير لقد فقدت الكثير من الدماء.

ظَلَّ تامر يبكي كثيرًا وبعد لحظات بدأ يحرك رأسه يمينا ويسارا وهو يحدثني:

- أنت مجنون يا رجل، اقسم لك إنك مجنونا تمامًا.

اللعنة عليه. لقد ترك من فصل يده عن ذراعه ويوجه اللوم علي أنا، حقا الشخص الطيب هو الملام دائما على كل شيء.

٧٠

بما أنني شرحت لكم كيف اختطفت راضي النوفي فلعلكم تتساءلون كيف قمت باختطاف د. هادي ومحمود الدريني وتامر الكرامي، نعم لقد كنت أنا من قام باختطافهم بمفردي، لم تكن ريم تساعدني في شيء، كانت تخبرني أن إعداد الخطة يستنفذ كل قواها وإنها لن تكون ذو فائدة معي حيث أن معظم العمل يحتاج إلى جهد بدني فقط لا غير، كانت تبخس دائما ما أفعله، بالإضافة إلى أنها لم تكن تثق بما أفعله رغم أنني أسير على الخطة بحذافيرها، كانت تظل تسألني طوال الليل عمًّا فعلته وعن كل تفصيلة تمت، وإن كان هنالك تفصيلة مفقودة تلقي علي اللوم ولا أحصل منها على أي شكر.

بالنسبة لد. هادي كنت حينها ماهر حميدة، مندوب مبيعات شركة فارماسييز للأدوية، حيث هيأت نفسي للقاء د. هادي همام في عيادته ببلدة الحسانة حيث لا يوجد كاميرات بالمكان ولا أشخاص يشكون بأمري.

- ماهر حميدة، شركة فارماسييز للأدوية يا سيدي.

أجابني دكتور هادي وهو يتملقني وينظر إلى منظري الراقي:

- تفضل، أستاذ ماهر.

- أولًا أعتذر عن قدومي هنا، لقد حاولت حجز موعد في معظم عيادات العاصمة ولكني لم استطع مقابلتك.

كان دكتور هادي مشتت الذهن حينها وبالكاد يستمع إلي وأنا أتحدث إليه، أعتقد كان ذلك بسبب ذلك المنشور الذي نشرته أمينة

حينها تتهمه ببيع الأطفال الصغار للأغنياء وشهرت به. لكنه عاد مجددًا إلى تركيزه عندما أخرجت من حقيبتي علبتان ووضعتهما أمامه فظل ناظر إلي منتظرًا.

- هذا الدواء هو خاص بالأطفال، إنه معروف في الأسواق ولكننا حصلنا على حقوق توزيعه في المنطقة.

أمسك دكتور هادي بعلبة الدواء يتفحصها ولكن عينه كانت تقع على العلبة الأخرى وهو يقول:

- بالتأكيد هو دواء معروف، مبارك عليكم. ولكن ما هو المطلوب؟

قبل أن يكمل حديثه مررت العلبة الأخرى والتي كانت تحتوي على هاتف ذكي أحدث موديل لم يكن قد وصل للأسواق المحلية بعد، مزودا بجميع ملحقاته الخاصة كساعة وسماعات لاسلكية وغيرها.

- تلك هدية بسيطة جدًّا من الشركة ونأمل أن نكون عند حسن ظنك وأن تكون أدويتنا عامل مساعد في علاج مرضاك.

ابتسم هادي وهو ينظر إلي قائلًا:

- الشركة لديكم لديها خطة جيدة للدعاية إذا.

- هذا شرف لنا يا سيدي، لقد أرسلني مدير الشركة خصيصا لك ويرجو أن تسمح بمقابلته قريبًا في أي مكان ترغب به.

- بالتأكيد، هذا شيء يسعدني.

هنا نهضت لأعطي دكتور هادي بطاقتي التعريفية المزيفة ثم سلمت عليه قبل المغادرة وحينها أسقطت حقيبتي من يدي ونزلت سريعًا التقطها وقمت بلصق جهاز صغير في مكان غير مرئي في مكتبه.

كان الجهاز الصغير هو المسجل الذي استخدمته لتسجيل الحوار الذي دار بينه وبين محمود الدريني لاحقا، كان الجهاز حديثا يعمل ببطارية داخلية ويقوم بالتسجيل عند الشعور بوجود أصوات محيطة لذا كان من مميزاته أنه يستطيع التسجيل لمدة أربعة وعشرون ساعة بتسجيلات مجزئة بدون تغير بطاريته ولكن أسوء ما فيه أنه كان من المفترض أن أعود لأخذه مجددًا لفحص ما تم تسجيله.

لم يكن الأمر صعبا في تلك الحالة فقد زرت د. هادي مجددًا لأجدد الترحيب به ولنحدد ميعادا مع رئيس الشركة وحينها أخذت جهاز التسجيل وتأكدنا مما كان يفعله هو ومحمود الدريني، أما لقائنا الأخير فقد كان لاصطحاب د. هادي للقاء صاحب الشركة وما إن قابلته حتى قمت باصطناع مشكلة في السيارة وهبطت منها ليتبعني هادي وحينها قمت بتخديره بواسطة المحقن الذي أعطته لي ريم، نفس نوع المحقن الذي كان يأخذه معتصم عند إصابته بحالة التشنجات تلك وبعدها قمت باحتضانه من الخلف بقوة وإخضاعه للسقوط على الأرض وظللنا جالسين على الأرض لدقائق حتى غاب د. هادي عن الوعي وأصبح بحوزتنا.



أما بالنسبة لتامر الكرامي فقد كنت حينها ماهر حميدة، منتج الإعلانات المبتدئ ولكن ذو الثروة الكبيرة، ولقد بلع الطعم أيضًا، كان هنالك هاتف آخر على مكتبه وجهاز تسجيل أيضًا أسفله، ولقد وقع هو أيضًا في الفخ وقمت بالتسجيل له للتأكد من جرمه. كانت ريم تصر على إثبات الجرم على صاحبه وكانت تواجههم به قبل الفتك بهم، لكم كانت قاسية معهم غير رحيمة.

على كلٍ، كنت على علم بموعد التحقيق معه بمكتب كبير القضاة قمت بتتبعه، وانتظرت خروجه من مكتب كبير القضاة وهنا بدأت ملاحقته.

أولًا قمت بالاتصال على هاتفه.

- مرحبا.

- تامر الكرامي، سأرسل لك مقطع فيديو وأريد منك مليون جنيها في المقابل.

وأغلقت الهاتف وأرسلت فيديو إباحي لفتاة صغيرة مصور داخل أحد الفنادق.

أعلم أن ما فعلته خطأ ويتنافى مع أخلاقي ولكن أردنا أن نستوقفه في مكان معزول للإيقاع به.

وصلت الرسالة إلى تامر ليفتحها ويذعر ويقوم بركن السيارة إلى جانب الطريق حيث كنت أسير خلفه، كان تامر يشاهد المقطع ظنا منه

أنه لأحد عملائه الذين يجلب لهم الفتيات ولكنه أيقن أن المقطع كان لفتاة أجنبية وليس لأشخاص يعلمهم ولكن كان ذلك كافيا لي ليجد فوهة مسدس يوجه لرأسه وهو بداخل السيارة.

- لقد عثرت عليك أيها الوغد، سأنتقم من أجل ابنتي وما فعلته بها.

تفاجأ تامر بي وأصابه الذعر وهو يرفع بيديه في حركة استسلام يحدثني:

- أنا لا أعلم ماذا تريد، لتهدئ قليلًا وتخفض سلاحك.

- لن أخفض سلاحي لأنني سأقتلك هنا.

- أقسم لك أنني لا أعرف عن أي شيء تتحدث.

- أنت من قتلت ابنتي ودفنتها على الطريق الصحراوي.

- لا، لا، لقد كنت في مكتب كبير...

لم أجعله ينهي كلامه.

- أنزل من السيارة أيها الوغد اللعين.

نزل تامر من السيارة وكاد قلبي يقفز من قفصي الصدري من شدة خفقانه، كان تامر الكرامي طويلا قوي البنية، إن دار بيننا عراك فأنا هالك لا محالة، لذا كان يجب علي أن أبدو حازما للغاية وأنا أمسك بالمسدس وأغرزه في مؤخرة رأسه لا يفارقها ولقد أحسنت فعلًا في ذلك فقد انصاع لي وبدأ في السير معي في اتجاه سيارتي لأخرج المحقن المخدر وأغرزه في مؤخرة رأسه وأقفز عليه من الخلف أحاول إخضاعه حتى أتمكن منه وأقوم بتقييده.

بالفعل استطعت أن أخضعه وبدأت في تقييده من الخلف بكل قوتي ولكني وجدته ينهض من الأرض يحملني على ظهره وكأنه يحمل طفلا صغيرا، كان ذلك متوقعا فإن وزنه أكبر من وزني لذا فإن النزال بيننا غير متوافق ولكني كنت أعول على مفعول الحقنة أن يبدأ لتضعفه قليلًا فأتمكن منه ولكن يبدو أن ذلك لم يحدث.

مد تامر يده للخلف محاولا إمساكي وجلبي للأمام ولكني كنت متشبث به بقوة فلم يستطع فعل ذلك، كان قلبي يخفق وأنا أتعلق به كالطفل الخائف، ظللنا هكذا لفترة حتى وجدته يفقد القدرة على رفع يديه باتجاهي، لقد بدأ مفعول المخدر أخيرًا ولكن اللعين لم يرد أن يستسلم وظل يسير بي لا يتوقف حتى أنه كان متجه إلى الطريق السريع باتجاه السيارات المسرعة، حينها قمت بفك حركتي التي مازالت تقيد جزءه العلوي ونزلت على الأرض أجذبه من ملابسه قبل أن يكمل طريقه ناحية إحدى السيارات التي كادت أن تقتله.

سقطت أنا وهو بجانب بعضنا البعض ونهضت سريعًا حذرا من أن يتمكن مني تامر ولكني وجدته حينها يغط في نوم عميق، لقد كاد هذا اللعين أن يجعلني أصاب بنوبة قلبية.

لعلكم تتساءلون لِمَ أتبع ذلك الأسلوب في تخدير ضيوفنا، كان من الممكن أن استخدم ذلك الصاعق الكهربي الذي كان سيشل حركتهم في الحال وحينها أستطيع تخديرهم بسهولة، لكني كنت أجد متعتي الخاصة وأنا أحتضن ضيوفنا من الخلف وهم يحاولون الفرار من قبضتي ولا يستطيعون، لكم كان الشعور لا يوصف عندما يغيبوا عن الوعي أمام عينيك.



بالعودة الى مكتب البحث الجنائي، كان اللواء فتحي يجلس في مكتبه يتابع باقي القضايا، كانت قضية اختطاف د. هادي همام والفنان تامر الكرامي هي شغله الشاغل ولكنه يجب عليه متابعة باقي القضايا الأخرى.

طرق الباب ليأذن اللواء فتحي للعقيد منير بالدخول، كان منير يحمل ملفات بيده، أسرع في خطاه وهو يضع الملف على مكتب اللواء فتحي قائلًا:

- ذلك الملف الذي أردت إعداده لمقابلة السيد الوزير، لقد سهرت خصيصا أعده لسيادتك.

- أولا، هل تتبعتم الرقم التسلسلي لكروت الذاكرة مثلما أخبرتني؟

- نعم ولكننا لم نجد تلك الأرقام لدى المستورد الرئيسي لتلك الكروت، يبدو أنها قد جاءت من خارج دونسيار.

شعر اللواء فتحي بخيبة أمل ونظر إلى الملف وهو يحدث منير:

- هل كل شيء محدث في ذلك الملف؟

- نعم، ولكن ينقصه أمر فحص المحقن الذي وجدناه بجوار سيارة تامر الكرامي، فلقد ظهر تقرير الفحص منذ لحظات.

- وماذا وجدتم؟

- وجد أن ما كان في المحقن هو مادة مخدرة تستخدم في تخدير المرضى قبل العمليات.

- إذا فهذا المخدر استخدم في اختطاف تامر الكرامي حقا.

- ليس هذا فقط، لقد اكتشفوا لعابا على غطاء المحقن الخارجي وبفحصه لم نصل إلى نتيجة على قاعدة بياناتنا، هذا الشخص غير مسجل بجرائم سابقة أو شخص نعرفه.

- إذا لدينا نوع السيارة التي يقودها وصورة كروكية له واسم وهمي، والآن حمضه النووي، ولكن ليس لدينا شخص واحد مشتبه به.

- نحاول أن نصل إلى رابط بين الجريمتين ولكن لا يوجد شيء محدد أمامنا.

- صفحات التواصل الاجتماعي هي الرابط، المجرم يتتبع ضحاياه عبر شبكة الإنترنت.

- من المستحيل أن نراقب من قام بالبحث عن د. هادي وتامر الكرامي في الآونة الأخيرة، الجميع يتابع القضية الآن ويبحثون عنهم.

- حسنا، ولكن يجب ألا نهمل ذلك الأمر، وعلى سبيل المثال، لقد تم ربط اسم جابر الفريدي بغرق السفينة المحملة بالشباب والفتيان الصغار بالأمس، لعله يكون في خطر، فلتعين له حراسة غير رسمية في أماكن تواجده خلال تلك الفترة.

- هل نعين حراسة على مشتبه به يا سيدي؟

رد اللواء فتحي بحنق:

- هذا أفضل من أن نجده على الشاشات وهو مختطف وحينها سنكون نحن المقصرين، فلتفعل ذلك حالًا.

حينها طُرق الباب ودخل أحد الضباط ليقوم بتبليغ بلاغ خطف جديد:

- عفوا سيدي، هنالك بلاغ باختطاف السيد/ راضي النوفي.



عدت إلى د. رأفت في القبو وأنا حزين ويبدو على وجهي الأسف الشديد، ما إن رآني د. رأفت حتى تجهم وبدى عليه القلق وسألني:

- لماذا أنت حزين يا ماهر؟

- لقد تعرضت لانتكاسة، لقد كنت أظن أنني في طريقي للعلاج.

- ماذا حدث، وأين تامر، ماذا فعلت معه؟

- تامر لم يعد معنا بعد الآن.

صمت د. رأفت لم يتحدث:

- وليس هذا فقط، لقد عادت الرؤى مجددًا في الظهور.

انذعر د. رأفت وهو يسألني بتوتر:

- هل اختطفت شخصا آخر؟

- نعم، إنه راضي النوفي، ولكني أقسم لك بأنني حاولت ولكني لم استطع، إنهم يظهرون لي في كل لحظة يطلبون المساعدة، لم استطع الخلاص من ذلك الأمر إلا بالتخلص من تامر الكرامي ولكن الأمر تجدد مع راضي النوفي.

صمت د. رأفت لم يتحدث.

- لقد استمعت لنصيحتك وذهبت لزيارة طبيب للمخ والأعصاب آخر، وطلب مني أن أقوم بأشعة رنين على المخ وقد فعلت ذلك وأنا في انتظار أن أريها له.

أخرجت الأشعة من المظروف الخاص بها، ومررتها له، فأخذها وهو غير واع، يبدو أنه ما زال مصدوما مما قلته.

بدأ د. رأفت في النظر إلى الأشعة وحينها استعاد تركيزه الكامل، لقد تغيرت معالمه فجأة وأخذ ينظر للأشعة في مكان أكثر إضاءة فسألته في ترقب:

- هل هنالك شيء سيء؟

لم يجبني د. رأفت وظل يدقق في الأشعة حتى أجابني في النهاية:

- لا أستطيع أن أجزم عمَّا في الأشعة ولكن ذلك الطبيب سيخبرك بالتأكيد عمَّا فيها.

كنت أعلم أنه يكذب، طريقة حديثه وإجابته لي تؤكد لي أنه يكذب.

أعاد د. رأفت الأشعة إلي وبدأ في تغيير الحديث ولكنه كان فاشلا في ذلك فقد اعترف بشكل غير مباشر بوجود شيء ما بي.

- كما أخبرتك من قبل، قد يكون ما لديك ناتج عن مرض عضوي وهو ما يجعلك ترى تلك الرؤى.

- ولكن الرؤى تكون مختلفة، لقد رأيت مئات الأشخاص يطلبون المساعدة بمجرد النظر إلى وجه راضي، أشخاص مسنون، نساء، أطفال، شبابا وفتيات، لقد قام بقتل كل هؤلاء.

أجابني د. رأفت بصوت يشوبه الاستسلام:

- لننتظر حتى يخبرنا الطبيب بما يراه وحينها نبدأ علاجنا.

انتهت جلستي مع د. رأفت ووعدته مجددًا بعدم المساس براضي حتى تنتهي باقي جلساتنا وما إن قررت المغادرة حتى وجدته يقف متوتر أو كأن هنالك أمر ما يخفيه فسألته:

- هل هنالك أمرا د. رأفت؟

- نعم، ولكن لا أريدك أن تفهم الأمر بطريقة خاطئة.

- لا، لن أفهم الأمر بطريقة خاطئة.

- أعتقد بأنك تحتضر، وحينها سأموت أنا أيضًا هنا.

٧٤

عدت مجددًا إلى الطابق العلوي بعدما أظهرت اندهاشي لد. رأفت وتفاجُئي بأن تلك الأشعة تظهر أوراما كثر منتشرة في كل مكان في المخ وكأنه أخبرني شيئا لا أعرفه. حسنا، أولًا، لست أعاني من مرض قاتل ولا أحتضر، ثانيا، تلك الأشعة كانت تخص والدتي أجريناها لها قبل وفاتها ببضعة أيام، أما عن سبب فعلي ذلك فقد كان ذلك جزء من خطتنا.

غادرت المكان وكأني مصدوم مما قاله وسط صياحه لي المعتاد بالعودة.

عدت إلى ريم لأجدها في المطبخ تقوم بإعداد الطعام، كنت دوما أشاهد في جميع الأفلام والمسلسلات أن السفاحين يقومون بإعداد طعام شهي ذو مذاق خاص ويتنافسون مع أعتى الطهاة، ولأخبركم أمرا، في الواقع أن أكل السفاحين هو أذكى وأشهى طعام قد تتناوله في حياتكم كلها، بل هو أفضل مما قد يعده أشهر طاهي في العالم.

ليس كل طاه بارع سفاحا، ولكن كل سفاح طاه بارع.

انتهينا من إعداد الطعام وجلسنا على الطاولة لتناوله، كنت أعلم أن ريم لن تجعلني أتمتع بتلك الوجبة الشهية، فبدأت في توجيه الأسئلة لي كعادتها.

- كم من الوقت في رأيك سيأخذونه حتى يتم اكتشاف الخطأ الذي فعلناه؟

- لا أعلم ولكن عدد الضباط الذين يتولون القضية كبير ويمكن لأحد منهم اكتشافه عاجلا أو اجلا.

- إذا طالما قد صنعناه فيجب علينا أن تكون مستعدين للأمر لذا بعد أن ننتهي من الطعام يجب أن نحصل على اعترافين، واحدا من تامر الكرامي والآخر من راضي النوفي قبل أن يكتشفوا الأمر.

- هل تعتقدين أننا سنحصل على اعتراف من تامر تلك المرة؟

كنت لا أحمل هما من راضي النوفي، ذلك الرجل بالرغم من كم الشر الذي فعله إلا أنه لم يتوقف عن البكاء والصريخ منذ أن أتينا به، لن يتردد في إعطائنا ما نريد بمجرد دخول الغرفة عليه.

أما تامر، فعلى غير المتوقع لقد أطاعنا تلك المرة لمجرد رؤيته لذاك الساطور في يد ريم مجددًا، لن يتحمل بتر أي طرف آخر له، ليس لحاجته لذلك الطرف وإنما لأنه لن يتحمل الألم مجددًا.

حصلنا على اعترافين في تلك الليلة ولقد كان ذلك إنجازا حقا وحينها قد جاء دور الصحفية أمينة سعيد مجددًا.



تجلس أمينة في أحد المقاهي التي بدأت في التردد عليها مؤخرا بعدما انقطعت عن الذهاب إلى جريدتها السابقة وأيضًا في انتظار المقطع التالي لا تعلم كيف سيصل لها لكنها فعلت ما أُمرت به، جلست تتابع آخر مستجدات القضية وتقوم بالرد على رواد صفحتها، كانت أمينة تشعر بالفخر والنشوة وهي تجد من يهتم بها ويراسلها عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

كانت أغلب الرسائل عبارة عن رسائل دعم يحثوها على كشف كل خبايا هؤلاء المجرمون وتقديمهم للمحاكمة أو إبلاغ السفاح عنهم ليقوم بقتلهم وتخليص الناس من شرورهم، لقد أرسل العديد منهم مشاكله الشخصية إليها، منهم من تعرض للتحرش ومنهم من تعرض للتنمر اللفظي والجسدي، وبعضهم كان يراسلها ليخبرها عن عصابات وأعمالا غير شرعية لأشخاص معروفين وكأنها قد أصبحت سكرتيرة لتلقي شكاوى المواطنين.

كانت أمينة هي أيضًا تنتظر المقطع أو التسجيل الخاص بتامر الكرامي مثلما حدث مع محمود الدريني ولكنه تأخر ولم يظهر، تجلس أمينة لتجد بعض المتواجدين في المكان ينظرون إليها بشكل مستمر، تعلم بأنها أصبحت مشهورة والجميع يتحدث عنها ولكن تلك النظرات كانت مختلفة، لم تهتم أمينة وظلت تتابع صفحاتها حتى ظهر أحد المقاطع الجديدة على صفحتها وحصد تفاعل ملحوظ بسرعه كبيرة، تم نشره بواسطة شخص يمتلك حساب مزيف.

فتحت أمينة المقطع ليظهر به الصوت الروبوتي وكان يستجوب شخص آخر:

" - الفنان تامر الكرامي هل أنت جاهز؟

لم يكن هنالك رد.

انطلق صوت أزيز يشبه الماس الكهربائي وانطلقت صرخة من أحد الأشخاص ثم صاد الصمت مجددًا قبل أن يعود الصوت الروبوتي مجددًا.

- الفنان تامر الكرامي هل أنت جاهز؟

أجاب الشخص وهو يتألم وبصوت ضعيف:

- أنا تامر محمد السيد الكرامي، وأريد الاعتراف لكم باعتراف هام.

- فلتبدأ، كلنا نستمع إليك.

- أريد الاعتراف بأنني المسؤول عن مقتل ياسمين عامر بسبب عدة خلافات بيني وبينها، وقد طلبت من أحد الرجال بالتخلص منها ودفنها.

- هلا تخبرنا عن تلك الخلافات؟

- حدث خلاف بينها وبين أحد عملائي وطلب مني تأديبها ولكنها لم تتعظ فكررت الأمر مجددًا وتم قتلها بالخطأ.

- أنت من قتلها أم العميل؟

- العميل.

- هل يمكنك إخبارنا باسمه؟

ساد الصمت ولا توجد إجابة لينطلق صوت الماس الكهربائي لفترة أطول مجددًا ويجيب تامر بعدها:

- خالد البلقويني.

- رجل الأعمال الشهير؟

- نعم.

- ومن قام بدفن الفتاة؟

- رجل يدعى جعفر التوربيني.

- حسنا، لتحدثنا عن طبيعة أعمالك القذرة.

- كنت أدير عملا مشبوها حيث أوفر بعض الفتيات لبعض رجال الأعمال.

- هل توضح معنى توفر؟

- كنت أقنع الفتيات بتلبية رغبات رجال الأعمال مقابل المال أو ظهورهم في الفيديوهات الغنائية.

- والفتيات التن لا ترغبن بفعل ذلك ويصر العميل عليهم؟

صمت تامر ليبدأ الصاعق الكهربائي ويجيب تامر بعدها:

- إن كان العميل ذو نفوذ كبير فنفعل له ما يريد حتى وإن كان ذلك ضد رغبة الفتاة.

- هل يمكنك أن تخبرنا بأسماء عملائك؟

وحينها انتهى التسجيل الصوتي.



استمعت أمينة إلى التسجيل في ذهول، لا تعرف ماذا تفعل وأيضًا لا تعرف سبب عدم إرسال المقطع لها، ظلت تحملق في شاشة هاتفها وتتابع كم التعليقات والتفاعلات على ذاك التسجيل.

ظلت أمينة حائرة لا تستطيع فعل شيء، هل تقوم بمسح التسجيل فهي لها السلطة على أن تزيله من صفحتها، أم تتركه ليزداد التفاعل عليه وحينها اتخذت قرارها بإزالته، لقد عرف الجميع أنه نشر بداية على صفحتها وأنها حتى وإن ازالته فسيتم نشره في كل مكان أيا كان.

ضغطت أمينة زر مسح وتأكيد وفي نفس اللحظة اقترب منها النادل يناديها:

- أستاذة أمينة.

صدرت شهقة منها رغمًا عنها، حاولت أمينة تدارك الأمر وهي تعتدل مجددًا في جلستها وهي تنظر للنادل الذي كان يحمل كعكة بيده وهو مبتسم في وجهها يخبرها:

- لقد أوصاني صديق لك أن أقدم لك تلك الكعكة بمناسبة عيد ميلادك وأعطاني تلك العلبة أيضًا، أخبرني أن أقدمها لك في الرابعة عصرا بالضبط.

عادت الدهشة إلى وجه أمينة وهي تمسك العلبة الصغيرة المخصصة للخواتم الثمينة وأخذت تتفحصها، تعلم بأن اليوم ليس بيوم ميلادها، فتفطنت أن هناك رسالة ما بداخل العلبة الصغيرة.

ابتسمت أمينة للنادل وطلبت وضع الكعكة على الطاولة وأسرعت هي في فتح العلبة لتجد بداخله خاتما يبدو رديء الصنع، يبدو مزيفا بالطبع ولكن لم يكن ذلك مهما فتركته أمينة وأخذت تبحث بداخل العلبة لتقوم برفع الغطاء الورقي لتجد خلفه كارت ذاكرة صغير.

نظرت أمينة حولها لتتأكد من عدم مراقبتها، لقد جاءتها الهدية في الوقت الذي يتناول فيه مساعدي الشرطة الغداء سويًّا.

وضعت أمينة كارت الذاكرة في حاسوبها المحمول وفتحت الملف لتجد مقطع فيديو مدته ثانيتين مجددًا، لقد كان لراضي النوفي وهو مقيد في الغرفة الفارغة.



كان الجميع في مبنى الإدارة المركزية للبحث الجنائي في حالة استنفار قصوى، الكل في حالة توتر رهيب بعدما ظهر ذلك التسجيل الصوتي لتامر الكرامي وتبعه ذلك المقطع الذي نشرته الصحفية أمينة ويشير إلى اختطاف رجل الأعمال راضي النوفي، كان العقيد منير في المكتب الفني يقف بجانب أحد المهندسين الذي كُلف بتحديد مكان ناشر التسجيل وبياناته كاملة، ظَلَّ العقيد منير يحث المهندس على إنهاء ما يفعله وسط توتر كبير بداخل المكتب منتظرين رد ذاك المهندس.

- ناشر ذاك المقطع يستخدم VPN.

رد عليه منير بحنق كبير:

- بدون مصطلحات.

نظر المهندس إلى منير وعلم بأنه يجب شرح ما قيل وأيضًا نظرته كانت تخبره ألا يختبر صبره فأجاب:

- هذه تقنية تخفي جميع بيانات المستخدم وتظهر أنه يستخدم الإنترنت من دولة أخرى.

- أنا لا أريد أن أعرف كل ذلك، أنا أريد أن أعرف من قام بنشر ذلك التسجيل وهو من داخل دونسيار.

- حسنا سأحاول أن أتوصل لذلك ولكن ذلك سيأخذ بعض الوقت، وقد يكون الأمر صعبا إن كان التطبيق مدفوع القيمة سيكون الأمر معقدا أكثر.

- لن يكون صعبا وستأتيني بكل شيء متعلق بذلك الحساب وإلا سأقوم بطردك.

اندهش الجميع من عصبية منير الكبيرة وحينها دخل أحد الضباط إلى المكتب الفني يحدث منير:

- اللواء فتحي يبحث عنك سيدي.

هنا وضع منير يده على وجهه وكأنه غير مستعد تمامًا لما سيلاقيه من اللواء فتحي.

خرج منير من الغرفة بعدما وجّه الجميع بسرعة التحقيق في الأمر وإبلاغه فورا بمجرد معرفتهم بالأمر، ووجه أحد الضباط بالاستعلام عمن قام بالدفع مقابل الحصول على ذلك البرنامج وأيضًا استجواب النادل وتفريغ كاميرات المقهى وتتبع مصدر علبة الخاتم ورفع البصمات عنها وأرسل في طلب مراقبي أمينة لينتظروه في مكتبه، أما هو فقد اتجه إلى مكتب اللواء فتحي.

طرق منير مكتب اللواء فتحي وانتظر حتى جاءته الإجابة فدخل ليجد اللواء فتحي في حالة يرثى لها، لم يوبخه ولم يصيح به، فقط كان يجلس على كرسيه وهو صامت لا يتحدث فبادر منير بالحديث:

- أعلم سيدي أن موقفنا سيء، ولكننا لا ندخر جهدا حتى نمسك بذلك اللعين.

تحدث اللواء فتحي بصوت منكسر:

- أنت مستبعد من التحقيق في تلك القضية يا منير وسيرسل الوزير أحد الضباط ليكمل القضية.



كان وقع الكلام صادم لمنير فوقف صامتا للحظات وبعدها حاول استجداء اللواء فتحي قائلًا:

- لقد اقتربنا منه يا سيدي، لتعطني أربع وعشرين ساعة فقط وحينها لتقم باستبعادي.

- لست أنا صاحب ذلك القرار، لقد بُلغت به والأمر نافذ.

- لن أترك القضية حتى الإمساك بذاك الوغد، سأستجوب تلك الصحفية ولن أتركها إلا وهي معترفة عن صلتها بالمجرم.

- هي لا تعرفه، إنه يستخدمها.

صمت منير وهو مندهش لا يعلم سبب قول اللواء فتحي لذلك فأكمل اللواء فتحي:

- هو يستخدمها كتشتيت لنا، يجعلها أمامنا طوال الوقت وهو يتصرف بأريحية تامة، المهم بالنسبة له أن تظل أمينة تنشر ما تقوم به.

- لا أفهم، أنت من أخبرتني بأنها هي من تملك مفتاح القضية.

- نعم، لأنه نجح في خداعي، فهو من قام بنشر فيديو اعتراف تامر الكرامي وليست هي لأنه يعلم أنها قد تُسجن إن قام أحد ممن ذكر اسمه في التسجيل بتوجيه اتهام لها، وأرسل لها فيديو راضي الذي لن يستطيع تقديم اتهام مباشر ضدها لأنه مخطوف.

صمت منير لم يعقب فأكمل اللواء فتحي:

- أنا أيضًا لست بمنأى عن إزاحتي من منصبي هذا، لقد خرجت الأمور عن السيطرة يا منير وأصبح لزاما علينا أن نمسك به وإلا سيكون هناك عواقب وخيمة علينا.

أكمل اللواء فتحي:

- لقد وجه لي الوزير لفت نظر لتعيين حراسة على رجل الأعمال جابر الفريدي بعدما قام بعض الأشخاص بتصوير الحراسة وقاموا بنشرها على مواقع التواصل واصفين إيانا بأننا ندافع عن المجرمين ونوفر لهم الحماية. لتأمر رجالنا بأن ينسحبوا من أماكنهم هناك وتخبروا جابر بأن يعين حراسة خاصة له لأنه ليس في مأمن.

أومأ منير للواء فتحي الذي أكمل حديثه:

- سيأتي الضابط في الصباح الباكر، لتساعده وتقدم له كل العون حتى ينهي عمله.

نظر منير إلى اللواء فتحي وكأنه يعاتبه بداخله ولكنه أدى التحية العسكرية وغادر المكتب.



انتشر في ذلك اليوم العديد والعديد من البرامج الحوارية التي لم يكن لديها سوى الحديث عن السفاح وما يفعله مع من يختطفهم، وانتشر على مواقع التواصل الاجتماعي سيل من رسائل الدعم والمساندة لذلك السفاح يحثوه على إكمال مخططاته وتخليص دونسيار من كل هؤلاء المجرمين.

انتشر أيضًا المقطع الخاص لبعض الملثمين الذين تهجموا على قوات الأمن المعينة لحراسة رجل الأعمال جابر الفريدي وقاموا بإلقاء حبات الطماطم عليهم ونشروا لافتات كتب عليها " مكتب التحقيقات يحمي المجرمين"، "المجرمون مكانهم السجن"، "جابر الفريدي قاتل شباب سفينة الغدر" وقد لاقت تلك المقاطع رواجا كبيرا وتأييد من الجميع.

كان أحد البرامج الحوارية الشهيرة يستضيف طبيب نفسي لسؤاله عن سبب تعلق رواد مواقع التواصل بالسفاح ودعمهم له بالرغم من أنه يعد مجرما قاتلا في النهاية، كانت إجابة الطبيب مبسطة بسرده قصة قديمة تعود إلى سرقة بنك قديما وقام الجاني باحتجاز الرهائن لعدد من الأيام حتى بدأوا يرتبطوا به والأكثر من ذلك أنهم بدأوا في الدفاع عنه.

شُخص هؤلاء المختطفون أنهم تعرضوا لحالة نفسية جعلتهم يكونوا علاقة عاطفية مرتبطة مع الجاني وسميت بمتلازمة ستوكهولم، وهي السبب في تكوين ارتباط بين المجني عليه والجاني، وأردف الطبيب بأن ما يحدث حاليا هو أمر أشبه بمتلازمة ستوكهولم، بالتأكيد المجني عليهم لا يتعاطفون مع خاطفهم في تلك الحالة ولكن عموم الشعب رغم علمهم بجريمة ما يحدث إلا أنهم يدعموه ويوافقون عليه.

انتهت اللقاءات وبدأ بعض الأشخاص يشاركون ذلك المقطع على مواقع التواصل الاجتماعي حتى ظهر كلمة شائعة جديدة تصدرت كل المنصات الإلكترونية، لقد كانت

#نحب_سفاح_ستوكهولم.



حسنا هكذا حصلت على الاسم جديد وهو سفاح ستوكهولم، لم أكن من محبي الشهرة أو أبحث عن شيء مميز ولكن لأصدقكم القول، لقد أحببت هذا اللقب.

كنت أجلس في منزلي اتناقش مع ريم حول ما سنفعله بعد ذلك، لقد اشتعلت دونسيار بما فعلناه وأصبح الوضع مثيرا، كانت ريم تحب ذلك، لقد رأيت في عينيها التباهي وبعضا من الغرور لما فعلته، لا أعلم إن كانت تعاني من جنون العظمة أم لا ولكنها لم تكن كذلك أبدًا في الماضي، على كل حال أنا معها في نفس القارب فكان لزاما علي أن نتمسك بالخطة التي أعدتها ريم من البداية، لأن خطأ واحد قد يكلفنا الكثير.

- هل أنت جاهز يا ونس؟

- نعم.

أعطتني ريم كوبين من العصير نزلت بهم إلى القبو حيث كان د. رأفت متواجد، اصطنعت دور الرجل الحزين وأنا أنظر إليه، نهض د. رأفت لرؤيتي فناولته كوبا وأمسكت أنا الآخر أشربه وتوجهت أجلس على الكرسي الخاص بي، كان د. رأفت يبدو عليه التوتر والقلق وبدأ الحديث.

- ماذا حدث لراضي النوفي، لقد رأيت المقطع في التلفاز؟

- لا يهم ماذا حدث له، لقد جئت لك في أمر أهم.

صمت د. رأفت وانتظرني أكمل:

- لقد ذهبت لطبيب المخ والأعصاب وأخبرني أن أيامي أصبحت معدودة... كما أخبرتني.

ساد الصمت المكان قليلًا ولم يتحدث كلانا حتى كسرت أنا الصمت مجددًا.

- أظنك محقا بشأن ما قلته لي، أنني أتوهم لأنني احتضر.

- هل أخبرك الطبيب إن كان هنالك أملا في العلاج؟

- لا، لقد فات الأوان. لا يستطيع أحد مساعدتي الآن.

- حسنا، ماذا ستفعل إذا؟

- لا أعلم، لم أضع ذلك الأمر في الحسبان، كنت أظنني مريضا نفسيا فحسب.

- هل ستطلق سراح راضي إذا؟

- فلتقلق على نفسك أنت، راضي لم يعد معنا بعد الآن.

تنهد د. رأفت وكأنه حزن لما سمع. أكملت حديثي:

- لقد جئت إليك لأخبرك بأمر مرضي وأيضًا لأبلغك أن مهمتك هنا انتهت وستخرج من هنا... أردت أن أتي لأعتذر لك عمًّا بدر مني وعن اختطافك كل تلك المدة.

- لا عليك، أنا حزين لمرضك وحزين لعدم قدرتي على المساعدة.

كان د. رأفت قد شرب نصف كوب العصير عندما بدأ يشعر بصداع شديد وبدأت الغرفة تدور من حوله فبدأ في التوتر وهو يحدثني بصوت متلعثم:

- هل ستقتلني؟

- بالتأكيد لن أقتلك، ولكن هنالك شخص آخر هنا قد أقتله.

أخرجت هاتفي لأريه صورة شخص ما على هاتفي ولكني لا أعلم إن كان قد رأها قبل أن يغيب عن الوعي أم لا.



كان العقيد منير يجلس في مكتبه منتظرًا الضابط الذي سيأخذ منه ذمام الأمور ويكمل التحقيقات في القضية، لم يستطع تصفية ذهنه وإخراج فكرة إبعاده عن القضية، تلك ستكون وصمة عار في تاريخه وقد تكون سببا رئيسيا له في عدم تقلد أي مناصب مستقبلية، كان الحزن يتملكه بشدة ولم يكن باستطاعته فعل أي شيء.

طُرق الباب فاستعد منير واعتدل في جلسته وحاول أن يجعل نفسه قويا غير مهتم بالقرار الذي أُتخذ. سمح لمن بالخارج بالدخول ليدخل أحد الضباط الصغار الذين هم مع منير في الإدارة، تعجب منير من سبب قدومه ليسأله:

- لقد أخبرتكم أننا سنجتمع كلنا عند قدوم الضابط الآخر لتتعاونوا معه، لما أتيت باكرا؟

- لقد اكتشفت أمرا هاما في القضية.

تغيرت ملامح منير فجأة وبدى عليه الاهتمام فأكمل الضابط وهو يخرج ورقا من مظروف يحمل اسم جهاز تنظيم الاتصالات.

- لقد كنت أتابع مع شركات الاتصال عن الأرقام التي استمدت خدمتها من أقرب محطة اتصالات لكلا من الطريق الذي اختطف منه تامر الكرامي ومنزل الفتاة الذي اختطف منه راضي المنوفي في وقت اختطافهم، وبمقارنة كل تلك الأرقام ظهر لي ٣ أرقام كانت متواجدة في المكانين وقت وقوع جرائم الاختطاف.

لمعت عيني منير للضابط الذي كان يكمل حديثه:

- بالتحري عن الثلاثة أرقام ومعرفة بياناتهم تأكد امتلاك أحدهم لسيارة تويوتا فضية اللون.

خفق قلب منير وهو يستمع لما يقوله الضابط الذي أنهي حديثه.

- وبالبحث في ممتلكات عائلته وجد أن لدى والده منزل في مجتمع النخبة.

انتفض منير من كرسيه وهو يمسك بورقة المعلومات التي حصل عليها الضابط وأسرع يصيح:

- لتجهز قوة كاملة ولتلاقيني بالأسفل في أقل من دقيقة.

جذب منير متعلقاته الشخصية وركض مسرعا في الطرقة ليطرق باب اللواء فتحي ولم ينتظر أن يجيبه ففتحه بقوة لينذعر اللواء فتحي مما يحدث وينظر إلى من اقتحم مكتبه ليجده منير يخبره:

- لقد عرفت هوية السفاح.



وقف سكان مجتمع النخبة مندهشون من كم سيارات البحث الجنائي التي تواجدت أمام إحدى الفيلات لا يعرفون ماذا يحدث، كان المكان يتميز بالهدوء الشديد والأمان ولم يتخيل أحد أن يكون هنالك مجرم يسكن بجوارهم.

ملأت قوات البحث الجنائي أرجاء أحد الفيلات، الكل كان يبحث في جميع الغرف بحثا عن السفاح لكنهم لم يجدوه، وقف العقيد منير في منتصف الفيلا يستمع إلى معاونيه الذين بدأوا في العثور على بعض الدلائل الجنائية.

- لقد عثرنا على السيارة المنشودة في المرأب سيدي، وبعض اللوحات المعدنية المزيفة.

- لقد عثرنا على هاتف قديم هنا، وبعض أدوات ملطخة بالدم سيدي.

- هنالك أرض طينية بالخارج قد حفرت مؤخرا سيدي.

تقدم منير يتابع الحفر الذي بدأ في المكان ليرن هاتفه، أخرجه ليجده المقدم حسن داغر كبير محققي قسم وسط العاصمة فلم يجبه ولكنه رن مجددًا فلم يجبه أيضًا.

بدأ الفنيون يخرجون ما تم حفره في تلك الحفرة، لقد كانت ملابس بالية ممزوجة بدماء فقاموا بوضعها داخل أكياس الأدلة الجنائية وهناك صاح أحد الضباط:

- هنالك حفرة أخرى هنا، أسرع منير إليها ليبدؤوا الحفر مجددًا وهو ينتظر ما قد سيجدونه، لم ينتظر كثيرًا حتى ارتطم الجاروف بشيء صلب حينها بدأ الفنيون باستخدام القفازات وبدأوا نبش المكان بأيديهم لتظهر أمامهم عظام بشرية.

أيقن حينها منير بأنهم داخل منزل السفاح ولكنه لم يستطع الإمساك به بعد، لكنه اكتشف هويته أخيرًا وقد يشفع له ذلك في إكمال القضية.

رن هاتفه فأخرجه ليظهر له اسم ذاك الضابط مجددًا فلم يجبه منير فظل الهاتف يرن فسادت علامات الضيق على وجه منير وقرر أن يرد وهو حانق:

- حسن سأحدثك عندما أنهي عملي.

فأجابه حسن متلهفا:

- لدي هنا شخص يقول أنه كان مختطفا لدى السفاح.



بدأ د. رأفت يفيق من إغمائته وبمجرد أن بدأ يستعيد وعيه حتى انتفض في مكانه وأخذ يتحسس جسده باحثا عن إن كان شيء ما قد أصابه ولكنه وجد نفسه في حالة جيدة، نظر حوله، لقد كان بداخل سيارته الخاصة، كان الرعب يستولي عليه بشدة فأخذ يتلفت يمينه ويساره لا يصدق أنه قد أطلق سراحه أخيرًا.

كانت السيارة مركونة بأحد الطرق الغير مأهولة بالمارة، وضع مفتاح السيارة أمام أعين د. رأفت فمد يده بترقب يمسكه ولكنه لم يقم بتشغيل السيارة إلا بعد أن هبط من السيارة يتفحصها جيدًا، فتح صندوق السيارة وهبط على ركبتيه يتأكد أنها ليست معدة للتفجير بمجرد تشغيلها.

ما زال د. رأفت لا يصدق أنه يرى العالم الخارجي مجددًا، لقد ظن أنه سيلقى حتفه على يد خاطفه وسيدفن في مكان لن يعرفه أحد ولكنه ها هو يسرع إلى السيارة مجددًا وينطلق في الطرقات لا يعلم أين هو.

تحرك د. رأفت بسيارته حتى بدأ يعلم مكان تواجده، لقد كان بوسط العاصمة، كان يعلم تلك المنطقة جيدًا، فأسرع في طريقه ليتوقف عند أقرب قسم شرطة ليبلغ عن خاطفه وعما حدث له.

وصل د. رأفت إلى قسم شرطة وسط العاصمة ونزل من سيارته يركض بداخل طرقاته يبحث عن شخصا يساعده وحينها وجد مساعدا ينظر إليه فسأله د. رأفت:

- أريد رؤية كبير المحققين، لدي معلومات هامة عن السفاح.

لم يمض الكثير حتى استأذن المساعد لد. رأفت للدخول، قابله المقدم حسن داغر كبير محققي قسم وسط العاصمة وهدء من روعه وأخبره أن يتلو عليه ما حدث.

تلى د. رأفت للمقدم حسن بإيجاز ما حدث له وطلب منه إيصاله بسرعة بالعقيد منير، لقد كان يعلم أنه المسؤول عن قضية السفاح، بالفعل أخرج المقدم حسن هاتفه واتصل بالعقيد منير ولكنه لم يجيب، اتصل مجددًا ولم يجب أيضًا.

- يبدو أنه في عمل مهم، سيتصل بي حالما ينتهي بالتأكيد.

مر وقت ود. رأفت يتواجد بداخل المكتب مع المقدم حسن، أخذ يتذكر ما حدث له وما رأه في القبو وأنه قد نجى بأعجوبة من السفاح، كان في حالة يرثى لها وهو يحكي ما حدث فأمر المقدم حسن بتقديم الطعام والشراب لد. رأفت حتى يتواصلوا مع العقيد منير.

- هل يمكن أن تعيد الاتصال به مجددًا سيدي، يجب أن يصل للسفاح بسرعة، لقد أخبرني أنه اختطف شخصا آخر وسيقتله.

عاود حسن الاتصال مجددًا بمنير ولكنه لم يجب مجددًا، ظَلَّ يحاول كثيرًا حتى أجابه منير ويبدو على صوته الحنق الشديد:

- حسن سأحدثك عندما أنهي عملي.

- لدي هنا شخصا يقول أنه كان مختطفا لدى السفاح.

استولى المقدم حسن على كامل اهتمام العقيد منير ووجه له السؤال:

- من هذا الشخص؟

- إنه د. رأفت سليمان، طبيب نفسي.

صاح حينها العقيد منير في الهاتف فجأة:

- هل أنت متأكد أن من لديك هو رأفت سليمان؟

- نعم بطاقته الشخصية ها هي في يدي.

- اللعنة، فلتقبض عليه يا حسن، أنا في الطريق اليك، إنه هو سفاح ستوكهولم.

خفق قلب حسن فجأة وهو ينظر إلى د. رأفت الذي كان قد بدأ في تناول الطعام الذي أمامه ولكنه لم يكمله واتسعت عيناه عندما وجد المقدم حسن واقفا يوجه سلاحه إليه وهو يصيح به:

- فلترفع يديك للأعلى ولا تتحرك.

الفصل الثالث



دخل العقيد منير إلى مكتب التحقيقات الرئيسي بالعاصمة وهو يقتاد د. رأفت سليمان المكبل بالعديد من الأصفاد التي جعلته يتخبط في كل خطوه يتخذها، كان الجميع في المبنى متراصين يمينا ويسارا يحيون العقيد منير الذي يمشي مختالا فخورا بعد الإمساك بالسفاح أخيرا، اتجه منير إلى السجن الملحق بالمكتب ليقوم أحد مساعدي الشرطة بفتحه مباشرة وحينها دفع منير د. رأفت بقوة للداخل لتتعثر خطاه ويقع بداخل الزنزانة ويقفل خلفه المساعد الباب الحديدي بقوة.

صعد منير إلى الطابق العلوي حيث كان ينتظره اللواء فتحي الذي نهض من كرسيه لرؤية منير يشير إليه بالاقتراب ليحتضنه وهو يربت على كتفه قائلًا:

- أحسنت صنعا يا منير.

- نحن نعمل بتوجيهاتك سيدي.

لم يكن اللواء فتحي بمفرده في المكتب، لقد كان يجلس معه أحد الأشخاص والذي مد يده مصافحا منير قائلًا:

- العميد شاكر مصطفى، الضابط المعين من قبل الوزير.

ابتسم منير وقد بادله شاكر الأمر، أكمل شاكر حديثه:

- لقد انتظرت فقط لأبارك لك على نجاحك قبل مغادرتي.

دخل اللواء فتحي في الحوار قائلًا:

- لقد علم الوزير بما فعلت وهنالك مكافأة كبيرة في انتظارك يا منير، أعتقد أنها ستكون قلادة التميز.

لمعت عين منير وهو يشكر اللواء فتحي والعميد شاكر الذي جمع متعلقاته وغادر بعدما انتهى ما جاء له قبل أن يبدأ.

جلس اللواء فتحي مع منير بعدها بمفردهم في المكتب لتنطلق تنهيدة من اللواء فتحي وهو يقول:

- لقد كان كابوسا مريرا، هذا اللعين كان سيحيلنا إلى المعاش مبكرا، ولكنك قبضت عليه أخيرًا يا منير بفضل ذكائك، كيف جاءت لك فكرة شبكات الهاتف ومقارنة الاتصالات تلك.

تلجلج منير في الإجابة ولكنه تحدث قائلًا:

- لقد بحثت في كل شيء في القضية، كانت تمثل لي أمر حياتي يجب النجاح به.

- هل اكتشفت الصحف الأمر بعد؟

- بالتأكيد، لقد كان هنالك بعضا منهم قاموا بالتقاط بعض الصور لنا ونحن في مدخل المبنى.

- إذا فلتستعد لعقد مؤتمر صحفي لتعلن عن نجاحك في القبض على سفاح ستوكهولم.

ابتسم منير للواء فتحي ونهض من كرسيه عائدا إلى مكتبه ليرتدي ملابس منمقة استعدادا لظهوره على كل الصحف والقنوات الإخبارية.



انتشر الخبر كالنار في الهشيم، احتل خبر القبض على سفاح ستوكهولم قائمة الأكثر تداول في ذلك اليوم حتى قبل أن يتم انعقاد المؤتمر الرسمي للإعلان عن الأمر.

كانت أمينة تجلس في منزلها عندما رأت الخبر، كانت متوترة لا تدري هل سيؤثر ذلك عليها أم لا، كانت تقرأ اسم العقيد منير في كل الأخبار المتعلقة بالقبض على السفاح، العقيد منير التي اشترت عداوته دون مبرر يذكر، الآن هي في موقف لا تحسد عليه ولعلها تفقد كل شيء صنعته في الفترة الماضية، كما من المرجح أن يتم استدعائها في التحقيقات القادمة مع السفاح وحينها تذكرت شيء هام.

نهضت أمينة مسرعة إلى الحمام تخرج تلك الورقة التي أرسلها لها السفاح قبل بداية كل شيء، قد يكون ذلك دليل يزج بها إلى السجن، أمسكت أمينة بالورقة وهي تتفحصها لآخر مرة وتقرأ ما فيها.

لقد صدق السفاح وعده في كل شيء ماعدا ذلك البند الأخير والذي لن يحدث، ألا وهو اللقاء الصحفي، يبدو أنه لن يتم بعد ما حدث. قطعت أمينة الورقة إلى أجزاء متناهية الصغر وألقت بهم في قاعدة المرحاض وأخذت تراقبهم وهم يتلاشوا مع المياه وهي تفكر فيما سيحدث لها.

عادت أمينة إلى غرفتها لتفتح التلفاز لتتابع اللقاء الصحفي الرسمي للإعلان عن القبض على السفاح، وقف العقيد منير وقفة شامخة واثقا من نفسه، ما إن رأته أمينة حتى دب الخوف بين ضلوعها وأحست بشيء يطبق على صدرها.

بدأ العقيد منير بالتعريف عن نفسه وعن منصبه وأنه هو المسؤول عن التحقيقات في قضية السفاح المعروفة بسفاح ستوكهولم. بعدما انتهت الدباجة والكلمات الرسمية أعلن العقيد منير عن هوية السفاح وهو الطبيب النفسي رأفت سليمان.

ساد الهرج والمرج في المكان، كان الجميع يريد توجيه الأسئلة إلى العقيد منير ولكنه لم يلق اهتمام لهم وأشار لهم بالهدوء والجلوس حتى الانتهاء من كلمته.

أكمل منير حديثه بأن قوة من مكتب البحث الجنائي توجهت صباحا إلى منزل والد المجرم والمتواجد في مجتمع النخبة بعد الاشتباه بالطبيب رأفت سليمان أن يكون له علاقة بسفاح ستوكهولم وبتفتيش البيت بحضور أحد وكلاء كبير القضاة عُثر على السيارة المستخدمة في الاختطاف مع لوحات معدنية مزيفة والعثور على ملابس مدفونة ملطخة بالدماء وبمراجعة الفيديوهات وجد أنها تخص كلا من د. هادي همام ومحمود الدريني وتامر الكرامي، كما تم العثور على عظام لأطراف بشرية وجاري فحصهم لمعرفة هوية المجني عليهم.

ثم ألقى منير كلمات سريعة عن رأفت سليمان، أخبر الصحافة بأنه يبلغ من العمر ٥٣ سنة، غير متزوج وليس لديه أبناء، يعمل كطبيب نفسي، والداه متوفيان، استخدم منزل والده في مجتمع النخبة كمكان لارتكاب جرائمه.

حينها أعطى العقيد منير الضوء الأخضر لأحد الصحفيين لبدأ الأسئلة.

- هل تم العثور على جثث المختطفين؟

- لا، ما تم العثور عليه هي أطراف بشرية فقط وجاري البحث عن المختطفين.

- هل اعترف د. رأفت بجرائمه؟

- تم إلقاء القبض عليه وسنبدأ في التحقيق معه لمعرفة كل شيء.

- كيف استطعتم التأكد من هوية السفاح؟

- كما أخبرتكم، كنا نعمل ليل نهار للإيقاع به وتقديمه للمحاكمة لينال عقابه.

- هل يوجد معاونون لد. رأفت في جرائمه، وهل الصحفية أمينة متورطة في الأمر؟

استمعت أمينة للسؤال ليخفق قلبها بشدة وهي تشاهد التلفاز وتستمع إلى إجابة منير التي كانت تحمل هدفا خفيا في طياتها فعلق قائلًا:

- سنعلن كل شيء بعد انتهاء التحقيقات وسيتم معاقبة كل شخص ساهم في ارتكاب الجرائم حتى وإن كان سببا في تأخرنا في الوصول إلى الجاني.



أنهى العقيد منير المؤتمر الصحفي وعاد إلى مكتبه ليجد الضباط قد أعدوا له ملفا كبير ليستخدمه أثناء استجواب د. رأفت، بدأ منير يتفحصه سريعًا ثم أغلقه وأمسك به بقوة وهو يتجه إلى غرفة التحقيقات حيث تم اقتياد د. رأفت إلى هناك.

دلف منير إلى الغرفة وبدت عليه علامات الصرامة والحدة، أما د. رأفت فكان يبدو عليه التوتر والخوف، لا يعلم ما الذي يحدث له.

جلس العقيد منير في الكرسي المقابل لد. رأفت المقيد بالطاولة ومن قدميه ويديه، أخرج منير بعض من الصور الملتقطة للملابس التي عثروا عليها والأطراف البشرية وأخذ يرصها أمام د. رأفت الذي اشمئز منها فور رؤيتها وأبعد نظره عنها فتحدث معه منير:

- لقد وجدنا تلك الأشياء في منزل والدك في مجتمع النخبة.

اندهش د. رأفت لسماع تلك الجملة واتسعت عيناه وهو يجيب:

- منزل والد من؟

- منزل والدك، فيلا ٢٢٦ مجتمع النخبة، أليست باسم والدك المتوفى؟

- نعم، ولكن لم كانت موجودة هناك، ماذا أتى بها هناك؟

- لتخبرنا أنت، ولتخبرنا عن مكان المختطفين حتى تسهل ذلك التحقيق.

- لا، لا، هنالك خطأ بالتأكيد، أنا كنت مختطف كل تلك المدة لدى السفاح، لقد أخبرتكم بذلك.

- د. رأفت، لا أنصحك أن تسلك معي ذلك الطريق، كل شيء يشير إليك.

بدأ صوت د. رأفت يرتفع قليلًا وهو يجيب:

- لا، أنا هنا ضحية، لا أعلم عن أي شيء تتحدثون.

أخرج منير صورا أخرى للسيارة التويوتا الفضي الخاصة بد. رأفت وأراه صور كمين بلدة الحسانة وقد كانت هي نفس السيارة، ثم أخرج له كشف صادر من مجتمع النخبة يكشف دخول وخروج السيارة لمرات عدة في الأيام القليلة السابقة، فانذعر د. رأفت وبدأ صوته يرتفع أكثر:

- هذا ليس أنا، لقد كنت مخطوفا لدى السفاح.

- حسنا، إذا طاوعتك فيما تقوله، هلا تخبرني كيف استطعت الهرب منه؟

- لقد فك قيدي بعدما علم أنه يحتضر، لقد اختطفني حتى أقوم بعلاجه.

- يا إلهي، يا لها من قصة قصيرة ملهمة، هل لي أن اعرف مما كان يعاني مجرمنا المنشود؟

- لقد كان يرى ضلالات، كان يرى أمواتا تستغيث به.

ارتسمت ابتسامة جلية على وجه منير عند سماع ما قيل وقد رأى د. رأفت تلك الابتسامة فعقب على ذلك:

- لقد قلت أنها ضلالات، لقد كان يعاني من أورام في مخه هي من جعلته يصاب بها.

- وهل استطعت علاجه؟

- لا لم أعالجه، لقد كان الأمر خارج...

توقف د. رأفت عن الحديث بعدما علم أن منير يستهزأ بالحديث معه.

أخرج منير التقرير الذي يشير بتواجد هاتف د. رأفت في المكانين حيث تم اختطاف تامر الكرامي وراضي النوفي.

بدأ د. رأفت يفقد أعصابه وهو يجيب.

- لا أعلم، لا أعلم، لقد كنت مخطوفا لا أعلم ما الذي يحدث في الخارج.

-لقد عدنا مجددًا لذاك الأمر، هلا تخبرني متى ستتوقف حتى لا أنهك نفسي معك؟، كل الأدلة تشير إليك ليس عليك سوى الاعتراف وتخبرنا إن كان لديك شريك في الأمر.

- لست أنا السفاح أقسم لك، إنه ماهر حميدة، مهندس الديكور.

انطلقت ضحكة عالية من منير وهو يجيب:

- ماهر حميدة مهندس الديكور، أم ماهر حميدة مندوب شركة الأدوية، أم ماهر حميدة المنتج السينمائي؟

لم يفهم د. رأفت ما قيل فأخذ يوضح أكثر للعقيد منير:

- ماهر حميدة، مهندس ديكور، في العقد السادس من عمره، ذو لحية محددة وشارب كثيف، وشعر أبيض منمق وجسد نحيل وطول متوسط، هذا هو ماهر الذي أقصده، فلتبحثوا عنه.

اعتدل منير في جلسته وهو يضع يده على الطاولة وينظر إلى د. رأفت يحدثه:

- هل تلك المواصفات لا تثير شيء في ذهنك؟، أليست تلك مواصفاتك؟

صمت د. رأفت وأكمل منير:

- أليس من الغريب أنك تقول أنك كنت مخطوف منذ فترة ومازلت تحتفظ بهيئتك المعروفة، ألم تنبت ذقنك أو شعرك في تلك المدة؟

- لقد أمدني السفاح بكل الأدوات اللازمة خلال تلك الفترة، لقد صنع لي منزل مصغر لديه.

- يا له من سفاح مهذب.

حينها بدأ د. رافت يعلم أنه واقع في فخ كبير.

أخرج منير هاتف د. رأفت وهو يسأله:

-هل ذلك هاتفك؟

- نعم.

- لتفتحه إذا.

حاول منير فتح هاتفه ولكنه لم يستطع، حاول أكثر من مرة فلاحظ منير ما يفعله فجذب الهاتف بسرعة من أمامه وهو يحدثه:

- حركة ذكية، حسنا إذا، لدينا فريقا فنيا متميزا سيستطيع فتح الهاتف.

- أقسم لك بأنني أدخل الرمز الصحيح ولكنه بالتأكيد قام بتغييره ليستخدمه هو.

- كل شيء سيظهر قريبًا.

علم رأفت بأنه في وضع سيء ولن يستطيع إقناع الضابط بما حدث له فأخبره:

- أريد أن اتصل بأحد أصدقائي ليعين لي محامي خاص.



كنت متواجد في المكتب حين تم اقتياد د. رأفت إلى المكتب الرئيسي بالعاصمة، ولأكن دقيقا، لقد كنت أتابع الأمر من وراء ساتر، لم أكن أرغب بمواجهة د. رأفت وجها لوجه، هكذا أكدت على ريم مرارا وتكرارا قبل مغادرة المنزل بعدما أطلقنا سراح د. رأفت.

ما إن تم اكتشاف منزل د. رأفت وما فيه وأيضًا القبض عليه في قسم وسط العاصمة حتى بدأت الآراء المتضاربة على مواقع التواصل الاجتماعي، كنت أجلس أحلل الأخبار المنتشرة على شبكة الإنترنت وبجانبي النقيب حسين يتابع الأخبار المنتشرة عن العقيد منير وعلق قائلًا:

- اللعنة، لقد نال العقيد منير كل الشكر على القضية، لقد كان يقسم الجميع بالأمس أن مستقبله قد إنهار بعد استبعاده من القضية، وها هو الآن على وشك أن ينال ترقية خاصة، كم أن القدر له خطط لا نعلمها.

أكملت عملي بجانبه وفي النهاية أعطيته تقريرا مفصلا لما طلبه مني، كان هنالك فئة من التعليقات والمشاركات تؤيد القبض على د. رأفت وتوقيع عقوبة غليظة لما قام به، أما الأغلبية العظمى كانت مساندة له، لقد كانوا يؤيدون اختطاف هؤلاء المجرمين وتعذيبهم وجعلهم يقرون بجرائمهم، وكان هنالك فئة أخرى تشير إلى أنه يجب معاقبة الطرفين، د. رأفت و المتهمون المختطفون، ولكن كان هنالك أمر أكثر أهمية في تلك القضية لإغلاقها ألا وهو العثور على المختطَفين أولًا، كنت أجلس مع من يبحثون عنهم ولكنهم لا يعلمون أنهم متواجدون بقبو منزلي.

كان اليوم بمثابة انفراجة للمكتب، فقد سمح اللواء فتحي للضباط بمغادرة المبنى بعد انتهاء يوم العمل، لا مزيد من المبيت، حتى أن السمة العامة في المكان تغيرت من التوتر والقلق إلى الهدوء وبعض السكينة باستثناء العقيد منير الذي ظَلَّ في مكتبه لم يخرج منه وظل يتابع تحقيقات القضية.

في الواقع كان العقيد منير دؤوبا في عمله محبا له، كان لا يدخر جهدا في البحث والتفتيش في كل شيء بحثا عن الحقيقة ولكن لم يكن له حظا كبيرا من الذكاء لذا كان عليه أن يجتهد ويسهر لساعات طوال حتى يصل لمعلومة قد يصل لها شخص ذو فراسة وذكاء في وقت أقل. أعتقد بأن اللواء فتحي من هؤلاء الشخصيات، فبالرغم من أنني قد عملت معه وهو رئيس الإدارة المركزية للبحث الجنائي، إلا إنني أكاد أجزم بأنه كان ضابط فطنا ذكيا يبحث في التفاصيل الدقيقة لا يتركها حتى يصل إلى مبتغاه.

حمدا لله أنه قد وصل من العمر أرذله فأصبح عمله قياديا إداريا، ولكن يبدو أنه ما زال يحن لأيام شبابه ومازالت لديه تلك الملكة فما إن قرأ الاستجواب الذي حدث بين العقيد منير ود. رأفت حتى بعث إلى العقيد منير يسأله عن بعض الأشياء.

لم أعلم ماذا يدور في عقله في ذلك الوقت ولكن مقابلته المطولة للعقيد منير وأثنائها تم استدعاء النقيب حسين للانضمام معهم جعلت الشكوك تتسرب إلي، كان من المفترض أن تسير الأمور أسهل من ذلك ولكن اللواء فتحي قرر أن يصعبها.

انتهى الاجتماع وعاد النقيب حسين ووجه حانق ويبدو أنه غير سعيد وهو يحدث نفسه قائلًا:

- يبدو أن الجميع سيعود للمنزل إلا أنا.

بالتأكيد بالتبعية كنت سأواصل المكوث معه في المكتب ولكن الفضول كاد يقتلني فسألته:

- ماذا حدث بالداخل؟

- اللواء فتحي يريدنا أن نتابع التحقيقات مع وضع فرضية أن حديث د. رأفت صحيح وأنه كان مخطوفا بالفعل.

اللعنة، كما أخبرتكم، مازالت لديه تلك الموهبة.

- وهل وافقه العقيد منير في ذلك؟

- بالطبع لا، د. رأفت يريد أن يسلك مسار المريض النفسي ليحصل على أقل عقوبة، إن أحضرت طفل صغير فسيخبرك بذلك.

- إذا ما هو المطلوب الآن.

- يريد اللواء فتحي التحقيق في كل شيء متعلق بد. رأفت في الفترة الماضية، سجلات مكالماته، أماكن تواجده وخط سيره، معاملاته البنكية، تفاعلاته على مواقع التواصل، إيجاد علاقة قوية بينه وبين المختطَفين، البحث في كل الكاميرات التي تثبت إدانته وتحليلها.

- أعتقد أن هذا طبيعي في تلك القضية، إنه المشتبه الرئيسي في القضية.

- لا، يريد اللواء فتحي البحث في كل شيء لإثبات حجة غياب لد. رأفت لتبرئته.



جلس د. رأفت أمام وكيل كبير القضاة وعلامات الحزن والتعب تتملكه، لقد قضى الليل كله بداخل إحدى زنزانات مكتب البحث الجنائي مستيقظا يفكر فيما يحدث له لا يصدقه، بالطبع كان الأمر أقل وطأة من اختطافه على يد مجرم يقتل ضحاياه ولكن الفاجعة الكبرى أنه هو المتهم في القضية والجميع يوجه له أصابع الاتهام بالاختطاف والقتل.

حضر مع د. رأفت محامي شهير ذو سمعة طيبة ولكنه لم يستطع أن يجتمع بد. رأفت طويلا قبل أن يدخلوا إلى وكيل كبير القضاة فطلب من د. رأفت ألا يجيب على أي سؤال وأنه سيتولى الأمر بالداخل.

وجِّه وكيل كبير القضاة بعض الأسئلة إلى د. رأفت الذي ظَلَّ صامتا لم ينطق وأخذ المحامي يجيب عنه كل الأسئلة. كانت إجابات المحامي متضاربة بعض الشيء، ففي البداية كانت الإجابات تشير على أن موكله قد تم الإيقاع به وأنه ليس له صلة بالجرائم الموجهة إليه وبعدما تم إظهار كل تلك الدلائل التي تشير إلى د. رأفت، حينها حرف المحامي من إجاباته وطلب من وكيل كبير القضاة الكشف على قوة موكله العقلية قبل الاستمرار في التحقيقات.

جلس د. رأفت يستمع لما يحدث ويريد الانفجار في الحديث ويصرخ بصوت عال أنه لم يقم بتلك الجرائم ولكنه في الأخير انصاع لرغبة محاميه في عدم التحدث وانتهى التحقيق بإيداع د. رأفت في السجن لمدة عشرون يوما، ويتم فيهم فحص قواه العقلية وتقديم المستندات الخاصة التي تثبت براءته مثلما طلب محاميه.

كان المحامي يبحث في إيداع د. رأفت في إحدى المصحات تلك المدة حتى ينتهي من التحقيقات والبحث في القضية، فقد علم أنه لن يخرج بكفالة مالية أبدًا مع كل تلك الدلائل التي وجدوها ضده ولكنه في الأخير فشل في إيداعه المصحة وسيتم ترحيله إلى السجن تحت حراسة مشددة.

خرج د. رأفت من مكتب نائب كبير القضاة وحينها تحدث بصوت عال:

- أريد الكشف على قوة موكلي العقلية، حقا؟

أجابه المحامي:

- لقد كنت أحاول إخراجك من السجن حتى التحقيق القادم.

- هل تظنون أنني مختل عقليا حقا وأنني فعلت كل تلك الجرائم؟

حينها انضم فايز صديق د. رأفت لهم وهو يحاول تهدئة رأفت ولكنه ما زال يستشيط غضبًا قائلا:

- هذا اللعين الذي اختطفني كان يراوغني كل تلك المدة حتى يورطني بالأمر.

ثم نظر رأفت إلى صديقه فايز يحدثه:

- يجب أن نصل إلى هذا الوغد يا فايز، لتعين لي محققا خاصا يبحث عن ذلك الوغد الذي فعل ذلك بي.

أومأ له فايز وفي عينيه نظرات شفقة لما يحدث لصديقه وأخبره يطمئنه:

- سنفعل كل ما بوسعنا لإخراجك من هنا.

حينها اقترب المحامي بشدة من رأفت ليحدثه بصوت منخفض:

- يمكنك إخباري كل شيء حتى أستطيع مساعدتك.

لاحظ د. رأفت نظرات المحامي المريبة له وكأنه يخبره بأن يعترف له بجرائمه وأنه لن يخبر أحدًا به، حينها استشاط د. رأفت غضبًا:

- لكم من الوقت سأظل أقسم لكم أنني لم أفعل أي شيء من تلك الأشياء. هل أنت لا تصدقني؟

- أصدقك بالطبع ولكني أريد الاطلاع على ملف القضية أولًا للدفاع عنك.

نظر د. رأفت إلى صديقه وكأنه يخبره بأنه لا يستبشر بذلك المحامي خيرا وحينها دخل أحد المحامين الصغار التابعين لمكتب ذلك المحامي يعطيه أحد الأوراق في يده ليقرأها وينظر إلى د. رأفت قائلًا:

- الأعضاء البشرية التي وجدوها في منزل د. رأفت تعود للمختطفين. كما أنهم وجدوا لعابك الخاص أيضًا على المحقن المستخدم في تخدير تامر الكرامي.

شعر د. رأفت بأن الأمور تتهاوى أكثر وأكثر من حوله ولم يستطع التفكير وقد بدأ أحد مساعدي الشرطة في اقتياده إلى الخارج ليصاحبه

المحامي وصديقه أثناء سيره يحاولون مواساته ويخبرونه أنهم سيحاولون تبرئته.

تسرب اليأس إلى د. رأفت وهو يعرف أنه يقاد إلى مسجنه منكس الرأس مهموما بمصيبته ولكنه تذكر شيئا فدار برأسه لينظر إلى فايز يحدثه:

- لقد اشترى لي ذلك اللعين تلفازا جديدا من متجر "إن-تك" في السابع عشر من شهر مارس الماضي.



قدم محامي د. رأفت طلبا رسميا للتحقيق فيما زعمه د. رأفت بشأن التلفاز وقُبل الطلب بالموافقة من طرف اللواء فتحي لأنه كان من أنصار أن ما زال هنالك أمر مريب في القضية.

عين العقيد منير أحد الضباط ليحقق في الأمر وتقديم تقرير مفصل للأمر. كان أمل د. رأفت منصب على تلك المعلومة التي قد تكون انفراجة في قضيته بل قد تكون سببا في معرفة السفاح الحقيقي ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، فلقد عاد الضابط ومعه تقرير مفصل بما حدث.

جاء في التقرير أنه في ذلك اليوم وحسب بيانات متجر الإلكترونيات فانه قد تم بيع قطعتين من التلفاز ذو المواصفات المقررة في التقرير وكان أحدهم قد تم شرائه بواسطة بطاقة ائتمانية باسم د. رأفت سليمان وقد تم شحنه على عنوان عيادته الخاصة واستلمته ممرضته حينها.

جلس محامي د. رأفت ومعه التقرير يتلوه على د. رأفت الذي ظَلَّ يطرق بيده على الطاولة أمامه وهو غاضب للغاية وأخذ يقسم للجميع أنه لم يفعل ذلك.

كانت كل النظرات تشير إلى د. رأفت بأنه هو المجرم في تلك القضية وأنه سينال عقابا قاسيا لما فعله، حتى صديقه بدأ يشعر بشيء من الحزن على صديقه الذي قد تصل عقوبته إلى الإعدام، علم رأفت بأن الجميع بدأ يؤمن بجرمه ولكن ذلك الأمر كان يجعله أشد غضبًا وحزنا، حتى أنه بدأ يتعدى لفظيا على صديقه ومحاميه متهما إياهم بالتخاذل في الدفاع عنه والبحث عن المجرم الحقيقي.

طلب رأفت أثناء جلسته بمقابلة العقيد منير ليستجديه بشأن الأمر ونفذ له العقيد منير طلبه وجلس أمامه يحاول معرفة ما يرغب به رأفت فاستطرد قائلًا:

- أريد أن أطلب منك طلبا واحدا، لقد كنت أشاهدك على التلفاز وأنا مخطوف لدى ذلك المجرم وكنت أدعي الله كل يوم أن تصل إليه حتى تفك سجني.

كانت ملامحه متأثرة للغاية وبدى عليه الحزن الشديد لما هو فيه، أما منير فقد كان جامد الملامح لا يبدي أية مشاعر تجاهه، ظَلَّ فقط ينظر إلى رأفت يستمع إلى ما يقوله وما إن انتهى رأفت من حديثه حتى تحدث منير.

- هل انتهيت؟، هل يمكنك إخباري عن أماكن المختطفين إذا، أو تخبرني عن معاونيك في الجريمة، لأنه إن لم يكن هنالك أحد يساعدك فإن المختطَفين في عداد الأموات إذا بعد القبض عليك. أو لتخبرني أين ممرضتك الخاصة، تم الإبلاغ عن اختفائها منذ أيام ولم نستطع الوصول إليها، هل كانت هي ضحيتك التالية؟

اتسعت عيني رأفت لسماع ذلك الأمر فلم يكن يعلم شيء عنه.

اقترب منير من رأفت يسأله بحنق:

- هل تركت لهم أكلا يكفيهم، أم أنك قتلتهم من البداية؟

كانت نظرات منير كفيلة بأن يتراجع رأفت عن استجدائه، لقد طلب عون رجل يتمنى موته اليوم قبل غدا، فعاد رأفت على كرسيه وظل صامتا لا يتحدث ولكن منير لم يتوقف فأكمل حديثه:

- هل تعلم ماذا وجدنا على هاتفك الذي رفضت فتحه؟، لقد وجدنا كل معاملاتك البنكية والعملات الإلكترونية المؤمنة التي قمت بشرائها لتقوم بشراء برنامج ال VPN الذي قمت منه بنشر اعترافات تامر الكرامي. هل تريد المزيد، لقد استرجع القسم الفني كل البيانات الممسوحة ومنها الحسابات الوهمية التي صنعتها لمطاردة فرائسك.

كان د. رأفت يحرك رأسه يمينا ويسارا نافيًا ما يقال وهو يتمتم بتكرارية:

- أقسم لكم لم أفعل شيء، أقسم لكم لم أفعل شيء.

أكمل منير حديثه:

- هل تريد الاستماع لشيء قد يخرجك من حالة الأسى تلك؟، إليك تسجيل صوتي استطاع مهندسونا استخراجه من هاتفك بالرغم من أنك قمت بمسحه.

ضغط منير زر التشغيل ليبدأ الصوت في الظهور جليا:

"- سنبدأ الجلسة الأولى، هل أنت جاهز؟

- أنا د. رأفت سليمان طبيب نفسي، وأنا هنا لمساعدتك.

- حقا؟!، لماذا لا تذهب وتضاجع نفسك، هذا ما قد يساعدني.

- هل تخبرني عن دوافعك لقتل تلك الفتاة وعملك في تجارة الفتيات مقابل الجنس؟

- أنت معتوه، اقسم لك إنك معتوه."

انتهى التسجيل ليبتسم منير في وجه رأفت ابتسامة استحقار يخبره:

- أليس ذلك تسجيلا لك مع تامر الكرامي؟، هل تريد دليلا أكبر من ذلك؟، هلا تخبرنا بمكانه الآن وننهي هذا الهراء؟



تم استدعاء أمينة لسماع أقوالها في حضور د. رأفت، كان تقرير البحث الجنائي يشير إلى احتمال تواطؤ الصحفية أمينة مع السفاح، لذا وصلت أمينة مع محاميها ولكن تلك المرة كان الخوف يتملكها لا تعرف ما سيحدث لها.

جلست أمينة على أحد الكراسي وأمامها وكيل كبير القضاة وعلى مسافة مناسبة من د. رأفت الجالس معهم وهو مكبل بالأصفاد. حاول وكيل كبير القضاة إنهاء ذلك الاستجواب سريعًا فبدأ تحقيقه موجها حديثه إلى د. رأفت:

- هل تعلم من تلك يا د. رأفت؟

نظر رأفت إلى أمينة وقال في أسى:

- نعم، تلك الصحفية أمينة المسؤولة عن تغطية جرائم السفاح.

توجست أمينة خيفة من أن يعترف د. رأفت عليها وأن يخبرهم بأمر الورقة التي أرسلها لها بأماكن إرسال الشرائط المصورة، لم تكن تعلم أمينة بماهية السفاح الحقيقي فعلًا، لذا ظلت مترقبة السؤال التالي من وكيل كبير القضاة:

- هل الصحفية أمينة مشتركة معك في جرائمك؟

- أنا لم ارتكب أي جريمة. ولا، هي لم تكن شريكة مع السفاح، لقد كان يستخدمها فقط في نشر شرائطه المصورة.

- كيف عرفت أنه كان يستخدمها دون أن تكون شريكة معه.

- لأنني كنت طبيبه النفسي الخاص أثناء احتجازه لي، لقد سرد لي كل شيء.

ثم أكمل رأفت ويبدو أنه قد تاه في غياهب الكون:

- سرد لي كل شيء ولم يخبرني بأنه سيوقعني في شرك.

ساد الصمت المكان قليلًا قبل أن يكمل وكيل كبير القضاة تحقيقه:

- هل تريد إضافة أي شيء يا رأفت قبل أن تغادرنا؟

- نعم، أقسم لكم أنني لست الفاعل.

أومأ وكيل كبير القضاة لمساعد الشرطة ليخرج د. رأفت من الغرفة الذي انصاع للرجل الذي اجتذبه من يده مغادرين الغرفة دون أن يبد أي تفاعل لما يحدث له.

استكمل حينها وكيل كبير القضاة تحقيقه مع أمينة لينهي الأمر:

- مذكور أمامي أن هنالك شكوك كبيرة حول اشتراكك في تلك الجرائم.

- لا أعلم شيء سوى ما ذكرته مسبقًا في التحقيقات، حتى أنني علمت هوية السفاح مثلي مثل الآخرون.

- سيتم عرض رأفت على طبيب أمراض نفسية وبمجرد أن يفيق من صدمته قد نسأله مجددًا عنك، هل تريدين إخبارنا بشيء لا نعرفه؟

فكرت أمينة مليا قبل أن تجيب:

- لا، ليس لدي شيء لأحكيه.

-حسنا يمكنك المغادرة ولكن أعتقد أن لنا حديث لاحق.

خرجت أمينة من مبنى القضاء واشتمت الهواء لتشعر براحة كبيرة، وكأن هم قد انزاح من عليها، ركبت إحدى سيارات الأجرة وأخذت تتجول داخل هاتفها، كانت تتجنب نشر أي شيء تلك الفترة بعد القبض على السفاح تجنبا أن يتم ذكر اسمها في القضية ولكن ذلك حدث على كل حال.

كان المتابعين يرسلون لها الرسائل والتعليقات يسألونها عمَّا ستفعله في القضية وهل ستقف إلى جانب السفاح أم ستتوقف عن دعمه، في الواقع كانت أمينة مجرد وسيلة للسفاح وقد ارتضت بذلك في مقابل أن تحصل على الشهرة والمال، لم تفكر في أمر أن يكون هنالك قضية قد تدافع عنها أو شيء تتمسك به.

كانت أغلب التعليقات تميل إلى أن ما فعله السفاح عمل بطولي، هو لم يعتدي على أشخاص مسالمين بل إنه كان ينتقم من أشرار وقد ثبت جرمهم، كان الأمر غريبًا بعض الشيء أن يتعاطف كما كبيرا من الأشخاص مع قاتل، بل إن بعضهم أنشأ صفحات مختلفة لدعم د. رأفت بكونه السفاح وطالبوا بتخفيف عقوبته حتى أن بعضهم رفض أن يتم معاقبته من الأصل.

عادت أمينة إلى منزلها ليركض عليها حارس العقار يعطيها مظروفا وهو متخوف ويبدو عليه القلق.

- لقد وصلك مظروف أستاذة أمينة، لقد أتى عن طريق فتى توصيل، وبالله عليك لو أن هناك مشاكل أخرى من تجاهك فلا تذكري أنني أعطيتك شيئا.

تعجبت أمينة من المظروف وخفق قلبها بشدة، نظرت إلى الحارس وهي لا تعلم بما تجيبه ولكنها أجابته دون وعي وهي تأخذ المظروف:

- حسنا، لا تقلق.

أعطاها الحارس المظروف وانصرف وهو قلق، لقد حذره مساعدي الشرطة من أمر تسليم أي شيء للصحفية وأن يبلغهم إن آتاها شيء آخر وبالفعل اتصل بأحدهم لإبلاغه قبل أن يعطيه لأمينة ليبرئ نفسه فأخبره المساعد أنهم قد قبضوا على السفاح ولم يعد هنالك ضرر من تسليمها أي شيء يأتيها.

صعدت أمينة إلى منزلها وفتحت المظروف بترقب شديد وضربات قلبها تتزايد لتجد ورقة مطوية ففتحتها لتجد بداخلها جملة واحدة.

"هل أنت جاهزة للقائنا؟"



مدينة الكرمة، دونسيار.

وصل فايز صديق د. رأفت إلى أحد المنازل وطرق الباب وانتظر طويلا حتى فُتح الباب ليبتسم فايز في وجه ذاك الشخص الذي كان من الواضح أنه لا يعرفه فبادر بالحديث:

- معذرة، أنا د. فايز إبراهيم، هل تسمح لي بالحديث معك قليلًا؟

أخرج الرجل هاتفه وقام بتصوير فايز الذي اندهش مما يحدث، ظَلَّ الرجل واقفا وكأنه كان يراسل أحد ما وما إن آتته رسالة حتى نظر إلى فايز مجددًا يعتذر له ويدعوه للدخول.

دخل فايز وهو لا يشعر بالراحة لما حدث ولكنه كان ينفذ ما أمره به د. رأفت بتعيين محقق خاص للبحث وراء السفاح الحقيقي ومساعدته في كشف الحقيقة، لذا وبعد بحث طويل ومشاورة بعض الأصدقاء والضباط وجد شخص واحد يستطيع مساعدته، بالرغم من أنه كان ضابطا سابقا في البحث الجنائي وتم فصله من الخدمة وإيداعه إحدى مستشفيات الطب النفسي إلا إنه الوحيد الذي قد يساعدهم في تبرئة د. رأفت، إنه المقدم محمد حَميد.

كان حَميد أحد أنبغ ضباط البحث الجنائي في دونسيار إن لم يكن أذكاهم وأقدرهم على حل أصعب القضايا ولكن نظرا لمرضه الخاص الذي جعله يرتكب أفعال تقترب إلى أن تكون إجرامية فقد كلفه الأمر أن يتم تسريحه من الخدمة وتم إيداعه في مشفى نفسي حتى تأكد تماثله الشفاء.

جلس فايز وأمامه حَميد ينظرون إلى بعضهم البعض، كان الأمر مريبا لكلاهما وانتظر حَميد إلى أن بدأ فايز بالحديث:

- نريدك للتحقيق في قضية سفاح ستوكهولم.

اندهش حَميد من طلب فايز وأجابه بهدوء :

- لقد خرجت من الخدمة منذ فترة، يمكنك الذهاب إلى مكتب البحث الجنائي إن كنت تبحث عن شيء ما وهناك سيساعدونك بالتأكيد.

فقاطعه فايز:

- أنا أعلم ما حدث لك، لكننا نبحث عن محقق خاص ليساعدنا في تبرئة صديقي من القضية.

- من هو صديقك؟

- د. رأفت سليمان.

- السفاح نفسه؟، يريد مساعدتي؟، أعتقد أنكم تحتاجون إلى محامي لتخفيف العقوبة وليس محقق خاص.

- لا، نريد محقق خاص للتحقيق في القضية، لقد تم تلفيق التهمة بصديقي ونريدك أن تكتشف المجرم الحقيقي، ولك ما تطلب من مال ومساعدة.

نظر له حَميد نظرة ترقب وهو يستمع إلى باقي التفاصيل في اهتمام، كان الأمر مغريا بالنسبة له ليس بسبب المال ولكن أن يطلب مجرم

مدان من محقق خاص أن يبحث عن مجرم آخر يعتقد أنه من قام بتلك الجرائم فتلك حالة جديدة وتستدعي الاهتمام.

ترك فايز نسخة من ملف القضية لدى حَميد وترك رقم هاتفه ورحل من المنزل راجيا أن يوافق حَميد على تولي الأمر في القريب العاجل حتى يستطيعوا مساعدة صديقه.

ما إن أغلق فايز الباب حتى انقض حَميد إلى أوراق القضية يتفحصها بنهم وتركيز كبير تحت أنظار الطفلين الصغيرين اللذين ظلا يتابعونه وهو مهتم بملفات القضية وهم يبتسمون له ولكنه ظَلَّ منشغلا بأوراق القضية لا يبدي لهم أي اهتمام أو يشاركهم عواطفهم.



٩٢

جلس د. رأفت أمام وكيل كبير القضاة الذي حصل على كل التقارير الفنية والطبية والأدلة الجنائية للقضية وحينها كان الأمر حاسما لأخذ قرارا جديا في القضية فبدأ وكيل كبير القضاة حديثه:

- لقد وصل تقرير لجنة الأطباء النفسيين ويؤكد أنك بكامل قواك العقلية.

- نعم أنا بكامل قواي العقلية، لم أنكر ذلك منذ بداية التحقيقات.

- لا، لم تنكر ولكنك تنكر أنك من ارتكبت الجرائم.

- هذا لأنني لم ارتكب كل تلك الجرائم فعلًا.

- لقد اكتشفنا تسجيل صوتي حقيقي لك مع أحد الضحايا وأنت توبخه وهو ينفعل عليك، هل تفسر لي الأمر؟

- لقد خدعني السفاح الحقيقي وجعلني أجري جلسة نفسية مع أحد ضحاياه وقام بتسجيل حوارنا.

- وهل قام السفاح بوضعها على حاسبك المحمول وقام بمسحها حتى لا نجدها؟

- نعم، هذا بالتأكيد ما فعله.

-وهو من قام بدخول منزلك في مجتمع النخبة ليدفن الأعضاء البشرية التي وجدناها وقام بشراء تطبيق ال VPN وهو هناك وقام

بتصوير سيارتك أكثر من مرة تدخل المدينة خلال الفترة الماضية وهي نفس السيارة المشتبه بها في خطف الضحايا.

- لماذا لا تفهمني، أنا شخصيا كنت تحت طوعه، لقد كان معه هاتفي المحمول، بطاقاتي التعريفية، بطاقتي البنكية، مفاتيحي الخاصة، حاسوبي الشخصي، لقد انتحل شخصيتي لتلفيق كل جرائمه علي.

- تظهر كل التقارير الطبية أن حمضك النووي موجود على كل الأدلة، غطاء المحقن الذي استخدم في تخدير تامر الكرامي، صندوق السيارة التي خطف فيها كلا من هادي همام ومحمود الدريني وراضي النوفي، الملابس التي وجدت في إحدى الحفر الموجودة في منزلك، هل ذلك أيضًا لم تفعله؟

- لا لم أفعل ذلك، أنا مجرد طبيب نفسي اختطف على يد مختل عقليا يريد تلفيق التهم إلي... اللعنة.

- إذا كنت قد قابلت الضحايا بالفعل، هل تخبرني ماذا حدث لهم؟

- أنا لم أقابل سوى تامر الكرامي، أما عمَّا فعله بهم فقد أخبرني أنه قتلهم.

- هل رأيت جثثهم أمام عينيك؟

- لا، لكنني رأيت كم التعذيب الذي لاقاه تامر الكرامي معه، لقد كان ينزف دما من كل جسده تقريبا.

- ماذا عن النمر الذي ظهر في إحدى الفيديوهات، هل رأيته؟

- لا، لكنه هددني إن لم أتوقف عن الصراخ فسيقحمه علي في الغرفة.

- يبدو أنك قد أعددت ردا مقنعا لكل الأسئلة.

- لأنني أقول الحقيقة.

- هل تظن أن أحد قد يفعل كل ذلك ليلفق بك التهمة وهل تظن أن أحد سيصدق ما تقوله؟

- نعم لقد فعل كل ذلك وورطني في القضية، أما عن تصديقي فأنا أرجوك أن تصدقني وتساعدني في كشف براءتي.

صمت وكيل كبير القضاة قليلًا وظل يفكر قبل أن يشير إلى الكاتب ببدء التحقيق وهو يوجه حديثه إلى د. رأفت قائلًا:

- ما هي أقوالك فيما هو منسوب إليك في قضية اختطاف وتعذيب كلا من د. هادي همام ومحمود الدريني وتامر الكرامي وراضي النوفي والممرضة سحر خشبة؟

شعر حينها رأفت بخيبة أمل كبيرة وعلم أنه لن يحصل على ما أراد.

استمر التحقيق لوقت طويل حتى أصدر وكيل كبير القضاة قراره الأخير فنظر إلى كاتبه يخبره:

- قررنا نحن وكيل كبير القضاة تحويل المتهم الطبيب النفسي/ رأفت محمود سيد سليمان إلى محكمة الجنايات بتهمة الاختطاف والتعذيب والاشتباه في القتل.



دخل حَميد إلى مبنى البحث الجنائي بالعاصمة وقد شعر بانقباض داخل صدره، لقد عاد إلى المكان الذي اعتاد أن يأتيه كل صباح منذ سنوات مضت، كان يخالجه شعور بالخوف مصحوبا بالحنين إلى الماضي بالرغم من أنها لم تكن بالأيام الطيبة ولكنه استرجع بعضا من ذكرياته بها.

قابل فايز حَميد عند مدخل المبنى وتوجها لمقابلة رأفت في ميعاد الزيارة المخصص له، كان منظر حَميد يوحي بأنه ضابط ما زال بالخدمة فقد كان فارع القامة قائم الظهر يرتدي زيا أسود منمق، ونظارة سوداء وحذاء كلاسيكيا فاخرا يمشي بخطوات ثابتة تدل على ثقته واعتزازه بنفسه.

جلس كلا من حَميد وفايز ورأفت في المكان المخصص للزيارة وبدأ فايز بالتعريف عن حَميد ولكن حَميد لم يجعله يكمل حديثه بل وجِّه حديثه إلى رأفت مباشرة:

- أريدك أن تحكي لي كل شيء تتذكره بالتفصيل.

****

انتهت الزيارة وقام حَميد بتسجيل كل ما قيل فيها لمراجعتها لاحقا، اتجه حَميد إلى مغادرة المبنى عائدا إلى حيث يمكث، فقد استأجر غرفة فندقية بعدما أتى خصيصا من مدينة الكرمة إلى العاصمة للتحقيق في القضية.

وقف حَميد ينتظر سيارة أجرة فإذا بسيارة مصفحة كبيرة تقف أمامه فجأة ويهبط زجاج إحدى النوافذ ليظهر منها اللواء فتحي باسما وهو يصيح باندهاش:

- حَميد؟، ماذا أتى بك إلى هنا؟

****

عاد حَميد إلى مبنى البحث الجنائي ولكن تلك المرة وهو داخل سيارة اللواء فتحي، لقد خدما سويًا منذ سنوات عديدة، كان اللواء فتحي حينها هو كبير المحققين وكان حَميد أحد الضباط معه في القسم، كان اللواء فتحي يحب حَميد ويعلم قدراته وذكائه الشديد وما إن رأه أمام مبنى البحث الجنائي حتى تعرف عليه مباشرة.

جلس حَميد في مكتب اللواء فتحي يتذكرون بعض القضايا التي عملوا بها سويًا، كان اللواء فتحي من القلائل الذين كان يعاملهم حَميد باحترام فهو كان يعلم بأنه شخص مخلص لنفسه قبل عمله وقد كان يطبق القانون على نفسه قبل أن يطبقه على المجرمون لذا كانت هنالك علاقة احترام متبادلة بينهم وظلت مستمرة حتى بعد نقل كلاهما إلى أماكن وإدارات أخرى.

انتهى الحديث عن الذكريات وحينها سأله اللواء فتحي:

- إذا، ماذا أتى بك إلى هنا، هل أتيت لتزور أحد أصدقائك؟

- لا، أنا هنا في عمل خاص، لقد عُينت محققا خاص في قضية سفاح ستوكهولم.

- من عينك؟

- د. فايز إبراهيم، صديق د. رأفت المتهم بالقضية.

صمت اللواء فتحي وتغيرت ملامحه فجأة وبدى عليه الوجوم، وما إن انتهى من صمته حتى سأل حَميد:

- هل تظن أنه بريء حقا يا حَميد؟

- أنا هنا لكيلا أخمن، أنا هنا حتى أحسم الأمر إما إن كان بريء أم هو المتهم الحقيقي.

-وماذا يخبرك حدسك حتى تلك اللحظة؟

- نفس ما يخبرك به حدسك أنت أيضًا.

خرجت ابتسامة خافتة سريعة لا إراديا من وجه اللواء فتحي وهو يكمل:

- إذا تظن أن هنالك أمرا كبيرا في تلك القضية ما زال مبهما؟

- أعتقد ذلك ويجب أن تأخذ حذرك إن كنت تفهم مقصدي.

- أفهم، ولكن نحن نعمل بالأدلة والنظريات المثبتة، هل يوجد شيء غير ذلك؟

- أعلم ذلك ولكن إن ظهر المجرم الحقيقي مرة أخرى وخرج لإحراجكم فسيكون الأمر كارثيا لكم.

- لقد لفق كل التهم لد. رأفت بدقة متناهية، أنا أبحث وراء الأمر لعلي أحصل على شيء يقودنا إليه.

- وهل ستتركون رأفت يحاكم على جرم لم يرتكبه؟

- كل الأدلة ضده حاليا، وقد خرجت الأمور عن السيطرة حينها وتم القبض عليه، هل تريدني أن أخرج لأخبر الجميع أنني أظن أن هنالك مجرم آخر بدون دليل واحد وأنني أتبع حدسي؟، سيقولون لقد شاب هذا الرجل وجُن وسيأتون بغيري في اليوم التالي.

- لكنهم سيأتون بغيرك أيضًا إن ظهر القاتل الحقيقي لإحراجكم مثلما فعل سابقا ويخبر الجميع أنكم قبضتم على شخص بريء. هو لم يلفق التهمة ل رأفت لينجو من العقاب. إن أراد ذلك لفعل ذلك دون أن ينشر أفعاله على الملأ. لكنه يبحث عن إحراج إدارة البحث الجنائي وكبير القضاة.

صمت اللواء فتحي وبدى أنه يؤمن بكل كلمة قالها حَميد فتحدث لحميد بهدوء:

- من رأيك ماذا نفعل؟

- أنا أحاول أن اتتبع دليلا وراء المجرم ولكني قد أحتاج بعض المساعدة منكم.

- بالطبع، سأخبر العقيد أحمد منير أن يشاركك بكل شيء تحتاجه.

وبسرعة ضغط اللواء فتحي على الهاتف ليرن على منير، حاول حَميد استوقافه قبل الاتصال ولكن منير كان قد أجاب على المكالمة ليخرج صوت اللواء فتحي آمرا:

- لتأتي إلى مكتبي حالًا يا منير.

أغلق اللواء فتحي الهاتف لينظر إلى حَميد الذي تغيرت ملامحه للحنق الشديد وهو يحدث اللواء فتحي:

- لم أكن على وفاق مع منير، لن يرغب في مساعدتي.

- سآمره بذلك، لا تشغل هما لذلك.



٩٤

دخل منير مكتب اللواء فتحي لينظر إلى الشخص الجالس معه وتظهر علامات الدهشة المصحوبة بالسخرية.

تولى اللواء فتحي الحديث وهو يخبر منير:

- العقيد محمد حَميد، هل تتذكره لقد خدمتم سويًّا على ما أعتقد؟

- عقيد؟، على حد علمي أن آخر رتبة حصل عليها كانت مقدم وتم طرده بعدها من الخدمة ودخل مستشفى الأمراض النفسية.

تغيرت ملامح اللواء فتحي لذلك الرد وعلم أن حَميد كان على حق. أكمل منير حديثه وهو يجلس أمام حَميد وينظر له نظرة تحدٍ واضحة:

- نعم أعلم من هو، لوهلة اختلط علي الأمر، فمن أعرفه أعتاد أن يرتدي ملابس غير متناسقة ونادرا ما كان يحلق ذقنه وكان منكس الرأس دائما، أما من يجلس أمامي الآن يبدو أنه شخص تم علاجه حقا... لماذا أتى المواطن محمد حَميد إلى هنا؟

كان الجو مشحونا للغاية وقد لاحظ اللواء فتحي الأمر ولكن حَميد تولى أمر الإجابة على سؤال منير:

- لقد عُينت محققا خاصا لد. رأفت سليمان للبحث عن الجاني الحقيقي.

خرجت ضحكة استهزاء من فم منير وهو يقول:

- حقا؟!، مخبول يستعين بخبرات... ثم صمت لم يكمل ما أراده وتابع: ضابط مطرود من الخدمة!

ثم نظر منير إلى اللواء فتحي يحدثه:

- سيدي، هل مازلت تظن أن هنالك مجرم آخر في القضية؟، لقد حُول المتهم إلى المحاكمة. سيُعدم عمَّا قريب.

- لتنصرف الآن يا منير وسأرسل لك عندما أحتاجك.

نهض منير من كرسيه وهو كظيم وعينه لا تفارق حَميد وكأنه يتوعده.

ما إن خرج منير من الغرفة حتى سأل اللواء فتحي حَميد:

- حقا؟، ما الذي فعلته له ليقابلك بتلك الطريقة؟

- لم أفعل شيء، لقد كنت دوما أذكره بأنه غبي ويبدو أنه ما زال كذلك.

- حسنا لا تشغل بالا له، سأعين لك نقيبا مجتهدا مطيعا للأوامر ليشاركك ما تريده.

ثم أمسك اللواء فتحي الهاتف متحدثا:

- حسين، فلتأت إلى مكتبي حالًا.

******

جلس حَميد مع حسين في مكتب الأخير ولكن تلك المقابلة لم تكن بالمريحة أبدًا لحميد فقد شعر بشيء من عدم الأريحية بسبب نظرات حسين له.

كان حسين من أشد المعجبين بحميد، فقد كان يقرأ كل التحقيقات والقضايا التي كان يتولاها حَميد وتم وضعها في أرشيف إدارة البحث الجنائي للضباط الصغار للتعلم منها، كان محب لطريقة حَميد في استقصاء الحقائق وعن طريقته الفذة وسرعة القبض على المجرمين وقد ظهر ذلك الإعجاب في صورة مريبة غير مقصودة من النقيب حسين.

حاول حَميد كسر حالة الإعجاب تلك وجلس يتناقش مع حسين في القضية وحينها بدأ حَميد في الحصول على بعض المعلومات الإضافية التي قد تساعده في تحقيقاته وفي النهاية طلب حَميد من النقيب حسين أن يساعده في إعداد تقرير يشمل جميع بلاغات اختفاء المجرمين والمسجلين خطر التي لم يتم العثور عليهم أو حل لغز اختفائهم لسنين مضت.

٩٥

جلست أنا وريم على طاولة الطعام أحكي لها ما جرى اليوم، أخبرتها عن ذاك المحقق الخاص الذي تم تعيينه للتحقيق في قضية السفاح، كانت ريم في بداية الأمر تستمع دون تركيز كبير ولكنها ما إن علمت أن ذاك المحقق قد طلب تقرير عن المجرمين المفقودين في السنوات الماضية حينها أولتني كل الاهتمام وبدأت تسألني:

-من ذاك المحقق يا ونس؟

-يُدعى محمد حَميد، ضابط سابق في البحث الجنائي ولكنه كان مشهورا بحل أصعب القضايا وأعقدها.

- نعم يبدو أنه ذكي فعلًا ليفكر في ذلك الأمر.

- هل تظنين أنه قد يصل إلى هؤلاء المجرمين السابقين الذين قتلناهم، هل ارتكبنا خطأ حينها؟

- خطتنا دقيقة للغاية ولن يستطيع الوصول إلينا أبدًا.

- أتمنى ذلك، لقد ظَلَّ حسين يتحدث عنه لساعات طويلة اليوم، يبدو أنه كان ذو شأن كبير ولكن خرج من الخدمة بسبب مرضه.

- حسنا سنتابعه عن كثب وإن كان خطر علينا أعلم ماذا سنفعل حينها.

- ماذا سنفعل؟

- لا تشغل بالا لذلك الآن، المهم هل وصلت الرسالة إلى الصحفية؟

- نعم، وأعتقد أنها خائفة الآن. هل تعتقدين أنها لن تبلغ الشرطة؟

- لا لن تبلغ الشرطة، لن تستفيد شيئا بالتبليغ، كما أننا سنختطفها وحينها سنكمل خطتنا.

وأكملت ريم:

- هل نظفت السيارة من كل الأدلة؟

****

حسنا لأخبركم ببعض مما حدث لتلفيق التهمة بد. رأفت. كان الأمر بالتأكيد معد مسبقًا وقامت ريم بإعداد خطة دقيقة لتوريطه في كل شيء لم نحتج فقط إلا شراء سيارة تويوتا فضية اللون مثل تلك السيارة المركونة في منزل والده والتي كان نادرا ما يستخدمها.

كنت أراقب د. رأفت لفترة طويلة حيث وقع اختيار ريم عليه، كان رأفت من محبي النساء وخصوصا النوع المنحدر منهم، كان يأتي بهم إلى ذاك المنزل الغير معروف للناس في مجتمع النخبة ويقضي معهم ليلته ثم يعطيهم الأموال مقابل ما يفعلونه.

كانت الخطة هي اختطاف رأفت في نفس الوقت الذي سنبدأ به عمليات الخطف الأخرى، لذا قمت بخطفه قبل يومين من اختطاف هادي همام ونظرا لأنه كان وحيدًا -مثلما أردنا- فلم يكن هناك أي أحد ليسأل عليه طوال مدة اختطافه سوى ممرضته سحر خشبة وصديقه فايز الذي يرسل له رساله من حين لآخر أو يطلب من رأفت اقتراض بعض النقود، لم يكن لدي رأفت زوجة ولا أولاد ولا إخوة وحتى والديه كانوا قد تركوا عالمنا.

بعد اختطافه كان كل ما علي هو إرسال رسالة إلى ممرضته الخاصة أعلمها بأنه سيغيب لفترة وأطلب منها بتأجيل كل الحجوزات الخاصة بالمرضى لوقت لاحق، وفي المقابل كنت أرسل لها مرتبها الشهري بانتظام حتى لا يثير الأمر الشكوك، وبالمناسبة لقد كان أكبر راتب أراه يحصل عليه شخص في نفس مستوى تعليمها المتدني، وفي الأخير كنت أجيب على بعض رسائل المرضى الذين يبعثون له يسألونه عن موعد رجوعه.

تم إعداد الخطة بدقة بعد مراقبته جيدًا ولفترة طويلة، ليلة السبت تحضر فتاة ليل إلى المنزل بسيارتها الخاصة، لذا لا تحتاج إلى من يقلها بعدما ينتهوا، هنا تم وضع الخطة وسنحت لي الفرصة في اختطافه فما إن خرجت الفتاة مغادرة حتى انتظرت خروجه من ممر الفيلا حيث اختبأت وقمت بتخديره وجلبه إلى منزلي.

كان معي كل شيء يخص رأفت لذا كان من السهل علي العيش كأني د. رأفت سليمان، استخدمت سيارته لخطف د. هادي همام ومحمود الدريني باستخدام لوحات معدنية مزيفة، كان أمر تصوير السيارة في الكمين مقصودا وأمر إزالة شعار مجتمع النخبة أيضًا. كانت ريم تريد أن تسير التحقيقات كما تريد وأنا قمت بواجبي على أكمل وجه.

كل ما تم كان ضمن الخطة، فالتلفاز الذي قمت بتهشيمه كان مقصودا أيضا حيث طلبت مني ريم أن أقوم بالانفعال على أمر ما سيقوله د. رأفت أثناء جلستنا وحينها أقوم بتهشيم التلفاز على أن أعود له بشاشة أخرى جديدة من إحدى المحال الإلكترونية مع كشف هوية ذلك المحل واضحة وجلية لد. رأفت حتى يتذكره، قمت بشراء التلفاز إلكترونيًا من هاتفه وببطاقته الائتمانية وأنا أجلس في منزله في مجتمع النخبة وقمت بشحنه على مكان عيادته الخاصة وراسلت ممرضته على

أن تقوم باستلامه ووضعه في العيادة وحينها قمت بأخذه ليلا والمكان فارغ.

كنا ندرس الطرق التي سنسير بها بعناية شديدة حتى لا يتم تصويرنا ونحن لا نعلم، كان الأمر مرهقا بالنسبة لي ولكن مثلما كانت تخبرني ريم، كلما تعبت واجتهدت أكثر، قلّت فرص الإمساك بنا.

كلما بترت ريم أحد أطراف أحد من ضيوفنا كانت ترسلني لأقوم بدفنها في منزل د. رأفت حتى جاءت اللحظة الحاسمة وتم إطلاق سراحه. كنا قد أكملنا كل شيء وكان هو صاحب نيل شرف لقب السفاح.

أما إن كنتم تريدون معرفة ماذا حدث لممرضة د. رأفت فهي قابعة في القبو بالأسفل تنتظر دورها في خطتنا، لكم كانت مزعجة للغاية بعد استيقاظها لتعلم أنها اختطفت، كان بكائها لا يتوقف وجعلت ريم تخرج عن شعورها كثيرًا معها ولكن في المقابل فهي لم تدخر أية معلومات عنا، بل إنها أخبرتنا بمفاجأة كبيرة لم نكن نعلمها.



أصبح محمد حَميد يشكل تهديدا حقيقيا لنا، إنه يبحث في أمور لم تخطر على بال ريم، كان هو الشخص الأول منذ بدأنا خطتنا الذي يسير عكس ما أردنا، كانت ريم تحب أن تكون هي مسيرة التحقيقات، هي من تعطهم الدلائل والخيوط لاتباعها وقد نجحنا في ذلك حتى قدوم ذلك المحقق الذي بدأ يبحث في أمور قد تبدو بعيدة عن القضية إلا أنه لو استمر في البحث فسيصل إلى شيء ما.

كانت ريم متوترة مما يفعله حَميد، هو لم يعثر حتى ذاك الوقت على أي دليل يورطنا بالأمر ولكنه يفكر بطريقة غريبة تدعو للقلق، كما أنها لا تثق بما أفعله فساورها الشك في أنني قد قمت بشيء خطأ أو نسيت أمرا ما موقع الجريمة قد يدله إلينا.

جلست مع ريم أسرد لها كل جديد، أخبرتها عن استخدام حَميد للنقيب حسين للتحقيق مع أشخاص متورطين في القضية، فقد قام بالتحقيق مع أحد أقارب الممرضة سحر بعد اكتشاف أن لديهم خلاف مادي والضغط عليه للاعتراف وأنه موجود الآن في سجن الإدارة حتى معرفة السر الذي ورائه، وأيضًا اكتشفوا راتب سحر الذي وصل إلى أربعين ألف جنيه دونسياري شهريا، ذلك الراتب الذي يعادل مرتب مديري كبار الشركات، وأخبرتها عن اكتشاف حَميد عن تواجد أثر المسجل الذي قمنا بزرعه في مكاتب المختطفين، فقلد ترك اللاصق الذي وضعته أثرا ولكني لم ألحظ ذلك الأمر.

كانت ريم حانقة لسماعها كل ذلك الكلام، كان الأمر يبدو وأنني أنا أيضًا معجب بطريقة ذلك المحقق في الوصول للمعلومات ولكني لم أكن أقصد ذلك بالطبع فأنا معها في نفس المأزق إن تم اكتشافنا.

نهضت ريم واقتربت مني تحدثني:

- كيف تستطيع معرفة كل تلك المعلومات وهي خاصة بمحقق خاص غير تابع لإدارتكم؟

- حسين يخبرني بكل شيء، أعتقد بأنه يعتبرني صديق له.

- صديق؟، أنت لديك صديق؟

صمتت ريم لحظات قبل أن تكمل:

- أنا صديقك الوحيد يا ونس، هل تعتقد أنه سيقف يدافع عنك عندما يعلم من أنت؟ ... نحن بمفردنا في تلك الحياة وسنظل كذلك حتى النهاية... أفهمتني؟

جاوبتها وأنا مذعور:

- نعم، أفهمك.

كنت أشعر بالخوف من ريم حينما تقوم بأعمالها الوحشية تجاه المجرمين ولكن ولأول مرة أشعر بأنني لست بمنأى عن بطشها.

كنت أجلس لا أحرك أنملة وانتظرت ريم التي ظلت تمشي في الغرفة مجيئا وذهابا تفكر في الأمر حتى نظرت إلي تسألني:

- أنت تقول أن ذاك المقدم ينال أتعابه من د. رأفت اليس كذلك؟

- نعم.

- إذا إن خرج د. رأفت من مأزقه فلن يستمر في البحث وراءنا حينها.

- إلى ما ترمي؟

- سنبرئ د. رأفت لبعض الوقت، وحينها لن يجد حَميد شيء ليدافع عنه.

- أنا لا أفهم شيئا، ماذا سنفعل؟

- لنسرع من خطتنا ونجري تعديلا بسيطا. سنقوم بخطف الصحفية أمينة الليلة ونقوم باللقاء الصحفي مع تعديل بسيط فيه.



كان الجميع يجلس في مبنى البحث الجنائي في هدوء نوعا ما بخلاف بعض قضايا الشجار والخلافات الزوجية المعتادة يوميا، كان كل ذلك لا يهم العقيد أحمد منير في شيء، فلقد أصبح ذو شأن وهيبة واكتسب المزيد من الغرور بعد كم الإشادات التي تلاقاها بعد القبض على سفاح ستوكهولم ولكن كل ذلك على وشك أن يذهب أدراج الرياح.

وجد منير طرق شديد على باب مكتبه، الأمر الذي أغضبه وهو يجيب الطارق يصيح به بالدخول، دخل أحد الضباط ممسكا بهاتفه في يده يوجهه إلى منير الذي بدا الذهول يصيبه من ذلك الموقف.

بدأ منير في الاستماع إلى البث المباشر الذي يظهر على الهاتف ليجد الصحفية أمينة تحاور كرسيا فارغا أمامها وضع عليه رأس مانيكان، توجه له الأسئلة:

"- حسنا، هل تخبرنا أنك أنت السفاح الحقيقي، ود. رأفت ليس هو السفاح؟

- نعم، مسكين هو د. رأفت."

انتفض منير من كرسيه وهو يركض إلى مكتب الدعم الفني يدفع الباب بقوة ويتوجه إلى أحد المهندسين يسأله:

- من أين يأتي بث هذا الفيديو؟

- إنه صادر من أحد المولات الشهيرة سيدي، لحظات وسيكون لديك الإحداثيات بدقة.

- هل يمكنك إيقاف البث؟

نظر له بتخوف وهو يقول:

- لا أستطيع سيدي.

- سحقا، فلتنهي ذلك البث حالًا.

ثم استدار منير إلى أحد ضباط البحث الجنائي وهو يصيح به بقوة:

- فلتبحثوا عن تلك الصحفية وتأتوني بها في الحال، لن أرحمها بعد الآن.

- لا داعي للبحث عنها سيدي، إنها هنا، لقد أتت بإرادتها منذ دقائق وحررت محضرا تشير إلى أنها كانت مختطفة من قبل مجهول.



٩٨

استيقظت أمينة بداخل إحدى الغرف المغلقة وهي تشعر بدوار كبير في رأسها لا تتذكر ماذا حدث لها.

نهضت أمينة من على السرير تستكشف ما حولها، وجدت أمامها فستانا أخضر وحذاء أنيقا وصندوق يحوي على الكثير من أدوات التجميل ورسالة كتب عليها "فلتستعدي لإجراء اللقاء".

****

بداخل تلك الغرفة المبطنة التي عرفها الجميع بمجرد رؤيتها، جلست أمينة على كرسي منمق يشبه كرسي المذيعات في البرامج الإخبارية، جلست في صورة بهية مرتدية فستان أخضر داكن وحذاء ذو كعب عال، يبدو عليها الحماس المصحوب بالترقب والحذر. أمامها وضع كرسي شاغر وضع عليه رأس مانيكان ملصوق عليه ذقن وشارب مستعارين، بدا الوضع أن أمينة ستحاور ذاك الكرسي الفارغ وتوجه له أسئلتها.

بدأت أمينة في البداية بإلقاء مقدمة سريعة توضح فيها أنها ستقوم بمحاورة شخص يدعي أنه سفاح ستوكهولم الحقيقي، وأنه قد قام باختطافها من أجل إجراء مقابلة صحفية معه كما أنه مستعد أن يجيب على كل أسئلتها وكل الأسئلة التي تتردد حوله دون تردد، وحينها بدأت اللقاء موجهة أسئلتها إلى ذاك الكرسي الشاغر:

- مساء الخير، هلا تعرفنا بنفسك؟

صدر صوتا روبوتي من مكبرات صوت موجودة في الغرفة.

- أهلا أمينة، لطيف منك أن تذكري أنني من قمت باختطافك وهذا أمر صادق منك في الحقيقة ولكن أعتقد أن الجميع ينتظر ذلك اللقاء في المقابل أيضًا ... أنا سفاح ستوكهولم كما يحب الجميع مناداتي.

- هل تخبرنا باسمك الحقيقي؟

- سفاح ستوكهولم مناسب لتلك المقابلة.

- حسنا، أتخبرنا أنك أنت السفاح الحقيقي، ود. رأفت ليس هو السفاح؟

- نعم، مسكين هو د. رأفت.

- ولكن كل تلك الدلائل التي ظهرت تؤكد أنه هو السفاح.

- نعم، فأنا من لفقتها له.

صمتت أمينة قليلًا قبل أن تتدارك الوضع وتكمل اللقاء:

- هل توضح لنا كيف لفقتها له؟

- هذا أمر يطول شرحه، ولكني أخبركم أنني السفاح الحقيقي وقد كنت ألعب لعبة صغيرة مع إدارة البحث الجنائي.

- كنت تلعب؟

- نعم، ما الخطأ في الأمر؟

- هل هنالك هدف من تلك اللعبة التي صنعتها؟

- بالتأكيد، كنت أريد إضافة بعض الحماسة للأمر ولكنهم توقفوا بمجرد الاشتباه بد. رأفت والإمساك به.

- إذا هل د. رأفت بريء؟

- من تلك الجرائم الموجهة إليه؟، نعم بالتأكيد، فأنا من قام بها.

- هل توضح لنا لما قمت بتلك الجرائم؟

- في البداية كنت أشعر بضيق شديد لما يفعله هؤلاء المجرمون تحت ستار مكانتهم في المجتمع، كانوا طلقاء يفعلون ما يحلو لهم ولا يوجد من يبحث عمَّا يفعلوه، لذا أردت تسليط الضوء عليهم ولكني أحببت الأمر ورأيت أنه من المثير الاستمرار به.

- هل اعترافات المختطفون تلك حقيقية أم أنها بسبب تعذيبهم؟

- لا كل ما قيل حقيقي بالطبع، لدي تسجيلات سابقة أخرى لهم وهم يعترفون بجرائمهم وكان ذلك دون تعذيب، كما أن لدي أوراق تحتوي على بعض الأسماء المتورطة معهم، أسماء ستندهشين من فعلهم لتلك الجرائم. فلتذكريني أن أعطيها لك لتعطيها لأصدقائي في البحث الجنائي.

- تعلم أن ذلك اللقاء لن يمر مرور الكرام وسيبحث الجميع عنك.

- وهنا ستعود المتعة، نعم أنا متلهف لذلك.

- تعلم أن النهاية لن تكون سعيدة.

- دعيني نتحدث عن الحاضر ونترك النهاية لوقتها.

- إذا هل هنالك جرائم أخرى ستقوم بها؟

- أنا لا أطلق عليها جرائم، هؤلاء المجرمون ضيوفا لدي وأنا أكرمهم هنا. ولأجيبك على سؤالك فنعم لدي ضيف آخر لم أعلن عنه بعد ولكن لتنتظروا ظهوره قريبًا.

- لقد أخبرتني أنهم قاموا بجرائم بشعة ولذلك اختطفتهم، والآن تخبرني أنك قمت بإكرامهم؟

- نعم لقد قاموا بأشنع ما يمكنك تخيله، هل هناك أقذر من ضيف خدع الفقراء وأخبرهم أن أبنائهم سيكونون لدى علية القوم ولكنهم يقبعون تحت التراب في مزرعة للبهائم؟، هل هنالك أقذر من شخص يخدع الفتيات التن تبحثن عن حلم بسيط لها في مقابل تقديم تنازلات قذرة لأشخاص مرضى نفسيين؟، بالمناسبة لقد رفض تامر الكرامي الاعتراف على عملائه، لكم كان كلبا وفيا لهم، لم يخبرني إلا بعد أن فقد كفي يديه وبعضا من أعضائه الزائدة، أعتقد أنكم وجدتموهم في منزل د. رأفت. أما بالحديث عن إكرامهم، أوليس إكرام الميت دفنه؟

سألت أمينة بترقب:

- هل تقول إنك قمت بقتلهم ودفنهم؟

- أنا لم أقل ذلك، ولكن إليك خبر حصري. إنهم أحياء، جميعهم، وسيظهرون لكم قريبًا جدًّا في لوحة فنية من إبداعي.

٩٩

تجلس أمينة في غرفة التحقيقات وهي باسمة للعقيد منير الذي كان يتأجج غضبًا بداخله، يكاد يتمالك أعصابه بأعجوبة وهو قاب قوسين أو أدنى من أن يوجه لكمة بيده المقبوضة إلى فك أمينة ليزيح عنها تلك الابتسامة المنرفزة.

بدأ التحقيق بتوجيه العقيد منير أسئلته إلى أمينة:

- من ذاك الشخص الذي تعاونت معه في ذلك المقطع؟

أجابته أمينة بكل برود:

- تعاونت معه؟، لقد كنت مختطفة، لقد حررت محضرا بذلك ... أما عن ذاك الشخص فأنا لا أعرفه للأسف.

سألها منير وهو يكاد ينفجر في وجهها:

- لقد خرج البث من حسابك الشخصي على مواقع التواصل، هل تفسرين لي الأمر.

- لقد أخذه مني الخاطف، لقد حررت محضرا آخرا بسرقة الهاتف.

ثم أكملت أمينة:

- لقد أخبرني الخاطف أنه سيستخدم حسابي الشخصي لاحتوائه على العديد من المتابعين، لقد كان ذلك ضد رغبتي ولكنه قام بالأمر في الأخير.

- هل هنالك مختطفة ترتدي فستانا أنيقا وحذاءً فاخرا وتضع مساحيق التجميل؟

- لتسأل الخاطف عن الأمر، ولكن لأكن صادقة لقد عاملني باحترام شديد.

- أين كارت الذاكرة التي أعطاه لك؟

- لقد أخذها مني أحد ضباطك ... كدت أنسى، لقد أخبرني السفاح أن تسرعوا في نشرها حتى لا يقوم هو بذلك.

نهض منير من كرسيه وحمله وهو يدفعه إلى أحد الجدران وهو يصيح بصوت عال للغاية ينفث عن غضبه وينظر إلى أمينة قائلًا:

- ستتعفنين في السجن أيتها الحقيرة، ستتعفنين أنت وذاك الوغد.

لم تجب أمينة وظلت صامتة وهي تتابع منير الذي دخل إليه أحد الضباط يراقبه حتى لا تتطور الأمور وتخرج عن السيطرة وحينها رفض منير أن يكمل التحقيق وغادر الغرفة، ليجد أحد الضباط ينظر له ويبدو مرعوبا وهو يخبره:

- يريد اللواء فتحي رؤيتك في الحال سيدي.

١٠٠

كان ذاك لقاء أمينة مع السفاح هو أشهر شيء في دونسيار في ذلك الوقت، كان كل مواطن يتحدث عنه، مشاركات غير مسبوقة له، كان الأمر أشبه بإلقاء قنبلة نووية على مبنى البحث الجنائي.

جلست في مكتبي وقد صنعت ما سيطلب مني، تقريرا مفصلا وتحليلا شاملًا عن ذلك المقطع الذي غزا شبكات الإنترنت، فقط كنت انتظر دخول النقيب حسين لأخذه مني وبالفعل ذلك ما حدث فدخل النقيب حسين مهرولا وهو يحدثني:

- ونس، هل انتهيت؟

- نعم، كل شيء هنا.

أخذ النقيب حسين التقرير ورحل وجلست أتابع ما يجري على مواقع التواصل بنفسي.

كان هنالك منشورات احتفال بأن السفاح ما زال طليقا، وأخرى لأشخاص في الشارع يحملون لافتات تأييد للسفاح، ومنشورات أخرى تتساءل عن د. رأفت وأن البحث الجنائي هم من لفقوا التهمة له حتى ينتهوا من القضية سريعًا، ومنشورات أخرى تتساءل عن تلك الملفات التي أعطاها السفاح لأمينة وطالبوا بمعرفة ما تحتويه تلك الملفات، ومنشورات أخرى تشير إلى وجود عدة مجرمين آخرون يحتاجون للقضاء عليهم وناشدوا السفاح إلى القصاص منهم، ومنشورات تدافع عن الصحفية أمينة وما فعلته وقد دشن مجموعة من المحامين فريقا وأعلنوا تطوعهم للدفاع عنها في القضايا الموجه إليها.

خرجت الأمور عن السيطرة واضطرت إدارة البحث الجنائي إلى إصدار بيان تشير فيه أنها تحقق في أمر اللقاء المنشور وستتتبع المسؤول عن الأمر وتقدمه للقضاء وتتقصى الحقائق، وطلبت من الجميع عدم مشاركة تلك المقاطع حتى الانتهاء من التحقيقات حتى لا يساعدوا في نشر الإشاعات.

أصدر مكتب كبير القضاة هو أيضًا بيانا متعلقا بقضية د. رأفت وسفاح ستوكهولم وأشاروا إلى أنهم يواصلون التحقيق في القضية ومهتمون جدًّا بكل تفاصيلها ولن يكون هنالك حكم إلا بعد التأكد من كل حيثيات القضية من دلائل وشهود وكل ذلك تبعا لقوانين دولة دونسيار وأشارت أيضًا إلى عدم نشر أخبار كاذبة قد تعرقلهم عن الوصول إلى الحقيقة بسرعة.

حقيقة لقد كنت أعلم أن ما سنفعله سيجعل الأمور تنقلب رأسا على عقب ولكن لم اتخيل أبدًا إن يكون المشهد كذلك.

كنت متخوف ومذعور مما هو قادم ولكني في المقابل وجدت لمحة فخر ونصر في عين أختي ريم لما يحدث، حينها أيقنت أنها لن تتوقف أبدًا فيما تفعله.

١٠١

طلب حَميد مقابلة اللواء فتحي على وجه السرعة، بالرغم من أن محامي د. رأفت قد استغل ما حدث وطلب الإفراج عن موكله بعد اعتراف ذاك الشخص المجهول بأنه هو السفاح، مطالبا أيضًا بالإفصاح عمَّا تحتويه تلك الملفات التي أرسلها مع الصحفية أمينة، في الواقع لقد كانت تلك الملفات وسيلة ضغط كبيرة على السلطات لما تحتويه على معلومات وأسماء ليس بالهين الإفصاح عنها.

لم يتم إصدار بيان يخص تلك الملفات، لا من إدارة البحث الجنائي أو مكتب كبير القضاة، الأمر الذي جعل الجميع يتحدث عنها أكثر وأكثر مطالبين السلطات بالإفصاح بما فيها وعدم التستر على المجرمين، في المقابل كان على البحث الجنائي تقصي الحقائق سريعًا بما ورد في تلك الملفات ومعرفة صحتها قبل تسريبها للمواطنين، كانوا متخوفين من إعلان السفاح للأمر علانية ويزداد موقفهم سوءً.

دخل حَميد إلى مكتب اللواء فتحي ليجده في حالة يرثى لها، كان حزينا مهموما لما حدث، ظَلَّ جالسا في كرسيه لم يبد أي تفاعل مع حَميد، فبدأ حَميد حديثه معه:

- سيدي، هل ستطلقون سراح رأفت؟

- ألست سعيدا بالأمر؟، ستأخذ أتعابك دون تحقيق.

- لا، لست سعيدا بالطبع، هل سيخرج من سجنه قريبًا؟

- لا أعرف يا حَميد، ألا تظن أن هذا هو آخر شيء قد أهتم به الآن.

- لا، هذا أهم شيء يجب أن تهتم به.

- لماذا؟

- السفاح ما زال يحتجز ممرضة رأفت، إنه يعلم شيء لا نعلمه وسيسعى لإحراجكم مجددًا بمجرد الإفراج عنه.

نظر اللواء فتحي إلى حَميد وقد بدا عليه أنه ضعيف الحيلة ولكنه متفق مع رأيه.

- ماذا أفعل إذا؟

- لا تخرجه الآن حتى نمسك بالسفاح الحقيقي.

- وهل ذلك بيدي؟، الأمر أصبح أكبر مني بكثير، ولأخبرك أمرا، إنهم بصدد الإفراج عنه قريبًا.

- لا، لتخبرهم بالأمر سيدي. لن يكون الأمر في صالحكم أبدًا.

- أعتقد أنه قد فات الأوان على ذلك يا حَميد، الأمل الوحيد أن نعثر على السفاح قبل الإفراج عن رأفت.

خرج حَميد من مكتب اللواء فتحي وهو يرتب أفكاره ليأخذ خطوته التالية فاذا به يجد كل من في إدارة البحث يركضون من مكاتبهم يتجهون إلى الأسفل.

كان الأمر أشبه باستدعاء حرب، كل الضباط وكل المساعدين يركضون من مكاتبهم متوجهين إلى غرفة السلاح يتسلحون ثم اتجهوا إلى العربات التي لم تكن موجودة منذ لحظات مضت، وما هي إلا ثوان

حتى خرجت كل السيارات من بوابات عدة في آن واحد، كل شيء حدث في ثوان قليلة.

وقف حَميد مندهش مما يحدث حوله، جال في خاطره أنهم قد تعرفوا على السفاح الحقيقي وتم الخروج من أجل القبض عليه وليؤكد فرضيته توجه إلى أحد المساعدين الذين ظلوا متواجدين في المبنى ليسأله:

- ما الذي حدث؟

ليجيبه المساعد في تأهب:

- لقد عثروا على سيارة نقل وبها كل الأشخاص الذين خطفهم السفاح.



جمعت أنا وريم كل الضيوف الموجودين لدينا، د. هادي ومحمود وتامر الكرامي وراضي وأخيرًا سحر الممرضة.

كانت ريم ترغب في إلقاء خطبة وداع لهم، لقد ظلوا لدينا لفترة، لذا كان هنالك مشاعر حزن لفراقهم. أعدّت لهم ريم تورتة بألوان عدة وأشرفت هي بنفسها على إطعامهم بيدها، طوال تلك المدة وهي تتولى أمر إعداد الطعام والشراب لهم، أعتقد أنه يوجد جزء طيب ما زال بداخلها في الأخير.

جلس الجميع على كرسيه ينظرون إلى ريم وهم خائفون مرعوبون منها، أما أنا فقد كنت أقف في الخلف لم أتدخل، لم يروقني الوضع حقيقة.

تقدمت ريم لتجلس القرفصاء لتصبح على نفس مستواهم وأخذت تنظر لهم وهي متأثرة تحدثهم:

- اليوم ستغادروننا، ستخرجون مجددًا للعالم الخارجي ولكني أريد أن أطلب منكم طلبا واحد.

كانت تلك الكلمة كفيلة بجذب انتباههم جميعا فنظروا لها في ترقب يسمعون حديثها:

- أريد منكم أن تقطعوا وعدا لي أنكم لن تخبروا أحدًا بما حدث هنا وألا تعترفوا بشيء مهما كان الثمن ... إن كنتم موافقين فسأطلق سراحكم غدا.

أشار الجميع لها موافقة في آن واحد، كان الكل موافق على ما قالته في سبيل حريته وكان لهم ما أرادوا.

نهضت ريم من جلستها وهي مبتسمة وأشارت لهم بيدها مودعة إياهم وهي تحدثهم:

- تبقى فقط أن أزينكم حتى يجدونكم في أحلى حُلة.

خرجت ريم وعادت جالبة مائدة جرارة وعليها بعضا من أدواتها.

لكم كانت ليلة طويلة مرهقة لريم. طويلة ومرهقة للغاية.

١٠٣

توقفت سيارة نقل ذو صندوق مغطى بقماش سميك في أحد شوارع العاصمة المكتظة بالسيارات والمارة، هبط السائق منها وتركها ورحل، مرت الساعات وبدأ ذلك الغطاء ينسدل من على السيارة شيئًا فشيئًا حتى لاحظ بعض المارة حركة تصدر من خلف ذلك الغطاء.

تجمع بعض المارة وهم يترقبون ما يحدث بداخل السيارة حتى تشجع بعضهم وأزالوا الغطاء ليظهر أمامهم خمسة أشخاص مقيدون يجلسون في منتصف السيارة ويصدرون أصوات تألم وأنين.

تعرف أحد المارة على أحد الموجودين، فقد كان تامر الكرامي معروفا ذو ملامح واضحة للجميع وهنا بدأ الجميع في الصياح:

- إنهم القتلة، لقد حررهم السفاح.

لم تمض ثوان حتى أصبح المكان عبارة عن كتلة بشرية لا يستطيع أحد العبور من خلالها، لقد أتى الكل ينظر إلى ما يحدث ولم يجرؤ أحد على مساعدتهم، بل إن بعضهم جاء ببعض الصخور الصغيرة وبدأ في رميهم بها وحينها بدأ الكثير في البحث عن صخور أخرى وبدأت عملية رجمهم.

علمت إدارة البحث الجنائي بالأمر ولم تمض دقائق حتى امتلأ المكان بسياراتهم لكنهم لم يستطيعوا المرور من خلال ذلك الحشد ليصلوا إلى سيارة المختطفين.

حاول العقيد منير بكل قوته أن يزيح الناس ويخترقهم لكنه لم يستطع، كان الأمر أشبه بالنحت في صخر مصمت دون مسام.

صعد أحد الضباط فوق إحدى سيارات البحث الجنائي وتحدث في مكبر الصوت بجملة واحدة:

- تلك السيارة تحتوي على قنبلة ستنفجر.

دوى صوت صراخ وبدأ الجميع في التراجع بسرعة وسط أصوات تهليل وخوف، ولكن بدأ العدد يقل شيئًا فشيئًا، كان منير يواجه الأشخاص الذين يدبرون على الهروب أما هو فقد كان مقبلا بإصرار للوصول إلى السيارة وبالفعل وصل إليها لينظر من خلالها ليجد منظرا أقشعر له بدنه ولكنه استدار وهو يصيح بصوت ملأ المكان بأكمله:

- إسعاف، لتحضروا سيارات الإسعاف.

١٠٤

وصل اللواء فتحي بنفسه إلى المستشفى حيث تم نقل المصابين، كان يركض داخل أروقة المشفى كالطفل التائه، كان يبحث عن منير الذي وجده جالسا على الأرض أمام غرفة العمليات.

كانت ملابس منير كلها دماء وحالته النفسية غير مستقرة لما رأه، اقترب اللواء فتحي منه يحدثه:

- ما الوضع هنا؟

رفع منير نظره بحسرة وهو يجيب اللواء فتحي:

- ثلاثة منهم توفوا واثنان يخضعون لعمليات جراحية عاجلة.

خفق قلب اللواء فتحي وأصيب بصدمة لما سمع ولكنه حاول تمالك نفسه وهو يحدث منير:

- سيقوم الأطباء بمعالجتهم وسنستجوبهم لنعرف منهم كل شيء.

- لن نستطيع استجوابهم.

سادت الدهشة وجه اللواء فتحي وهو يسأل منير:

- لماذا؟

- لأنه قام بقطع ألسنتهم وفقع أعينهم وثقب آذانهم جميعا.

١٠٥

كان صدى ظهور المختطفين كبيرًا جدًّا في دونسيار وغزت المقاطع التي صورت جميع مواقع التواصل، وأصبح الخبر ذي أهمية كبرى لدى الجميع لذا كان لزاما على السلطات أن تصدر بيانا توضح فيه ما حدث وعن الحالة الصحية لهم.

أصدرت المستشفى العامة بدونسيار بيانا تشير فيه إلى دخول خمسة مواطنين إلى المستشفى بعد اصطحابهم بواسطة عناصر البحث الجنائي وبالكشف المبدئي وجد أن ثلاث حالات منهم قد وصلت متوفاة وهم تامر مصطفى الكرامي، محمود عباس الدريني، راضي عبد الحفيظ النوفي. أما الحالتين الآخرتين وهم هادي همام وسحر خشبة فقد كانوا في حالة حرجة للغاية ودخلوا غرفة العمليات على الفور على أمل أن تستقر حالتهم.

كانت هنالك تضارب في الآراء لدى الناس، منهم من شعر بفرحة لمقتل هؤلاء الأشخاص لما اقترفته يدهم وكان ذلك جزاء لبطشهم وظلمهم. وجزء آخر شعر بالسوء لم حدث لهم وأنه لا يجوز فعل ذلك بهم وإلا سيكون الوضع كالغابة، كلما ارتأى شخص شيئا فيقوم به.

لقد خرجت الأمور عن السيطرة بعض الشيء في تلك الفترة، فقد نشأت مجموعة من الأشخاص يسمون أنفسهم " رجال سفاح ستوكهولم" وبدأوا في تلبية طلبات استغاثات بعض الأشخاص دون اللجوء إلى الشرطة، كانوا يتهجمون على أشخاص ويسرقوا منهم الأموال من أجل شخص آخر ادّعى أنه ظلم، وكانوا يتهجمون على أناس أبرياء دون وجه حق لمجرد أهواء شخصية وأغراض خاصة، كانت الأمور قد بدأت الدخول إلى نفق مظلم يجب اتخاذ قرار تجاهه.

كان وضع البحث الجنائي لا يحسد عليه وكذلك مكتب كبير القضاة الذي حاول تخفيف الضغط عليه بإصدار قرار بالإفراج المشروط لد. رأفت سليمان حتى تنتهي التحقيقات، كان خروجه بكفالة مبررا باكتشاف أن السفاح الحقيقي ما زال طليقا واعترافه سابقا أنه قد لفق التهمة لد. رأفت.

اقتحم حَميد مكتب اللواء فتحي دون استئذان وهو يقول:

- لقد كانت ممرضته مخطوفة لدى السفاح كما أخبرتك، لما أطلقتم سراحه؟

أجابه اللواء فتحي بكل أسي:

- لقد أخرجوني على المعاش يا حَميد، لم يعد لي قرارا بعد الآن.

تسمر حَميد في مكانه لما سمعه وتغيرت ملامحه للاستعطاف وهو يحدث اللواء فتحي:

- ما الذي حدث لذلك؟

- كنت أتوقع ذلك بعد كل ما يحدث في تلك القضية، لديهم كامل الحق في ذلك الأمر، لقد فشلنا في الإيقاع بالسفاح.

- ولكن من سيكون مسؤول عن التحقيقات؟

- لقد كُلف الوزير شخصيا بإدارة الموقف، وأنا سأظل في مكتبي مثل خيال المآتة حتى يأتي قرار تقاعدي لأوقع عليه.

- هذا خطأ، هذا خطأ كبير. ستزداد الأمور سوءً.

لم يجب اللواء فتحي على حديث حَميد الذي أكمل:

- نحتاج إلى بعض الوقت وسنكتشفه بالتأكيد سيدي، أعدك بأنني سأصل إليه.

- لم يعد هنالك شيء أستطيع مساعدتك به يا حَميد، وأنت فلتعود إلى منزلك لقد خرج موكلك وسيتم تبرئته من القضية.

دخل أحد الضباط إلى مكتب اللواء فتحي مسرعا وهو يخبره:

- لقد نشر السفاح مقطع فيديو جديد على شبكة الإنترنت.

١٠٦

ظهر على موقع التواصل وعلى صفحة الصحفية أمينة فيديو من حساب يحمل اسم سفاح ستوكهولم واضعا صورة كرتونية كصورة للحساب. قام ذاك الحساب بنشر مقطع فيديو لد. رأفت بداخل عيادته، ظهر رأفت عاريا تمامًا وهو يسير بداخل الغرفة وعلى إحدى الأَسِرَّة حيث يسترخي مرضاه وجدت فتاة تم التشويش على صورتها ولكن كان يبدو أنها غائبة عن الوعي، اتجه رأفت ناحية الفتاة ليصعد على السرير، حينها انقطعت الصورة وعادت لتظهر سحر خشبة الممرضة في الصورة وهي بداخل الغرفة المبطنة وهي تنتحب وما إن بدأ الصوت الروبوتي في الصدور حتى انتفضت سحر.

- لتحكي للجميع ما حدث يا سحر.

بدأت وهي تتحدث بصوت متقطع بسبب بكائها:

- أنا سحر ياسر خشبة، أعمل ممرضة لدى د. رأفت بعيادته النفسية منذ أكثر من ١٠ سنوات، كنت أساعده على فعل أفعاله القذرة مع مرضاه دون علمهم.

- هل توضحين لنا بالضبط ما كان يحدث؟

- كنت أعطيهم حقنة مخدرة عندما يخبرني د. رأفت ذلك، حيث كان يخبر مرضاه بأن تلك الحقنة تسرع من عملية التنويم المغناطيسي التي كان يوهمهم بها، ولكنه كان يستخدمها من أجل فعل ما يفعله، وما إن ينتهي منهم حتى أقوم بعملية التنظيف، ثم يقوم د. رأفت بإفاقتهم

وإمرار مسحوقا أبيضا على أنفهم أعتقد بأنه كوكايين فيستيقظوا وهم يشعرون بإحساس جيد.

- كم عدد المرضى التن حصل معهم ذلك يا سحر؟

- لا أتذكر العدد سيدي، ولكن د. رأفت كان يختار السيدات المتزوجات فقط.

- حسنا، هل تريدين استكمال شيء قد نسيتيه لأنني أتذكر أنك أخبرتني شيء آخر؟

- نعم، نعم، سأخبرك بكل شيء، لقد ماتت إحدى مرضاه أثناء فعلته تلك بسبب نزيف حدث لها وقمت بالاتصال بمحروس ابن عمي لدفن الجثة في مقابل مبلغ ما، وتحصلت أنا على راتب ثابت من د. رأفت يعطيه لي كل شهر على ما أفعله له.

- حسنا يا سحر، كم كان يعطيك؟

- أربعون ألفا كراتب شهري سيدي.

انقطعت الصورة من على سحر وظهرت شاشة سوداء وصدر الصوت الروبوتي مجددًا.

- لقد أرسلت ثمانية وعشرين مقطعا أصليين لذاك الطبيب إلى إدارة البحث الجنائي لأخذ اللازم تجاهه. دمتم بسلام.

١٠٧

وقف حَميد مع النقيب حسين داخل أحد مستودعات السيارات حيث يوجد جمال مصباح، صاحب السيارة التي استأجرها السفاح ووضع بها ضحاياه، يقف قلقا لما أُثير حول الأمر من رعب وذعر لتجارته الصغيرة، كان ذلك التحقيق هو الخامس أو السادس معه وفي كل مرة يخبرهم نفس الأحداث.

تولى حَميد التحقيق بنفسه مع الرجل الذي كان مستعد أن يساعدهم بأي شيء حتى يخلي مسؤوليته تمامًا من الأمر.

- اشرح لنا ما حدث بالضبط، منذ دخول السفاح إلى هنا وحتى حصوله على السيارة.

- لقد أتى ذاك الشخص يبحث عن سيارة نقل كبيرة غير مُقفلة، لقد أخبرني أنه سيستخدمها في نقل أثاث منزله وأعطاني عنوانه وصورة من بطاقته الشخصية وحصل على السيارة.

قدم السفاح صورة بطاقة مزورة بعدما تنكر في هيئة مختلفة كالمعتاد ولم يشك جمال فيه بسبب هيئته الراقية التي جعلت جمال يحترمه ظنا منه أنه شخص ذو شأن.

قاطعه حَميد جمال قائلًا:

- هل تضعون جهاز تعقب في سيارتكم؟

- نعم ولكنه استطاع إزالته، ووجدنا جهاز التعقب موجود في أحد الطرق المهجورة متصلا ببطارية خارجية.

- حسنا، أريدك أن تصف لي ماذا حدث بالتفصيل الممل، أريدك أن تسرد لي حديثكم كاملا، أو لأخبرك أمرا، لقد عرفت أن كل شيء مصور بالكاميرات هل تخبرني ونحن نشاهد المقطع؟

- لقد سألني زملائكم نفس الأمر وأخذوا نسخة معهم إلى مكتب التحقيقات.

- إذا فلقد تدربت على الأمر مسبقًا، هيا لنشاهد التسجيل مجددًا يا جمال.

انصاع جمال لطلب حَميد وبدأوا في السير إلى مكتب جمال وتبعهم حسين حيث يتواجد الحاسوب المتصل بالكاميرات.

بدأ جمال في تشغيل التسجيل ليظهر السفاح وهو مرتدي زي رياضي ذو قبعة قماشية متصلة به وعلى رأسه وضعت قبعة عريضة نسبيا كانت تمنع الكاميرات من إظهار وجهه واضحًا، لقد كان يعلم أن المكان به كاميرات لذا فقد استقل مكانا معينا وقف به مقابلا بظهره رؤية الكاميرا حتى جاءه جمال يرحب به.

تحدث جمال أثناء تشغيل الفيديو:

- هنا كنت أخبره عن أسعار السيارة التي أرادها وبعدها أخبرني أنه سينظر في المستودعات الأخرى وسيعود إلي فأخبرته بأنه لن يجد سيارة مفتوحة إلا عندي ولن يجد سعرا منافسا لي وبالفعل بعد ساعات معدودة عاد مجددًا ودفع المبلغ وأخذ السيارة.

علق حسين على الأمر قائلًا:

- اللعنة، سفاح يبحث عن أفضل سعر لسيارة نقل للموتى.

أوقف حَميد التسجيل فجأة وأزاح جمال من مكانه وأخذ يعيد لقطة ما كثيرًا والجميع يقف مندهشين مما يحدث، ظَلَّ حَميد يعيد اللقطة بالتصوير البطيء وحينها سال جمال:

- ماذا كنت تخبره في تلك اللحظة؟

- لقد أخبرته أن هناك سعر للسيارة إن كان سيدفع ببطاقته الائتمانية وهنالك سعر لو سيدفع نقدا.

-ما الفرق بين السعرين؟

- ببطاقته الائتمانية أستطيع ربطها بشركة التأمين المتعاقد معها إن أردت تصليح السيارة، ولكن لو دفع العميل نقدا فأطلب المزيد من النقود لأنني لا أستطيع التأكيد أن شركة التأمين ستتولى إصلاحها إن حدث للسيارة أمرا ما.

تدخل حسين في النقاش قائلًا:

- لقد مر زملاءنا على كل المستودعات المجاورة سيدي ولم نصل إلى أية معلومة تفيد أنه قد زار مكان آخر هنا.

-هذا لأنه لم يكن يريد مكانا آخر، لقد ذهب لاستكمال النقود.

وقف حسين صامتا لا يفهم ما قيل فأكمل حَميد وهو يعيد المقطع الذي استوقفه.

- هنا عرف السفاح قيمة ما سيدفعه نقدا وعلم أن ما لديه أقل من المطلوب فتحركت يده لا إراديا ناحية جيبه ثم تراجع عن الأمر وبدأ

يتوتر ولكنه أجاب بذكاء شديد وقال أنه سيبحث في مستودعات أخرى حتى لا نعلم أين ذهب حقيقة.

- وأين ذهب في تخيلك سيدي؟

قال حَميد بصوت منزعج:

- نظرا لأن الأمر حدث ليلا، فقد توجه إلى ماكينة الصراف الآلي.

حينها لمعت عيني حسين وهو ينظر إلى حَميد الذي قام بتقديم المقطع حتى وصول السفاح مجددًا إلى المستودع ودفع النقود وأخذ السيارة ورحل ليجد أن الفارق كان ساعتين وخمسون دقيقة.

رحل حَميد من المستودع ومعه النقيب حسين وهم على عجلة من أمرهم وحينها تحدث حَميد لحسين يخبره:

- نريد تصريحا من مكتب كبير القضاة.

- أستطيع فعل ذلك هاتفيا إن كان يتعلق الأمر بالسفاح، ولكن ما غرض التصريح؟

- لقد غاب السفاح لما يقرب من ثلاث ساعات تقريبا، لقد أراد أن يصل إلى أبعد صراف عن هنا، ولكن كل صراف آلي يحتوي على كاميرا داخلية به، ما إن نجد شخصا يرتدي زيا رياضيا وقبعة يستخدم بطاقته الائتمانية لصرف النقود، حينها نستطيع الكشف عن هوية ...

قاطعه حسين في حماس شديد:

- هوية السفاح.

١٠٨

كنت في المكتب حينما عاد محمد حَميد إلى مبنى إدارة البحث الجنائي ومعه النقيب حسين.

كان حسين يفتخر بنفسه بعد تمكنه بعلاقاته أن يحصل على تصريح تفريغ تسجيل ٣ ساعات من كل كاميرات الصرافات الآلية في نطاق خمس كيلومترات من مستودع السيارات.

كان الأمر كالصاعقة بالنسبة إلي، إن حصلوا على ذلك التسجيل فسيرشدهم بالتأكيد إلي، لقد أخطأت يومها بعدم جلب مال كافي لاستئجار السيارة ولكن ذلك اللعين لم يذكر على صفحته التجارية أن هنالك اختلاف بين الدفع بالبطاقة الائتمانية والدفع نقدا. لقد اكتشف ذلك المحقق ما فعلته رغم محاولتي إخفاء الأمر.

بمجرد أن يرسلوا تلك التسجيلات وربطها ببطاقتي الائتمانية فسأكون ميتا لا محالة.

اللعنة، كيف لي لا أتذكر أنه يوجد كاميرات بالصراف الآلي، لم أكن أتصور أنهم سيعرفون أمر النقود ذلك، وريم، إن علمت ريم ما فعلته فستقتلني قبل أن يصلوا إلينا، لقد فعلت الشيء الذي كانت تحذرني منه مرارا وتكرارا، ألا أفكر واتخذ قرارا دون الرجوع إليها.

ظَلَّ حسين يسرد ما كان يفعله مع المحقق محمد حَميد وكيف يستطيع إذهاله في كل مرة وعلى طريقة تفكيره في التحقيقات، كان يبدو كالطفل الذي وجد بطله الخارق المفضَّل.

كنت أجلس وضربات قلبي تنتفض ونحن في انتظار أول التسجيلات التي ستصلنا لفحصها، لم أكن من المنوطين بفحص الفيديوهات فتلك هي وظيفة القسم الفني، ولكني عرضت عليهم مساعدتي فأخبروني أن الأمر سري ولا يجوز لي الاطلاع عليه. رفضوا قبول مساعداتي بالرغم من تواجد شخص من خارج البحث الجنائي يجلس يتابع معهم التحقيقات.

لم أرغب في العودة في المنزل، ستكشفني ريم بمجرد دخولي من باب المنزل وحينها سأخبرها بكل شيء.

في ذلك الوقت دخل العقيد منير إلى غرفة الدعم الفني وهو حانق للغاية وأخذ يصيح بصوت عال جعلتني أنهض من مكتبي واتجه بسرعه إلى المكتب المجاور لأستكشف ما يحدث.

- من أذن لهذا الشخص بالدخول إلى مكاتبنا؟

أجابه حسين وهو يحاول تهدئته:

- لقد أمرني اللواء فتحي بمساعدة المقدم حَميد فيما يريد ونحن نحرز تقدما واضحًا في القضية.

صاح العقيد منير وهو يوجه حديثه إلى حَميد تلك المرة:

- أنت لم تتعلم من ماضيك يا حَميد، هل تريد قتل حسين تلك المرة؟

ساد الصمت المكان وتوجم حسين مما قيل وهو يسأل منير؟

- عن أي شيء تتحدث؟

- فلتسأله هو، إنه أمامك، لقد ترك زميله السابق يتلقى طلقات نارية وكان قاب قوسين أو أدنى من الموت، بسبب عجز السيد محمد حَميد عن استخدام سلاحه.

نظر حسين إلى حَميد وهو مندهش مما يقال ويستمع إلى باقي حديث منير:

- النقيب عبد الرحمن، ألم يكن ذلك اسمه يا حَميد، هل تركته بسبب هلاوسك تلك؟، هل مازلت هي من تقودك؟، هل ستفعل ذلك بحسين أيضًا؟

ثم أكمل:

- فليخرج حالًا من المكتب ولا يعود مجددًا، أما بالنسبة للواء فتحي فلقد أحيل للتقاعد وسيترك مكتبه في غضون أيام.

رحل العقيد منير من المكتب وهو يصيح بحسين:

- لتلحق بي في مكتبي يا حسين.

١٠٩

في مكتب العقيد منير جلس حسين وهو يحاول تهدئته ويحكي له ما حدث من تحقيقات سابقة ومن نظرية حَميد التي قد تساعدهم في القبض على السفاح حينها أجابه منير:

- هل تستأمن نفسك مع هذا المختل بعد كل ما قلته؟، أنه مجنون سُجن بسبب الشروع في قتل جاره ظنا منه أنه يتعدى على حبيبته الغير حقيقية. تم فصله من الخدمة وسُجن وبعدها نُقل إلى مستشفى الأمراض النفسية.

ثم أكمل منير قائلا:

- ذلك الدليل الذي تتبعونه سخيف للغاية، وإن صح اعتقاد ذلك المخبول فبالتأكيد استخدم السفاح سيارته للعودة الى منزله لاستكمال المبلغ، لقد مكث ما يقرب من ثلاث ساعات حتى عاد.

فأجابه حسين:

- لقد أخبرت المقدم حميد ذلك ولكنه أخبرني بأن السفاح لم يأت بسيارته لأنه هو من قام بقيادة سيارة النقل بنفسه، وحينها كان سيترك سيارته في محيط المكان وبالتأكيد لن يغفل عن ذلك الأمر.

شعر منير بالإحراج، فهو لم يفكر في ذلك الأمر فحاول تغيير سير الحوار ومال بجسده يقترب من حسين يخبره بصوت أقل حدة:

- لا يهم، مازالت فرضية الأمر ضعيفة للغاية ... أنا من أعددت خطة للإيقاع بذلك السفاح ولكني أحتاج إلى مساعدتك.

تغيرت ملامح حسين فجأة وهو ينظر إلى منير بنظرة حيرة.

- خطة؟ ما هي تلك الخطة.

- لقد اتفقت مع أحد اللجان الإلكترونية أن يقوموا بترويج أحد الإشاعات بأن هنالك ضابط هنا في إدارة البحث الجنائي متهم بتعذيب المجرمين وأن أحد المجرمين قد لقى مصرعه على يده وتم إخفاء الخبر عن الصحافة.

خفق قلب حسين مما سمع وتسرب الخوف بداخله وهو يستمع لباقي حديث منير.

- سنجعل السفاح يخرج من جحره، سنستعد له ونعد العدة ونقبض عليه.

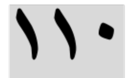
ظَلَّ حسين صامتا لم يتحدث لا يعرف ما يقوله ليكمل منير:

- لا تخف، كل شيء محسوب ولا يوجد مجال للخطأ، سأكون معك خطوة بخطوة لن أبتعد عنك، حتى أنني سآتي للعيش معك في منزلك، ألست تعيش وحدك؟، والفتي الذي سيقال أنه تُوفي من التعذيب سيخرج ليكذب ما قيل وبعد القبض على السفاح سننال كل الإشادة وربما يعطوننا ترقية استثنائية، لقد أعددت كل شيء.

تحدث حسين بعد طول صمت بصوت خافت محشرج:

- لماذا ستكون معي خطوة بخطوة وتأتي لتعيش معي في منزلي؟

- لأنك ستكون ذلك الضابط المعني بالإشاعة.



١١٠

كان هنالك ضغط كبير على السلطات حيال د. رأفت، لقد أمر مكتب كبير القضاة بإطلاق سراحه المشروط في قضية سفاح ستوكهولم ولكنه تم ربط اسمه بقضية أخرى جديدة وهي الاعتداء على مرضاه دون علمهم.

تجمع العديد من الأشخاص أمام بيت رأفت وقام بعضهم بمحاولات لاقتحامه والوصول إليه، كما قام أحد الأشخاص بإشعال النيران في أحد الإطارات وقذفه إلى داخل منزله ليمتلئ الدخان في المكان، كان د. رأفت شبه محاصر في منزله وازداد خوفه وطلب النجدة لتساعده.

كان مكتب التحقيقات مرغم على جلب د. رأفت مجددًا بعد ساعات قليلة من إطلاق سراحه، وتم جلب محروس ابن عم الممرضة سحر لسماع أقوالهم والتأكد من صحة المقاطع الموجودة في كارت الذاكرة الذي أرسلها لهم السفاح.

كان الوضع متأزم للغاية وهنالك تخبط كبير في حل الأمور، لقد اتسعت دوائر القضية بدون حلها وكان من اللازم على مكتب التحقيقات ومكتب كبير القضاة سرعة الوصول إلى إنهاء كل تلك القضايا. كان أمامهم الملفات الخاصة التي أرسلت مع أمينة الصحفية وما تحتويه من معلومات تسيء لأشخاص مهمة في دونسيار، وقضية د. رأفت الجديدة وممرضته ومقاطع الفيديو الخاص به مع مرضاه، والسيارة التي وجدوا بها المختطفون ووجدوا فيها ثلاث جثث واثنان يحتضرون، والأخير وهو الأهم القبض على سفاح ستوكهولم الحقيقي.

جلس اللواء فتحي في مكتبه وقد جمع أشيائه في صناديق مختلفة، ظَلَّ ينظر على كم شهادات التقدير التي حصل عليها والميداليات والنياشين الكثر التي ملأت الحائط خلفه، كل ذلك ذهب أدراج الرياح بسبب قضية واحدة وجعلته يتم تقديم الشكر له وإحالته للتقاعد.

كان كل من في مبنى البحث الجنائي حزين لذلك القرار، كان الكل يحب اللواء فتحي، فبرغم من حزمه وشدته وتفانيه في العمل، إلا أنه كان داعم وحامي لهم، كان ذو كلمة وسلطة ولا يظلم أحد، لذا كانت الإدارة تعيش في حزن كبير إلا شخص واحد، العقيد أحمد منير، الذي ما علم بالأمر حتى بدأ يُهمش من مكانة اللواء فتحي وكان آخرهم طرد محمد حَميد من مكتب الدعم الفني والاستهزاء بقرار اللواء فتحي.

علم اللواء فتحي بالأمر فاستشاط غضبًا وطلب استدعاء العقيد منير ولكنه تعلل بانشغاله بالتحقيق في القضية على أن يحضر لمكتب اللواء فتحي فور الانتهاء من عمله، الأمر الذي جعل اللواء فتحي يذهب بنفسه إلى مكتب منير ليوبخه ويصب جم غضبه عليه.

لم يرد العقيد منير على اللواء فتحي وتفادى الاحتكاك به حتى لا يؤخذ الأمر ضده بعد ذلك وظل منتظرًا حتى انتهى اللواء فتحي من حديثه معه ومغادرته لمكتبه.

استدعى اللواء فتحي النقيب حسين وأمره وهو غاضب للغاية أن يكمل تحقيقاته مع محمد حَميد وألا يستمع إلى العقيد منير أبدًا ويعود إليه إن تعرض لهم في شيء، أخرج اللواء فتحي هاتفه ليتصل بحميد يأمره بالقدوم إلى الإدارة لاستكمال ما كان يفعله.

بالفعل أتى حَميد إلى الإدارة مجددًا وكان النقيب حسين قد بدأ في التحقيق في بعضا من البيانات التي أتت من بعض البنوك والتسجيلات التي سجلتها صرافتهم الآلية.

قابل حسين حَميد بابتسامة مليئة بالاعتذار، لم يستطع حسين الدفاع عن حَميد أمام منير وكان أمر طرده من المكتب خارج عن إرادته.

لم يبالي حَميد كثيرًا بذلك الأمر وجلس يستمع لما توصل إليه حسين من تحقيقات:

- لقد وجدنا أن أغلب الكاميرات في الصرافات الآلية لا تعمل ولا يتم صيانتها، لذا أرسلوا لنا التسجيلات الخاصة بالصرافات الآلية التي تعمل ولكنني طلبت منهم أيضًا إرسال كشف بكل المعاملات البنكية التي حدثت في تلك الصرافات سواء مع وجود الكاميرات أم لا، لعلنا نجد شيئا يرشدنا إلى السفاح.

جلس حَميد يستمع إلى حديث حسين ولكنه شعر بشيء من خيبة الأمل لعدم حصوله على كل البيانات التي أرادها كما أنهم لم يجدوا أي تسجيل يحتوي على شخص يرتدي قبعة وزي رياضي يقوم باستخدام الصراف الآلي.

كان حسين يبحث في كشف التعاملات على الصراف الآلي وهو يشعر بصعوبة الأمر، إنهم يبحثون في آلاف الأشخاص والمطلوب منهم التحقيق عنهم ولكن اسما قد استوقفه وقد وقف حينها عن البحث وهو يوجه سؤاله لأحد الجالسين في المكتب حينها:

- ونس، هل كنت موجود في منطقة مستودع السيارات يوم الحادثة؟



كنت اجلس في المكتب مع زملائي في الدعم الفني، لم استطع أن انتظر في مكتبي وهم يفحصون البيانات وقد يجدونني حينها، لم أخطط لما سأفعله إن تم اكتشافي، فقط سأعترف وحينها ينتهي كل شيء أو هكذا خيل لي فأنا لن أميل إلى العنف أو ارتكاب جريمة دون حساب عواقبها.

عندما علمت أن بعض كاميرات الصرافات الآلية معطلة بدأت أدعو أن أكون قد سحبت الأموال من واحدة منهم، حينها لن يكون لديهم دليل مادي ملموس تجاهي وحينها سأنجو من الأمر ولن أكرره، لطالما كنت أتبع خطط ريم، لِمَ لم يخطر ببالي حينها أن أستعين بها، ها أنا وبسبب هفوة غير مقصودة على وشك إفساد كل شيء.

كانت الأمور تسير على ما يرام رغم أن تواجد محمد حَميد ونظراته المبهمة كانت تجعلني أتوتر لا إراديا، لم أكن أرغب في التواجد وهو موجود ولكني أيضًا لم استطع الانتظار بعيدا عنهم، حتى تفوه حسين بكلمته تلك:

- ونس، هل كنت موجود في منطقة مستودع السيارات يوم الحادثة؟

فكرت في إجابة سريعة طرأت في رأسي فأخبرته بصورة متسرعة:

- نعم، لقد كنت أصلح سيارتي هناك، لماذا؟

- بيانات حسابك البنكي ظهرت في ذلك الكشف.

- نعم لقد استخدمت الصراف الآلي لسحب النقود لإصلاح السيارة.

ساد الصمت المكان للحظة قبل أن يكمل حسين:

- اللعنة، هل تتصور أنه من الممكن أن يكون السفاح كان خلفك ينتظرك أن تنتهي حتى يقوم هو بسحب الأموال.

لم أجبه، ولم اتخيل أن يكون ذلك رده أبدًا. كان حسين طيبا ودودا، لم اتخيله أبدًا كضابط يقوم بتوجيه الأوامر والتعليمات، أو حتى يغير من تعابير وجهه أمام أحد المجرمين ليظهر قوته، كان رغم طوله الفارع وجسده القوى أقرب إلى صديق مألوف لك عمًّا يكون شخصا تكرهه أو تنفر منه.

كنت أحبه ولكننا لن نتشارك وجبة ما أو نخرج لنجلس على أحد المقاهي نتابع إحدى المباريات سويًّا، فقط أحب العمل معه وأرتاح له وأجده شخصا نقيا لم تعبث به الحياة.

ظَلَّ حسين يتابع الكشوفات وهو مستمتع بالأمر وحينها ظننت مجددًا بأنني قد أخرجت نفسي من المأزق ولكن يبدو أنني أسأت التقدير مجددًا.



١١٢

كان اليوم طويلا وعدت إلى المنزل لأغفو على الأريكة ولم يدم الأمر كثيرًا حتى استيقظت من النوم لأجد ريم تحدثني وهي ممسكة بالهاتف:

- أليس ذلك هو الضابط الذي يعمل معك؟

أمسكت بنظارتي لأنظر في الهاتف لأجد صورة حسين وأسفلها آلاف التعليقات، أمسكت بالهاتف وأنا أقرأ ما يحمله ذلك المنشور.

كان المنشور يشير إلى توجيه الاتهامات إلى حسين بأنه يقوم بتعذيب السجناء وتعريضهم لأقصى أنواع الوحشية وقد سبب العديد من العاهات الجسدية للسجناء من حروق وكدمات وجروح غائرة وأنه متهم في قتل أحد السجناء بعد الإقدام على تعذيبه لعدة أيام حتى قُتل المجني عليه وتم إخفاء الأمر عن الجميع.

كنت أنظر إلى شاشة الهاتف غير مصدقا ما كُتب عن حسين، قد يكونوا قد أخطأوا الشخص وهنالك سوء تفاهم ولكن صورته كانت واضحة جلية للجميع، كما أن كل البيانات الموجودة صحيحة وخاصة بحسين فعلًا، ولكن كان السؤال كيف قام حسين بفعل ذلك.

حسين لم يكن يستطيع استجواب المجرمين، كان يخبرنا بأنه لم يكتسب الخبرة بعد لذلك، لكننا كلنا كنا نعلم أنه كان يهاب الأمر ويهاب لقاء المجرمين، تلك المَلكة التي كانت موجودة عند كل ضباط البحث الجنائي عدا حسين، لذلك قد ولاه اللواء فتحي أمر إدارة قسم تحليل البيانات الرقمية، حيث كنت أعمل، ولكن أن أرى منشورا يحمل تلك الاتهامات فكانت صدمة بالنسبة لي.

خالجني شعور أن حسين يخدعنا وقد يكون لديه شخصية أخرى حيث يقوم فيها بالتعدي على المجرمين وإيذائهم من أجل الاعتراف، كنت أنا خير مثال لذلك، فأنا صباحا كنت أعمل كموظف لدى البحث الجنائي وليلا أعمل كسفاح للمجرمين ولكن حسين كان حالة خاصة، لقد كان يشرح لنا ما يقوم به في يومه كاملا، كان يقوم بدفع تكاليف وجبة الإفطار لكل العاملين في المكتب دون ضيق أو فتور، كما أنه يقضي معنا أغلب اليوم فكيف له أن يفعل ذلك في نفس المكان دون ملاحظة.

لم أتلق أي اتصال من العمل رغم أن المنشور كان جليا أنه قد لاقى رواجا كبير، كان حسين هو من يتصل بي دائما ولكن تلك المرة مختلفة فهو بطل المنشور الرائج. كنت على وشك الاتصال به ولكن ريم استوقفتني وأخبرتني أننا لسنا طرفا في الأمر لذا يجب علينا عدم الالتفات له. أطعت أوامرها رغم أنني من داخلي كنت أريد الاطمئنان عليه.

نهضت من جلستي لنبدأ في إعداد طعام العشاء، بدأت في تقطيع الخضروات وجلست ريم تنتظرني حتى انتهي وبدأت حوار معي.

- هل رحل ذلك المحقق أخيرًا بعد براءة رأفت من تُهم السفاح؟

- لا، لقد أكمل التحقيق فيها.

لم أكن قد أخبرت ريم بأمر النقود التي صرفتها من الصراف الآلي، وقتها قد شعرت أنني حللت موقفا باستكمال النقود، لكن تبعات الأمر كادت تودي بهلاكنا، ولكن بعد تأكدي من عدم وجود كاميرا تعمل في الصراف الآلي الذي سحبت منه النقود وأيضًا عن سرعة بديهتي في الإجابة على حسين عندما سألني عن سبب تواجدي في المكان حينها.

كنت على حيرة من أمري، هل أخبر ريم بالأمر أم أُبقي الأمر سرا وقد مر الأمر على خير، كنت على وشك إخفائه عنها ولكن ملامحي قد ورطتني، إنها أختي التؤام وتعلم أنني أخفي شيء خطيرا فسألتني بطريقتها الحادة الآمرة:

- لتخبرني ما حدث يا ونس.

أخبرتها ياليتني لم أخبرها، لقد صبت جم غضبها علي، حتى إنها تعدت علي بألفاظ نابية لم نعتد أن نقولها، لم أدرك أن بداخلها ذلك العنفوان أبدًا، قد تكون غليظة قاسية مع ضحاياها ولكن أن تكون كذلك مع أخاها؟، حينها كان لزاما علي أن أتخذ موقفا تجاهها.

- لتتوقفي عن استخدامي ككلبك لمرة واحدة، أنا من أقوم بكل شيء هنا، لتخرجي وتقومي أنت بما أفعله وسأكون شاكر لك، لست الآمرة الناهية هنا بعد الآن، سنتشارك كل شيء بالتساوي، سنخطط سويًّا وسنقوم بعملياتنا سويًّا، أو لأخبرك أمرا أفضل من كل ذلك؟، أنا لم أعد معك فيما تفعليه، فليكن الله في عونك وأتمنى لك كل خير.

ونحن في خضم ذلك الشجار رن جرس المنزل، فصمتنا في آن واحد وخرجت كلمة واحدة من كلينا:

- هل تنتظر أحدًا؟

أجاب كلانا بالنفي، لم نعتد أن يأت أحد إلينا أبدًا، لذا كانت هنالك حالة من الترقب لهذا الزائر.

تقدمت من الشاشة الرقمية لأقوم بفتح كاميرا الباب الأمامي لأجد شخصا هو آخر شخصا قد أرغب في حضوره لمنزلي، لقد كان المقدم محمد حَميد.



كان الوضع مخيفا مقبضا، لا أعلم ماذا أفعل هل أقوم بفتح الباب أم أنتظره أن يرحل، لِمَ أتى من الأساس، هل اكتشف امري؟، ولكن لِمَ أتى بمفرده ولم تأت قوات البحث الجنائي للقبض علي؟، كانت هنالك أسئلة عدة تدور في مخيلتي وكان من المفترض أن أتخذ قرارا وخصوصا بعد إلحاحه بتكرار رن جرس المنزل لمرات عدة، حتى أنه كان ينظر إلى الكاميرا وكأنه يخبرني لن أبرح حتى تفتح لي.

اتخذت قراري وقمت بفتح الباب وأنا أنظر إليه نظرات اندهاش، لم يكن بيني وبينه أية أحاديث سابقة فلم أتى إلى منزلي في تلك الساعة المتأخرة فكانت أولى كلماته معي:

- مهندس ونس، آسف على زيارتي، هلا دعوتني للداخل؟

لم استطع دحضه واستجبت لطلبه فدخل إلى منزلي وهو يتفحصه بقوة في كل خطوة يتخذها بداخله، كنت أعلم أن أحدنا لن يكون سعيدا أبدًا بنهاية تلك المقابلة على كل حال.

جلس حَميد على الأريكة في منزلي ومد قدميه بأريحية كبيرة وكأنه في زيارة عائلية لأحد أقاربه، كل تلك الأشياء كانت تزيد توتري، جلست أمامه أفكر فيما أفعله معه ولكني بدأت بسؤاله:

- هل أستطيع مساعدتك سيدي؟

- لا، لقد جئت للاطمئنان عليك فقط.

- للاطمئنان علي؟، مم؟

- لقد علمت أنك مصاب بداء السكري، لقد اطلعت على سجلك الطبي.

اللعنة، لقد علم بأنني أقوم بصرف جرعات من الإنسولين من أجل سحر الممرضة، لقد كانت تعاني من داء السكري وكان علي أن أوفره لها حتى نتخلص منها.

سألت حَميد:

- ولِمَ اطلعت على سجلي الطبي؟

- لقد وقعت الورقة في يدي بمحض الصدفة، بذكر ذلك، أتعلم أمرا، لقد وجدوا مستوى الإنسولين في جسد سحر خشبة، ممرضة د. رأفت طبيعيا رغم أنه قد تم اختطافها لمدة تقارب الشهر، لقد كان السفاح حريصا على علاجها.

حسنا، أنه يعلم ما حدث، وبقدومه إلى منزلي فهو يعلم أنني على صلة بالسفاح.

أكمل حَميد:

- منزلك رائع، هل لديك طابق سفلي أسفلنا هنا؟

لقد كان يتلاعب بأعصابي.

أكمل حَميد:

- لأنني أظن أن السفاح لديه منزل قد يشابه منزلك كثيرًا يا ونس، قد يكون يقطن بجانبك وأنت لا تدري.

- لا، كل من يقطن هنا أناس طبيعيون.

- بالضبط، السفاح شخص طبيعي جدًّا لذلك لم نستطع الإمساك به، ولكن كنا نحتاج إلى هفوة بسيطة، هفوة ساذجة لترشدنا إليه.

- وهل وجدتم تلك الهفوة؟

- نعم وعرفنا من هو السفاح.

- إذا من هو؟

- لا لقد تعرفت عليه منذ لحظات، سأذهب إلى البحث الجنائي لأخبرهم به.

هم حَميد يقف من جلسته وحينها وقفت معه فورا، لم أكن أعلم إلى ما هو مقدم على فعله، هل سيخرج سلاحه في وجهي ويرغمني على الانبطاح أرضا ويقيدني، أم سيقوم بإطلاق صافرة فتتقدم القوات لمداهمة البيت، كل تلك الأفكار كانت في رأسي ولكنه لم يفعل أي شيء، فقط مر من أمامي واتجه ناحية الباب ليغادر.

في المقابل لم يكن من الممكن أن أتركه يغادر هكذا، لقد كشفنا، ولكني لا أعرف ماذا أفعل، حينها وجدت ريم تندفع بقوة نحو حَميد ومعها صاعق كهربي، مدت يدها بخفة وهو يفتح الباب لتقوم بصعقه ليسقط على الأرض يتلوى من الألم.

١١٤

قمت بتخدير حَميد حتى أستطيع حمله إلى الطابق السفلي وتقييده، نزلت به الدرج وقمت بوضعه بأحد الغرف حيث كان يغط في ثبات عميق.

قمت بتفتيشه تفتيشا دقيقا، لقد كان علي أن أقوم برحلة إلى مكان إقامته في ذاك الفندق حتى أضع هاتفه المحمول حتي لا يربطه أحد بمنزلي، تنكرت سريعًا وارتديت ملابسي وذهبت إلى الفندق واستخدمت مفتاحه الخاص للدخول إلى غرفته وأحدثت بعض الفوضى فيها لعلها توضح أنه نشب شجار بينه وبين أحدهم وخطف على إثره حَميد.

عدت إلى منزلي وقد اقترب الصباح من الإشراق ولم يفق حَميد بعد، كان علي الذهاب إلى العمل بشكل طبيعي حتى لا أثير الشبهات وأيضًا حتى استفسر عمَّا قد توصل إليه حَميد في غيابي.

وصلت إلى المكتب حيث كان هنالك جو من التوتر مصحوبا بالكآبة، لقد كان الكل حزين على النقيب حسين وما حدث معه، لقد عُرف الاتفاق المبرم بينه وبين العقيد منير على نشر تلك الإشاعة من أجل الإيقاع بالسفاح، الأمر الذي صدر قرار حياله بفصل الضابطين من العمل وإحالتهم للتحقيق السريع.

كل تلك الأخبار المتلاحقة جعلتني أصاب بتوتر كبير ولم أقوى على الجلوس في مكتبي، كان الجميع كذلك، مشفقين على حسين ناقمين على العقيد منير، لقد استغل منير سذاجة حسين وجعله يقع في أمر محذور من أجل أن ينل هو شرف القبض على السفاح.

تجمهر العديد من الأشخاص بالخارج معتقدين أن حسين قد قام بالفعل بما نُشر عليه، كانت الأعداد في ازدياد يطالبون بمعاقبته، أما حسين فلم يكن بيده حيلة أو شفاعة لما فعله.

طُلب كلا من العقيد منير والنقيب حسين للتحقيق في مكتب كبير القضاة ولسماع شهادتهم فيما حدث وبالفعل تم اقتيادهم من مبنى البحث الجنائي والجميع ينظر لهم محزونين وبعض العمال يبكون لما حدث لحسين الذي امتلأت عينه بالدموع وهو يرى مستقبله ينهار بسبب غرور شخص قام بخداعه.

أما منير فقد كان يسير صامتا جامد الملامح لا ينظر يمينا ولا يسارا، يعلم فداحة الأمر الذي فعله ولكنه لم يرد لأحد أن يراه منكسرا أو ضعيفا.

خرج حسين والعقيد منير من مبنى البحث الجنائي في إحدى السيارات التابعة للمكتب متجهين لمكتب كبير القضاة وما إن غادروا البوابة حتى أسرعت سيارة بجانبهم، خرج منها عدد من الملثمين يحملون البنادق الآلية ويهتفون جميعا:

- ها هو الوغد الذي عذب الأبرياء.

وبدأوا في إمطار السيارة بوابل من الطلقات مصوبين حيث يجلس حسين.

١١٥

دوت سرينة قوية في المكان، كان الكل يركض في اتجاهات مختلفة، هنالك من يركض هربا وهنالك من يركض وراء سيارة الملثمون وهنالك من يركض يطمئن عمن في السيارة.

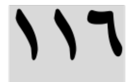
وقفت على أحد درجات المبنى أنظر من بعيد عمَّا يحدث، كان هنالك صياح دائم.

"إسعاف" ... "إسعاف".

كان صوت الرصاص عاليا مدويا، كان قلبي يرجف، أعلم أن احتمالية خروج حسين سليما تكاد تكون منعدمة، ولكني طردت الفكرة من رأسي وانتظرت خروجه سليما.

تعالت أصوات الصيحات وهم يخرجون حسين ومنير من السيارة بعد وصول الإسعاف لهم، أخرجوا منير أولًا وقد كان يتألم بشدة، وهنالك قطرات دم تتساقط منه فأخذته إحدى سيارات الإسعاف وانطلقت.

أما حسين فقد كان يجلس اتجاه مطلقي النيران، خرج من السيارة محمولا لا يبدى أي حركة، فقط دماء قد ملأت ملابسه وأخذت تقَطّر ما عجزت الملابس من امتصاصه على الأرض، اقترب منه أحد المسعفين يبحث عن نبضه فلم يجد، كان الكل يقف مشدوها صامتين، كان الصمت موحشا كئيبا، الكل ينظر إلى المسعف الذي اومأ برأسه يمينا ويسارا آسفا عن عدم قدرته لفعل شيء.



كان حسين بمثابة صديقا لي في مخيلتي، نعم لم نتشارك شيئا سويًّا ولكني أردت أن أكون صديقه، أردت أن يكون صديقي ونحن أطفال حتى يحميني من كل من تنمر علي وسخر مني ولم يرغب في مشاركتي الألعاب، أردته أن يجلس بجانبي نتشارك الشطائر سويًّا.

أردته أن يواسيني عندما نعتني أحدهم بلقب "أبو الرووس" عندما قمت بحلاقة رأس شعري تضامنا مع مرض أمي، أردته أن يأتي لي ليلا حتى نسهر نستذكر دروسا سويًّا ولكننا في الحقيقة نلعب ألعابا الكترونية على التلفاز.

أردت أن يكون معي ليسدد لكمة لذلك الشرطي الذي تنمر علي أنا وأختي ونحن صغار، أردته أن يعطني الثقة بنفسي ويخبرني بأنني أستطيع فعل شيء جميلا بمفردي دون مساعدة أحد.

كان من الممكن أن يشجعني على الحديث مع إحدى الفتيات فأحبها فتتغير حياتي ولا أصبح ما أنا عليه، كنت سأذهب معه للقاء صديقته الطبيبة التي حدثني عنها، أنا موافق، لتنهض يا صديقي ونذهب سويًّا إلى حيث تريد، سأكل معك شطيرة اللحم بالبصل وليثور قولوني على جسدي، سأتحمل ذلك. لا أصدق أنك لن تعاود الاتصال بي تطلبني أن أتي إلى العمل لإنهاء عملا ما لأنك تثق بي دونا عن غيري.

كنت في ذهني صديقي الصدوق، الذي مر معي بكل فئات العمر وكنت أنت من سأختاره صديقا حسن التربية والمقام، يوما ما سألقاك وتكون حياتنا مختلفة عمَّا هي الآن، حينها سأكون عضدك وأنت عضدي يا صديقي.

عدت إلى المنزل بعدما تأكد خبر وفاة حسين ودخول منير إلى العمليات لعلاجه، لم أكترث لأمر منير، في الواقع لقد كنت أتمنى موته لما فعله مع حسين ولكن العدالة ستحل يوما ما وقد لا تكون في تلك الحياة.

كانت ريم في انتظاري ويبدو عليها الغضب وكنت لا أستطيع مناقشتها في ذلك اليوم ولكن إصرارها جعلني أتوقف أستمع لما تقوله وأنا على وشك الانفجار.

- هل تخبرني ماذا اكتشفت لديك في العمل عمَّا وصل إليه ذلك المحقق؟

- الوقت غير مناسب يا ريم، لا أريد التحدث الآن.

جذبتني من زراعي وهي تعيدني لأكمل حديثنا.

- انتظر هنا، هل هنالك شيء أهم من أرواحنا؟

- لا، لا يوجد شيء أهم من أرواحنا، ولكني لا أستطيع الحديث الآن.

- لماذا، ما الذي حدث؟

- لقد قُتل حسين اليوم بسبب ذاك المنشور الذي تم نشره، لقد هاجمه بعض الملثمين وأطلقوا عليه النار.

صمتت ريم للحظات قبل أن تجيبني:

- أنا آسفة لذلك، ولكن أعتقد بأنه كان مجرد زميل لك في العمل ولا شيء آخر.

صمت ولم أجبها، لتكمل حديثها:

- ونحن ليس لنا دخل بقتله، لقد قُتل على يد مجرمون.

حينها انفجر الكلام ليخرج مني صائحا بها:

- لا، نحن سبب كل ذلك، نحن من ألهمنا هؤلاء المجرمين على فعل ذلك، نحن من جعلناهم يتولون أمر المحقق والقاضي والمنفذ في آن واحد، نحن السبب في إنشاء كل تلك الحوادث.

- لا، لسنا السبب، كل إنسان لديه عقل ليقرر لنفسه.

- لا، لقد استغللنا مشاعر الناس ليتعاطفوا معنا ويحبوننا، أنت من فعلت ذلك، أنت شيطانة حقا.

- أنا شيطانة يا ونس؟، أنا من كنت أدافع عنك طيلة حياتنا، الآن أصبحت شيطانة؟

- نعم، لقد خطتي لكل ذلك، أردت أن تنالي انتقامك وأن تصبحي بطلة أيضًا ولكن كل ذلك آل إلى الفوضى، الكل يسمي نفسه سفاح ستوكهولم الآن، هنالك أناس أبرياء تُقتل باسمنا. حسين كان بريئا لم يقترف أي خطأ وقُتل بسببنا.

- لقد قُتل بسبب خطأ غبي وقع فيه، هو من اختار فعله وليس نحن.

- أصمتي، حديثك هذا يغضبني.

- لن أصمت، ألم تكن سعيدا بما نفعله، ألست أنت من أراد أن يطور من الخطط ويضيف إليها لتزداد متعتها، أليس ذلك أنت يا ونس؟

- نعم هذا أنا، ولكني كنت مخطأ، كل ما فعلناه خطأ ويجب علينا تصحيح الأمور.

- حسنا سنصلح الأمور، سنتوقف عمَّا سنفعله ونجد حلا لكل تلك المشاكل، ولكن يجب أن نتخلص من ذلك المحقق أولًا، أنه خطر كبير علينا.

- نتخلص منه كيف؟

لم تجبني ريم.

- هذا المحقق لم يرتكب أي جرم لقتله، ألست أنت من وضعتي تلك القوانين، ألا نقتل شخص بريئا مهما كلف الأمر حتى لو حياتنا.

- نعم قلت ذلك ولكننا نستطيع تدارك الأمر، يبدو أنه الوحيد الذي يعلم بنا.

لم أرد عليها.

- أو لأخبرك أمرا أفضل، سنبقيه في الطابق السفلي وسنوفر له كل ما يحتاجه.

- هل تريدين حبسه باقي حياته هنا؟

- هذا أفضل من أن يتم القبض علينا.

- لا، لدي حل أفضل.

اقتربت من ريم وقمت بحملها بقوة مقيدا يديها من الحركة فأخذت تتلوى محاولة الفرار ولكنها لم تستطع وأخذت تصيح بي:

- ونس، ما الذي تفعله؟، اتركني.

لم أجبها وأكملت طريقي إلى الطابق السفلي، مازالت ريم تحاول التخلص من قيودي ولكني كنت عازم على ما أفعله. وضعتها في الغرفة حيث كان يمكث د. رأفت، تركتها وأغلقت الباب خلفي وأنا أستمع لصياحها:

- ونس، هل أنت جاد، ماذا تفعل بي، أنا أختك ريم؟

- ستبقين هنا حتى أقرر مصيرك ... أنا من سيقرر.

ظلت تصيح ولم استمع لها ولم أشغل بالا في ذلك الحين فلقد كان لدي مقابلة أخرى مع شخص كان ظهوره السبب في قلب حياتنا رأسا على عقب، إنه محمد حَميد.



جلس ونس أمام محمد حَميد باسما له، لم يكن بينهم أية حواجز، كان كرسيه يبعد عن كرسي حَميد بأمتار قليلة، لم يتخذ ونس حذره أثناء ذلك اللقاء فقد جلس حَميد دون قيود أمامه، أراد أن يجلس مع حَميد ليدور بينهم ذلك النقاش الذي بدأه ونس قائلًا:

- إذا قبل أي شيء، أريد أن أبدي لك إعجابي الشديد بذكائك وطريقتك في التحقيق.

- لك مني نفس الإعجاب، أن تظل كل تلك الفترة دون القبض عليك، فأنت تستحق مني الإشادة.

- غريب أن أنل المدح من ضابط في البحث الجنائي.

- ضابط سابق، ولا، ليس غريبا أن أمدحك، لقد أعجبت بقصة رؤية الأموات التي أخبرتها لد. رأفت وربطها بالأحداث، كان من الممكن أن تكون مؤلفا كبيرا.

ابتسم ونس ابتسامة واهنة واكمل حديثه مع حَميد:

- لماذا أتيت إلى هنا دون أن تحمي نفسك؟

- من أخبرك أنني لم أحمي نفسي؟

- لقد مر يوم كامل ولم يسأل عنك أحد.

- ليس بالمدة الطويلة، وأعتقد أنك اتبعت نفس أسلوب د. رأفت في حالتي، هل تجيب على رسائلي بنفسك؟

- أعتقد بأنك تعلم الكثير ... هل لي أن أعرف كيف اكتشفتني؟

- بالتأكيد، سأخبرك بكل شيء تريده، أنا من بحوزتك الآن، ماذا تريد أن تعرف؟

- كيف اكتشفتني؟، هل بسبب خطأ الصراف الآلي؟

- صراحة ولأكن صادقا معك، كان الصراف الآلي جزءً رئيسيا في اكتشافك ولكن ما أكد لي إنك السفاح هو توترك.

- توتري؟، ماذا تقصد؟

- هل تتذكر عندما كنت لدى مالك السيارة وذكر سعر السيارة ولم يكن لديك المبلغ؟، لقد قمت بحركة لا إرادية تعبر عن توترك من حدوث ذلك الموقف لك، هل تعلم ماذا فعلت عندما أخبرك حسين بأنه وجد اسمك في صحيفة بيانات الأشخاص الذين استخدموا الصراف الآلي؟، لقد قمت بنفس تلك الحركة لا إراديا أيضًا.

صمت ونس ولم يجيب فأكمل حَميد:

- لم أكن سأنتبه كثيرًا لذكر اسمك ولكن تلك الحركة التي خرجت منك جعلت كل شيء يثار أمامي كسلسلة من الأحداث، كنت علي يقين بأن السفاح خبير في التكنولوجيا الحديثة، فإن كان د. رأفت ليس هو السفاح، فالسفاح الحقيقي استطاع التعامل مع برنامج ال VPN وقام بشرائه بواسطة عملة إلكترونية سرية يصعب تعقبها، كما إنه يجيد التعامل مع مواقع التواصل، يعرف كيف يخفي هويته بشكل احترافي، وأيضًا يعلم أنه يصعب اقتفاء أثر شرائط ال PAL 8 القديمة، واستطاع الوصول إلى الفيديوهات المسجلة على حاسوب د. رأفت دون أن يغادر

حاسوبه مكتبه، لقد اهتممت بكل تلك الأشياء لإخفاء أثرك ولكنك أظهرت خبرتك بالتكنولوجيا.

- إذا، أنت الوحيد الذي لاحظت أمر توتري ذلك في مقطعي الفيديو، هل كان ذلك هو السبب الوحيد لمراقبتي؟

- لا، كما أخبرتك، كان ذلك ما استحثني للبحث عنك، حينها عرفت أنك تقوم بصرف جرعات انسولين مؤخرا، أنت تعلم أن كل شيء يتم تسجيله في أنظمة وزارة الصحة فكان الوصول لبياناتك أمرا سهلا، لقد صرفت الإنسولين من أجل الممرضة سحر، أليس كذلك؟

- من علم أنك تبحث عن بياناتي الصحية؟

- لا تقلق لقد عرفت الأمر من صديق لي يعمل في النظام الصحي، لم أخبر أحد في البحث الجنائي.

- هل تخبرني أن اطمئن؟، ألا تريد الخروج من هنا؟

- أريد بالطبع، ولكني أعلم أيضًا بأنك لن تؤذيني، أنا لست اتوافق مع كودك الخاص.

- كودي الخاص؟

- نعم، أنت تقتل من ارتكب جرائم بشعة في حق البشر، أنا لم افعل ذلك، لذا فلدي فرصي في النجاة.

- أنت أول شخص يستطيع اكتشاف هويتي، هل تظن أنني سأتركك تهدد حياتي؟

- لا لن تتركني، لكنني في المقابل لم أفصح عن شكوكي عنك للبحث الجنائي، لقد أتيت لمحادثتك أولًا. أعلم أنك طيب القلب حتى مع من اختطفتهم رغم أنهم قتلة.

- ما الذي أوحى لك بهذا؟

- لقد علمت بأنك قمت بتقديم وجبات خاصة لكل واحد منهم قبل أن تُقدم على ما فعلته بهم، كل شخص وجد أنه تناول طعام مختلف عن الآخر، يبدو أنك قد أخذت طلباتهم كأمنية أخيرة لهم.

- حسنا، هل لو أطلقت سراحك فستعترف علي؟

- بالطبع سأعترف، أنا صريح معك، ولكني لا أريدك أن تطلق سراحي الآن إن كنت أمينا معك.

- ولما لا تريدني أن أطلق سراحك؟

- لأنني أريد أن أعرف الكثير عنك، كما أخبرتك، أنا معجب بك.

- ماذا تريد أن تعرف؟

- أولًا، كيف قمت بتجنيد الصحفية أمينة لديك؟

- أنا لم أجند أمينة، أمينة كانت مجرد أداة تشتيت لا أكثر ولا أقل، قابلتها في إحدى المرات في صف للمساعدات الاجتماعية وحينها علمت أنها ستفعل أي شيء مقابل الشهرة.

- هل كنت تشارك في صفوف المساعدات الاجتماعية، لا تبدو لي بأنك شخص كهذا؟

- كنت معفي من الخدمة العسكرية، ففرض علي عدد من الساعات في الخدمة المجتمعية حينئذ.

- وكيف قمت بجعل منشورها الأول عن د. هادي همام يلقي رواجا كبير رغم أنه كان لا يرتقي لأن يكون رائجا؟

- لجان الإنترنت، ولكن المحترف منهم، قمت بتعيين أحد اللجان الموجود في ال Dark web لإتمام المهمة ولم يبحث أحد في تلك الجزئية، ولكن يبدو أنك فطنت لذلك الأمر أيضا.

- قمت باستئجارهم بواسطة تلك العملة الإلكترونية؟

- نعم، عملة مونيرو المؤمنة.

- وكيف كنت تختار ضحاياك، أعتقد بأنهم جميعا ليس لديهم سجل إجرامي لدى البحث الجنائي.

- لا بالعكس جميعهم لديهم سمعة طيبة لدينا، لكن هنالك أحد التطبيقات الخاصة الموجود على ال Dark Web يسمى "بوح" وهو يستخدم لمن يريد البوح بشيء خاص جدًّا دون الإفصاح عن هويته، هنالك وجدت ضالتي ووجدت اتهامات لكل هؤلاء المجرمون الذين اختطفتهم.

- هل قامت إحدى أمهات الأطفال الفقراء بالدخول على ال Dark web لتقوم بالشكوى ضد د. هادي همام؟

- لا ليس تلك الأمهات، هن ضعفاء يبحثون عن الطعام والشراب فقط، من قامت بنشر الأمر هي إحدى أمهات الأطفال اللاتي استفدنا من أحد الأعضاء لصالح طفلتها، لقد كانت تتحدث عن شعورها بالندم

لمعرفتها أنها حصلت على عضو بشري بطريقة غير شرعية من أجل الحفاظ على حياة صغيرتها.

- و د. رأفت، لما تركته يرحل وأنت تعلم أنه قاتل؟

- د. رأفت كان القرار معه صعبا، لقد كان هو محور الخطة ولم أكن أعلم بأمر قتله لتلك المريضة إلا بعد اختطاف ممرضته واعترافها بذلك، كل ما توصلت إليه هو تلك الفيديوهات التي قام بتصويرها للمرضى في عيادته، ولكني أوصلت الرسالة للبحث الجنائي، يمكنهم البحث وسيجدون أنه مذنب، أتمنى فقط إلا يدعوه يفلت بفعلته.

- أنت من اختطفت المجرمين المفقودين منذ أربعة سنوات؟

- صحيح لقد أردت أن أحييك على بحثك في الأمر، كما أخبرتك، تروقني طريقة تفكيرك.

- ماذا فعلت بهم؟

- إنهم مدفونون في مكان ما في حديقة المنزل، لم أعد أتذكر أماكنهم، ولا أتذكر عددهم أيضًا.

- لماذا إذا كل هذا، ما دافعك وراء اختطافهم وتعذيبهم؟

- لقد وجدت متعة غامضة في ذلك، وهم أيضًا كانوا يتلذذون بما كانوا يفعلون.

- ولكنهم مجرمون ويعلمون أنهم مجرمون.

- وأنا مجرم وأعترف بذلك.

- هل ستعترف بكل شيء إن تم القبض عليك؟

- بالتأكيد، سأخبرهم بكل شيء، ولكنهم عليهم أن يكتشفوا من أنا أولًا.

- لقد اكتشفتك في الأخير، لما تعتقد بأنهم لن يكتشفوك؟

- لقد اكتشفتني بسبب خطأ بسيط قد صنعته، كما أن الصدفة لعبت دورا في ذلك.

- تلك الصدفة ساعدتك أيضًا عندما كانت الكاميرا الخاص بالصراف معطلة.

صمت ونس وشعر بإحراج فرد على حَميد بسرعة:

- خطتنا دقيقة لا يستطيع أحد اكتشافها.

- خطتنا؟، هل لديك من يساعدك؟

- لا، لقد أخطأت النطق فحسب، خطتي، خطتي لا يستطيع أحد اكتشافها.

حينها أنارت إحدى المصابيح باللون الأحمر وصدر صوت إنذار في المكان، نهض ونس مسرعا يفتح الشاشة ليجد قوات خاصة قد اقتحمت البوابة الخارجية للمنزل يحوطونه من جميع الجهات.

نظر ونس إلى حَميد يسأله:

- ماذا فعلت؟

- لم أفعل شيء يبدو أن صديقي قد قلق لعدم ردي عليه فأرسل قوات خاصة للبحث عني.

- مستحيل، هاتفك في الفندق وقمت بالرد على كل من راسلوك، مستحيل أن يتتبعوك إلى هنا.

قام حَميد برفع قدمه وخلع حذائه وقام بخلع جزء من نعله ليظهر خلفه جهازا أسودا لم يكن غريبًا على ونس أبدًا، تحدث حَميد حينها قائلًا:

- أعتقد بأن ذلك المسجل قد سجل حوارنا، ولكن الممتع في تلك التكنولوجيا أن هذا الجهاز يحتوي على مُعرف أماكن GPS. لقد أخبرت صديقي بأنني إن لم أحدثه هاتفيا لمدة يومين فيبحث عني على ذلك الجهاز، هل تظن أن جودة الصوت ستتأثر بسبب ذلك النعل الذي وضعته عليه؟

ظلل ونس صامتا لم يستطع الرد، لقد انتصر حَميد عليه مجددًا.

ركض ونس بسرعة مغادرا الغرفة وضغط على زر الطوارئ ليغلق الباب الحديدي المؤدي للقبو بعدة أقفال ضخمة يصعب كسرها واتجه إلى خزينة موجودة بالقبو يفتحها ويخرج منها سلاحا ناريا.

١١٨

منزل اللواء/ فتحي زكي

رن جرس المنزل في ساعة متأخرة من الليل، توجه اللواء فتحي إلى الباب ليفتحه ليجد أمامه شخصا لا يعرفه ولكنه سريعًا ما قام بالتعريف بنفسه.

- سيدي، آسف على القدوم في تلك الساعة المتأخرة. أنا الرائد عبد الرحمن مصطفى من البحث الجنائي لمدينة الكرمة، وأنا هنا بناءً على طلب المقدم محمد حَميد.

سادت علامات الدهشة على وجه اللواء فتحي الذي لم يفهم ما يحدث فأكمل عبد الرحمن:

- لقد أخبرني المقدم محمد حَميد أن أتي لك شخصيا لأخبرك عن اختفائه.

- اختفاء من، حَميد؟

- نعم، لقد أخبرني أنه إن لم يتصل بي من رقم قد اشتراه مؤخرا فهذا يعني أنه اختطف على يد السفاح.

لمعت عيني اللواء فتحي عند سماع تلك الكلمة وحينها وقف مركزا في كل كلمة يقولها عبد الرحمن.

- عبد الرحمن، لتخبرني بالأمر بهدوء وبالتفصيل.

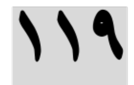
- حسنا سيدي، المقدم محمد حَميد يحدثني كل يوم من هاتفه الشخصي، لكنه مؤخرا جلب رقما آخر وأخبرني أنه إن لم يتصل بي منه في نهاية كل يوم فتلك علامة منه على اختطافه على يد السفاح.

- هل وصل حَميد للسفاح ولم يخبرنا؟

- لا أعلم سيدي، ولكنه أخبرني أن انتظر لأربعة وعشرون ساعة وأتي اليك لأخبرك بالأمر وهو لم يحدثني منذ البارحة لذا أتيت لأنفذ ما أمرني به ونحدد المكان المتواجد به الآن.

- حَميد في قبضة السفاح منذ أربعة وعشرون ساعة، لِمَ لم يخبرنا بما يفعله لنساعده؟

- لقد أخبرني أنه يريد استجواب السفاح بمفرده.



نظرت من خلال الكاميرات المتواجدة حول المنزل، لقد ملأت قوات البحث الجنائي كل شبر في المنزل، حتى إنهم اقتحموا المنزل من الداخل وبدأوا في البحث عني.

لم استطع التفكير أو الوصول إلى حل لذلك الأمر، أعتقد أن النهاية قد حلت ولم يعد أمامي سوى حلين لا ثالث لهم، أما الاستسلام أو الانتحار.

كان لدي مسدس دفعتني ريم لشرائه بطريقة غير شرعية في بداية عملياتنا كوسيلة للحماية، ولكنه لن يكفي لردع كل هؤلاء الذين احتلوا منزلي وأنا لا أجيد التصويب من الأساس. ولكنه كاف لإنهاء حياتي وعدم انتظار التحقيقات والحكم على بالإعدام.

جلبت المسدس وبدأت الفكرة تسيطر على بقوة، رفعت المسدس مصوبا إياه باتجاه رأسي، طلقة واحدة ستريحيني بالتأكيد، بدأت أتصبب عرقا، لم يكن القرار سهلا ولكني ظللت أذكر نفسي بما سيحدث لي إن لم أقدم على ذلك لذا تشجعت وأخذت نفسا عميقا وكدت أضغط على الزناد ولكني حينها انفجرت في البكاء وسقطت على ركبتي لا أستطيع تمالك أعصابي، لقد فشلت حتى في انتحاري.

وجدت صوت ريم تحدثني من غرفتها حيث حبستها وهي تنادي علي، كان صوتها عطوف حنون، لم أسمعه كذلك من فترة، يبدو أنها كانت تواسيني. لملمت شتات نفسي ونهضت أقترب من غرفتها لأجدها مادة زراعها لي وهي تحثني على احتضانها وهي تبكي.

كنت في أمس الحاجة إلى شخص يضمني ويشملني بعطفه، اقتربت منها وأنا أحدثها:

- أنا خائف للغاية يا ريم.

- لا تخف يا ونس، أنا معك، لقد فعلنا ما أردناه، يجب أن تكون فخورا بما فعلناه.

- ولكنهم سيلقون القبض علي.

- يمكنك فعلها يا ونس، فلتأت بالمسدس ولتريحنا من العذاب.

- لا أستطيع فعلها، لا أقوى على ضغط الزناد.

- فلتحاول مجددًا يا ونس، هذا أهون الحلول.

- لا أستطيع ... أنا خائف.

- فلتهدأ كما علمتك وتأخذ نفسا عميقا وأضغط على الزناد.

- لا أستطيع، لا أستطيع.

- فلتكن رجلا ولو مرة واحدة في حياتك، ألا تستطيع ذلك أيها الطفل الباكي؟

- لماذا تحدثيني هكذا يا ريم؟

- لأنك جبان وستظل جبانا مهما حييت.

- لا تحدثيني هكذا يا ريم.

- فلتتوقف عن النحيب أيها الجبان.

- لماذا تفعلي ذلك بي؟

- أتعلم ما قالته لي والدتنا قبل موتها؟، لقد أخبرتني أن أعتني بك لأنك ضعيف الشخصية لا تتحمل المسؤولية.

- لا، أنت تكذبين. أمي كانت تحبني، لم تخبرك بذلك. أنا رجل أتحمل المسؤولية ولست جبانا.

ظل رجال البحث الجنائي يستخدمون أدواتهم يحاولون اقتحام القبو، وكانوا على مقربة من الوصول إلينا، نظرت لي ريم وهي تحدثني:

- حسنا، إن لم تكن تستطيع قتل نفسك وتريد أن تثبت أنك رجل تتحمل المسؤولية حقا، فلتعترف على نفسك فقط.

صمت لم أفهم ما تقصده، لتكمل ريم حديثها:

- يمكنك الاعتراف بأنك المسؤول الوحيد عن كل تلك الجرائم.

- ماذا تقصدين؟، أنت متورطة معي في كل شيء.

- لا، أنا لست طرفا فيما فعلته.

- أنت تمزحين أليس كذلك؟

- أنا لم أفعل أي شيء قد يُدنني، يتبقى فقط أن تقوم أنت بحمايتي وتخبرهم أنني لست شريكة معك.

- ماذا تقولين؟، لقد قتلنا أكثر من درزن سويًّا.

- ليس علي أي دليل يقودهم إلي.

- ماذا تقصدين؟، لقد قتلنا قاتلي معتصم، واختطفنا وقتلنا العديد من المجرمين، وعذبنا هؤلاء المجرمين الذين أطلقنا سراحهم سويًّا، في الواقع أنت من تسببت بكل الضرر الجسدي لهم وأنا لم أفعل شيء سوى خطفهم وتنفيذ خطتك بحذافيرها.

- وقد أحسنت صنعا في التنفيذ ولكني ليس لي علاقة بهم، إنك حتى تحتجزني هنا في القبو مثلي مثلهم وسأخبر الشرطة بذلك... هل ستقوم أنت بالفتنة على أختك وتخبرهم أنني ساعدتك في القتل.

- اللعنة، هل تختبرينني، هل تلك مزحة؟

- لا، حقا، أنا أتكلم بجدية، ليس هنالك دليل ضدي.

- لا هناك، لقد قمتي بقتلهم بأدواتك الطبية، بصماتك ستكون عليها.

- لم استخدم يدي المجردة أبدًا في القتل، كنت استخدم القفازات الطبية دائما، سيفحصون كل شيء بالتأكيد فلا تقلق من ذلك الأمر.

- أنت من أعددت الخطة للخطف والتعذيب.

- هل لديك ورقة واحدة تثبت ذلك؟، لقد مزقتهم جميعا، وعلى النقيض أنت من ظهرت في تسجيلات كل الكاميرات لديهم.

- لقد بدأتي معي عمليات الخطف، لقد كنتي أنت من بدأ بخطف قاتلي معتصم منذ أربع سنوات.

- إن حصلت على تسجيل يُدنني فلتقدمه.

- بالتأكيد هنالك دليل، لا يمكن أن تخفي أثرك مع كل هؤلاء الذين قتلناهم.

- لقد قلتها، موتى، لن يستطيعوا مساعدتك والشهادة معك، ورأفت الطبيب النفسي؟، أنت الوحيد الذي قابلته، هو لم يرني ولا مرة، أما الباقي فإن نجوا مما حدث لهم فإنهم لا يسمعون ولا يرون ولا يتكلمون.

- اللعنة، هل قمتي بقطع ألسنة المختطفين وفقعت أعينهم بطريقة وحشية حتى لا يدل أن من فعلها طبيبا؟

- بالضبط، وفي المقابل أنت من قمت بإعداد تكنولوجيا القبو وأنشأت حسابات وهمية على مواقع التواصل بطريقة احترافية ووصلت إلى ال dark web واستخدمت ال VPN كل ذلك يشير إليك أنت، المهندس ونس.

- لا، لا، هذا غير صحيح، أنت شريكتي في كل شيء، شريكتي؟، أنت أصل كل شيء من الأصل.

- وأنا أنهي تلك الشراكة الآن، كأن شيء لم يكن.

- بتلك البساطة؟، انتظري، هل كنت أنا ضمن خطتك التي أنشأتيها منذ البداية؟، هل كنت أنا كبش الفداء الحقيقي لخطتك؟

- أنا آسفة لك يا ونس، ليتك كنت تخليت عني يوم مقتل معتصم.

سمعت حينها صوت باب يُغلق من خلفي وسمعت صوت حَميد يأتي من خلف الجدار وهو يحدثني:

- إلى من تتحدث يا ونس؟

١٢٠

نسي ونس باب غرفة حَميد مفتوحا بعدما اكتشف أمر اقتحام الشرطة ليغادر مسرعا يجلب السلاح الناري وحينها اتجه إلى غرفة مجاورة لغرفة حَميد واختفى.

حاول حَميد أن يبتعد عن ونس بعدما رأى في يده ذلك السلاح وانتظر حتى تستطيع القوات اقتحام القبو ولكنهم تأخروا بسبب تلك الأقفال المحكمة التي صنعها ونس، ولكن مع مرور بعض الوقت، لاحظ حَميد حركة غير طبيعية فتملكه الفضول فغادر غرفته بترقب شديد وحاول أن يعرف ما الذي يحدث في تلك الغرفة.

تقدم حَميد بحذر شديد وألقى بنظره داخل الغرفة ليجد ونس يجلس وحيدًا وهو يمسك بالقضبان يتحدث إلى شخص لا يراه.

ظن حَميد في بداية الأمر أن ونس يتحدث إلى شخص يقف خلف القضبان وغير مرئي بالنسبة له ولكنه صعق عندما وجد ونس يتحدث إلى نفسه.

سرى الرعب بجسد حَميد غير مصدق ما يحدث فأغلق الباب الحديدي واحتمى خلف الحائط يحدث ونس:

- إلى من تتحدث يا ونس؟

- لا، لن نقتل أحدًا آخرا بعد الآن.

- أصمتي ولا تتحدثي.

= ونس لا يوجد أحد معك، أنت مريض، أنت تتحدث إلى نفسك.

صمت ونس حينها ونهض متجها إلى القضبان الحديدية الفاصلة ليجد بابها مغلق، فحاول بعنف فتحها فلم يستطع ليكمل حَميد حديثه:

= أنت تتوهم أن هنالك شخص معك يا ونس، لا يوجد من يحدثك.

- ماذا تقول؟، هل تلك لعبة من ألاعيبك؟

= لا، لست اتلاعب بك، ولكنك تحدث نفسك.

- أصمت، أنا اتحدث مع أختي ريم، هي معي في الغرفة هنا.

- ريم أختك؟، لقد تُوفيت أختك منذ سنوات في حادث إطلاق نار في مدينة الواحة، لقد تُوفيت مع زوجها، لقد قرأت ملفك يا ونس، أختك ليست هنا.

- أصمت، أنت كاذب، ريم هنا. ها هي أمامي.

- لا، لن نقتل أحدًا بعد الآن.

= ونس، لتهدأ، إذا كنت لا تصدقني فلتخرج هاتفك وتصور أختك وترسلها لشخص تثق به تسأله إن كان هنالك أحدًا في الصورة أم لا. أنا كنت مصاب بما لديك ولكن تم علاجي، لترسل تلك الصورة إلى النقيب حسين، أعتقد بأنه يحبك، لقد لاحظت ذلك.

- لقد قُتل حسين.

= يا إلهي، ماذا حدث؟

- لقد قُتل بسببنا.

- أصمتي وإلا قتلتك.

- أصمتي يا ريم، لا تستفزيني.

- لست جبانا، أنا لست جبانا.

= لتهدأ يا ونس، لا يوجد أحد معنا هنا.

- لن أقتل أحد يا ريم، إن كنت سأقتل أحدهم فسيكون أنت.

= ريم متوفاة منذ سنوات يا ونس، أنت تعاني من ضلالات.

- أصمت أنت أيضًا وإلا قتلتك.

- لن أقتل نفسي يا ريم.

= لا، لا تفعل يا ونس، لا تنفذ ما تقوله لك.

- هل أنت تتلاعب بي حقا؟، هل تدفعني للجنون؟

= لا، أقسم لك بأنه لا يوجد أحد هنا، إنها في عقلك فقط وتدفعك لارتكاب كل تلك الأشياء، لتتوقف يا ونس الآن.

- أنت تكذب، لقد أخبرتني بألا أستمع لها.

= لا، لقد أخبرتك ألا تجعلها تتحكم بعقلك.

انطلقت حينها طلقة من سلاح ونس وساد الصمت بعدها.



وجدت حَميد يحدثني من وراء الحائط لأتفاجأ أنا وريم من ذلك الأمر

= إلى من تتحدث يا ونس؟

- هل استمع هذا الوغد إلى حديثنا، يجب أن تقتله.

- لا، لن نقتل أحدًا آخرا بعد الآن.

- هل مازلت تخاف أن تقتل أحد؟، لتدعني أقتله أنا.

- أصمتي ولا تتحدثي.

= ونس لا يوجد أحد معك، أنت مريض، أنت تتحدث إلى نفسك.

صمت حينها ونهضت متجها إلى القضبان الحديدية الفاصلة لأجد بابها مغلق، فأثار الأمر غضبي فحاولت بعنف فتحها فلم استطع ليكمل حَميد حديثه معي:

= أنت تتوهم أن هنالك شخص معك يا ونس، لا يوجد من يحدثك.

- ماذا تقول؟، هل تلك لعبة من ألاعيبك؟

= لا، لست اتلاعب بك، ولكنك تحدث نفسك.

- أصمت، أنا اتحدث مع أختي ريم، هي معي في الغرفة هنا.

- لتقتل ذلك اللعين يا ونس، إنه يريد أن يقودك للجنون.

= ريم أختك؟، لقد تُوفيت أختك منذ سنوات في حادث إطلاق نار في مدينة الواحة، لقد تُوفيت مع زوجها، لقد قرأت ملفك يا ونس، أختك ليست هنا.

- أصمت، أنت كاذب، ريم هنا. ها هي أمامي.

- لتخرجني لأقتل ذلك الوغد يا ونس، إنه يريد التأثير عليك للخضوع له.

- لا، لن نقتل أحدًا هنا بعد الآن.

= ونس، لتهدأ، إذا كنت لا تصدقني فلتخرج هاتفك وتصور أختك وترسلها لشخص تثق به تسأله إن كان هنالك أحدًا في الصورة أم لا. أنا كنت مصاب بما لديك ولكن تم علاجي، لترسل تلك الصورة إلى النقيب حسين، أعتقد بأنه يحبك، لقد لاحظت ذلك.

- لقد قُتل حسين

= يا ألهي، ماذا حدث؟

- لقد قُتل بسببنا

- اللعنة، مجددًا؟، لقد قتل بسبب غبائه يا ونس، كفاك نحيب.

- أصمتي وإلا قتلتك.

- لقد اضحكتني يا ونس، حقا، برغم ما يحدث ولكنك اضحكتني، أنا هنا لتقتلني إذا.

- أصمتي يا ريم، لا تستفزيني.

- لن أصمت أيها الجبان، أنت جبان، جبان.

- لست جبانا، أنا لست جبانا.

= لتهدأ يا ونس، لا يوجد أحد معنا هنا.

- لتقتل ذلك الحقير الذي كشفنا أولًا أيها الجبان وحينها لتحدثني.

- لن أقتل أحد يا ريم، إن كنت سأقتل أحدهم فسيكون أنت.

= ريم متوفاة منذ سنوات يا ونس، أنت تعاني من ضلالات.

- أصمت أنت أيضًا وإلا قتلتك.

- هيا لتقتله يا ونس، لتكن رجلا، أريد أن أراك تقتل ولو مرة واحدة، أو أخبرك أمرا أفضل، فلتقتل نفسك وتريحنا من بلائك، أنت عديم الجدوى في كل شيء، هيا تشجع.

- لن أقتل نفسي يا ريم.

= لا، لا تفعل يا ونس، لا تنفذ ما تقوله لك.

- لقد اعترف بوجودي يا ونس، لقد أخبرتك أنه يتلاعب بك، لتقتله.

- هل أنت تتلاعب بي حقا؟، هل تدفعني للجنون؟

= لا، اقسم لك بأنه لا يوجد أحد هنا، إنها في عقلك فقط وتدفعك لارتكاب كل تلك الأشياء، لتتوقف يا ونس الآن.

- كاذب، لقد اعترف بوجودي منذ لحظات يا ونس، لقد استمعت له.

- أنت تكذب، لقد أخبرتني بألا أستمع لها.

= لا، لقد أخبرتك ألا تجعلها تتحكم بعقلك.

أطلقت حينها طلقة من السلاح الناري باتجاه قدم ريم، وأخذت أنظر لها وهي مازالت تتحدث معي توبخني دون أن يظهر عليها أية إصابة.

****

بعدها سمعت صوت انفجار مكتوم صادر من الباب الإلكتروني، لقد استطاعوا اختراقه أخيرًا ووصلوا إلي.

بدأت القوات في نزول درجات السلم في حذر لتكمل ريم حديثها معي:

- كن رجلا واعترف أنك بمفردك.

شاهدني أحد ضباط البحث الجنائي ومعي المسدس فصاح بي قائلًا:

- لترم السلاح ولتسلم نفسك حالًا، لا مفر لك.

بدأ الآخرون يصيحون بي بشدة لإسقاط المسدس وتسليم نفسي، ففعلت ذلك فورا وأكملت اتباع أوامرهم فانبطحت أرضا ووضعت يدي خلف ظهري ليندفع شخصان يقيدونني بعنف كبير، كل ذلك كنت أتوقعه منهم ولكن مالم أتوقعه أبدًا هو حديث ريم لهم وهي تصرخ باكية:

- النجدة، أنقذوني من أخي، إنه هو سفاح ستوكهولم.

١٢٢

اقتادني عدد من أفراد القوات الخاصة إلى الخارج، لم استطع إحصاءهم، كان المنزل أشبه بحفلة لمطرب شهير، لا مجال لقدم فيها، كنت أسير وسط الحشد وكأنني ذاك المطرب الشهير مع اختلاف الوضع بالتأكيد، بنهاية ذلك الممر البشري وقفت سيارة شرطة أمام المنزل بظهرها وكان بابها الخلفي مفتوح على مصرعيه منتظرة صعودي إليها.

نظرت إلى منزلي لأخر مرة، نظرت إلى حديقة منزلي حيث يرقد أسفلها جثث قاتلي معتصم، وبجانبهم يتواجد جثث المجرمين السابقين الذين قتلناهم، سيعثرون في الطابق السفلي على كل تلك التجهيزات التي أعددناها لاستضافة زوارنا، الغرف التي تم تصوير المختطفين فيها وتعذيبهم، متعلقاتهم وأحماضهم النووية تملأ المكان كله، كما أنهم سيجدون النمر قابع في أحد الغرف هنالك أيضًا، أردت إخبارهم أن يتخذوا حذرهم منه فهو عنيف ولم يأكل منذ فترة وقد يهاجمهم، فمنذ أن احتجزت ريم ولم أكن لأجرأ على دخول غرفته أبدًا.

كانت قدمي خدلة بعض الشيء وأنا أصعد تلك السيارة الضخمة، بالكاد استطعت مجاراة هؤلاء الذين يقودوني إليها وما إن وصلت إلى درجات السيارة لصعودها وجدت صعوبة كبيرة في رفع قدمي من على الأرض، لكن ذلك لم يكن عائق لأفراد القوات الخاصة الذين قاموا برفعي بطريقة مدهشة وهم مازالوا يقودوني إلى داخلها حتى وجدت نفسي أستقر على أحد الكراسي الحديدية ويسرع أحد الضباط بتقييدي من يدي وقدمي بسلاسل حديدية ملتصقة ببدن السيارة ولم يكتفِ بذلك بل أخرج أصفاده الشخصية وقام بتكبيلي بها.

صعد معي ستة ضباط ذو أجساد عريضة وعضلات مفتولة لداخل تلك السيارة العملاقة، تستخدم تلك السيارة لنقل عدد كبير من المساجين ولكنها هنا لي أنا بمفردي، جلس ضابطين بجانبي واثنان في مقابلتي واثنان وقفا ناظرين لي لا يجفلون.

لا أعلم سبب كل ذلك، أنا لم أُبد أي مقاومة أثناء اعتقالي وقد أنصّت لما طلبوه مني واستسلمت دون إحداث أية مقاومة. كما أنني كنت سأعترف لهم بكل شيء دون كذب أو تغيير في الحقائق، هكذا كنت قد قررت منذ بداية عملياتنا، ولكن الغريب أنهم لم ينقذوا ريم، لقد تركوها في الغرفة بالقبو رغم صياحها لهم بإنقاذها، قاموا بتحرير حَميد ولم يحرروها، لعلهم صبوا كل اهتمامهم بي أنا، فلقد قبضوا على سفاح ستوكهولم الحقيقي الآن.

١٢٣

وصلنا إلى مبنى البحث الجنائي، لا أتذكر كثير ما حدث لي في الطريق إلى هناك بسبب كم الأفكار التي استحوذت على عقلي حينها، ظللت أفكر فيما سيحدث لي، وعمَّا سيحدث لريم، هل حقا أعدت خطة محكمة بالفعل وستخرج من الأمر؟، كيف ستعيش من بعدي؟، هل ستكمل جرائمها أم ستتوقف؟، هل ستزورني في محبسي أم أنها لن تريد تذكري مجددًا؟، كل ذلك دار برأسي وظللت أفكر حتى قررت أمرا، سأدع ريم تكمل حياتها، مقتل معتصم قد انتقص من سعادتها كثيرًا، لا يجب أن أزيد عليها المواجع، وأيضًا حتى عندما أقابل أمنا فأخبرها أنني قد حميت أختي ودافعت عنها أخيرًا، لقد قررت أن أنفرد بلقب سفاح ستوكهولم لي أنا فحسب.

جلست في غرفة التحقيقات ولا أتذكر كيف تم اقتيادي إليها، كانت الغرفة هادئة تمامًا لا يصدر منها أي صوت غير صوت احتكاك قيودي ببعضها البعض كلما حركت يدي، أجلسوني على طاولة مثبتة في الأرض ويدي وكلتا قدمي مقيدون ببعضهم البعض وموصولون بقيد مثبت في أرضية الغرفة الأسمنتية، ظللت منتظرًا ما سيحدث معي ولكم كنت أكره الانتظار، لتحكموا علي بالإعدام حالًا ولا تجعلوني انتظر.

دخل من الغرفة ضابطان ذوا هيبة، أحدهم وهو أصغرهم كنت أعرفه، إنه المقدم هشام فخري، لقد كان نائب العقيد أحمد منير في البحث الجنائي، لكنهم لم يكونوا على وفاق كبير، لم يكن أحد على وفاق مع العقيد منير، أما الضابط الأكبر سنا فأنا لم أره من قبل وهو بالتأكيد جديد على المبنى فأنا أعلمهم جميعا، لكن هيئته تجعلك تشعر بالرهبة والخوف، فقد كان حاد الملامح صارم قاسي الوجه، نظراته بمفردها

تجعلك تعترف بكل شيء دون أن يوجه لك الأسئلة، لكن على كل كنت سأعترف لهم بكل شيء حتى لو آتوني بشخصية كرتونية.

ظَلَّ ذلك الرجل ينظر لي شزرا، تملأ نظرات الاستحقار وجهه، كانت طلته الأولي لي غير جيدة بالمرة وشعرت بشيء من الكره تجاهه وأعتقد أنه كان يبادلني الأمر، لذا كنت أشعر بعدم الراحة معه.

جلس الرجل أمامي وانتظر المقدم هشام واقفا لم يجلس وقام بفتح حاوية ورقية تحتوي على ملفات ليفتحها أمام ذلك الرجل الذي عرفني بنفسه أخيرًا:

- عميد فاروق الصقيري، مدير الإدارة المركزية للبحث الجنائي.

حينها علمت أن قرار التقاعد للواء فتحي قد تم تنفيذه وها هو من سيحل محله، لم يتركني العميد فاروق أسرح بمخيلتي مجددًا فبدأ في استجوابي.

- هل كنت تظن بأننا لن نستطيع الوصول إليك يا هذا؟، لقد تجرأت على الدولة بأكملها وها أنت تجلس كالصعلوك أمامي لن تفلت من العقاب. سأضمن بنفسي أن تُرسل إلى حبل المشنقة بسرعة البرق.

لم أجبه، لكن كلامه جعلني لا أتمالك نفسي فخرجت ضحكة مني لا إراديا، حقيقة لم أكن أريد فعل ذلك فأنا احترم الجميع، ولكني وجدت نفسي أفعل ذلك لا إراديا ليستشيط الرجل غضبًا وهو يطرق بقبضة يده على المنضدة صائحا:

- أنت تضحك؟!، إذا، فلتبقِ تلك الضحكة هكذا وأنت تُعدم.

ظللت أضحك على انفعالاته، أراها مسلية نوعا ما، حقيقة لا أدرى ما الخلل الذي حدث لي، ظللت هكذا حتى تحولت بغتة إلى شخص جامد الملامح صارم وأنا أنظر له قائلًا ببرود:

- سأعترف بكل جرائمي ... ولكن ليس لك، لتخرج راكضا وتخبرهم بأن سفاح ستوكهولم يريد تغيري ويطلب حضور اللواء فتحي لاستجوابي.

- هل جننت، كيف تجرؤ على الحديث ...

- تأدب، أنت في حضرة سفاح ستوكهولم.

كان صوتي عاليا للغاية حيث غطى على صوت صياحه بدرجة كبيرة مما جعله يصمت لا يتحدث وقد ظهرت عليه علامات الدهشة المصحوبة بالغل والكراهية.

حقيقة لم أكن أعلم أنني أمتلك صوتا جهوريا من قبل، حتى أنا اندهشت من قوة صوتي.

أكملت حديثي:

- لتذهب وتخبرهم بما أمرتك، سأنتظرك.

ساد الصمت المكان وجلس ذاك الرجل جالسا لفترة يفكر فيما سيفعله وظللت أنظر له بعين فاحصة حتى بدا أنه مهموم لا حيلة له، فنهض من كرسيه يقدم قدما ويؤخر أخرى حتى خرج من المكتب لأظل جالسا لفترة طويلة بمفردي حتى فُتح الباب ليعود المقدم هشام مجددًا ولكن تلك المرة كان معه اللواء فتحي.

لا أعلم لما أحسست بالتوتر لرؤيته، اللعنة مازلت أعاني من ذلك الأمر بالرغم من أنهم قد عرفوا حقيقتي، ظللت أذكر نفسي مرارا بأنني لم أعد المهندس ونس المهندس بمكتب البحث الجنائي، ولم يعد اللواء فتحي هو رئيس الإدارة، كان علي تذكر نصائح ريم لي وأن أعتد بنفسي وأتمالك أعصابي وحينها نظرت إلى اللواء فتحي وأنا أبتسم له.

جلس اللواء فتحي أمامي وهو ينظر إلي نظرة غريبة، أعتقد أنها كانت نظرة اندهاش مصحوبة بشفقة، أم كانت نظرة لوم تلك؟!، حقيقة لم أفسرها جيدًا، ولكن أعتقد بأنه يضمر لي بعض الضغينة فأنا سبب إحالته للتقاعد وخروجه بطريقة لم يكن يتوقعها أبدًا بعد طول مدة خدمته، ولكني جعلتهم يعيدونه ليقوم باستجوابي، لا أعلم ماذا فعلوا ليجعلوه يعود إلى مبنى البحث الجنائي وفي تحقيق رسمي ولكن في الأخير لقد أعطيته شرف استجواب سفاح ستوكهولم.

بدأ اللواء فتحي في استجوابي:

- ذلك التحقيق مسجل بالصوت والصورة ويمكن استخدامه كدليل إدانة لك في ....

قاطعته قائلًا:

- أنا سفاح ستوكهولم.

لم أكن أطيق انتظار كل تلك الدباجات، فلننتهي من الأمر سريعًا.

تغيرت ملامح وجه اللواء فتحي وسادت الدهشة محياه، حتى أنه نظر إلى المسجل الموجود في الغرفة يتأكد أنه يعمل.

أعلم أنني قد أربكت حساباته، أعتقد بأنهم قد أعدوا استجوابا محكما لي ولكني أضعت عليهم مجهودهم ولكني وفرت لكلانا الوقت، حاول اللواء فتحي استعادة ذلك الوجه الصارم ولكنه لم يستطع تقمصه مثل أول مرة فسألني:

- هل تعترف بأنك المسؤول عن كل تلك الجرائم المتعلقة بسفاح ستوكهولم؟

- نعم، أنا من اختطفت هادي همام ومحمود الدريني وتامر الكرامي وراضي النوفي وسحر خشبة، وأنا من قمت بتعذيبهم بطريقة وحشية أدت إلى موت بعضهم، وأنا من قمت بقتل قاتلين معتصم زوج أختي، وقمت بقتل بعض المجرمين السابقين، ستجدونهم جميعا في حديقة منزلي.

لم يتحدث اللواء فتحي، أعتقد بأنه لم يتوقع أن يسير التحقيق بتلك الطريقة أبدًا حينها تذكرت شيئا وجب علي ذكره.

- آها وشيء آخر، أنا لم أقتل صديقي النقيب حسين، ولكني أعتقد أنني ساهمت في قتله بشكل غير مباشر.

وجدت في نظرات اللواء فتحي شيء من الحزن، يبدو أنه قد تذكر حسين لقد كان يحبه حقا ويحاول حمايته ولكن يبدو أنه فشل في ذلك، جلست أنتظر سؤاله التالي بعدما أربكت طريقة سير التحقيق.

- إذا، سيتم اعتقالك بتهم القتل والخطف والتعذيب.

قاطعته قائلًا:

- هلا انتهينا من هنا ولترسلوني إلى مكتب كبير القضاة؟

توقف اللواء فتحي عن استكمال حديثه للحظات حتى انتهيت من كلمتي ليكمل حديثه:

- هل لديك شيء آخر تريد إخبارنا به يا ونس؟

- لا، سأعترف تفصيليا بجرائمي لدى كبير القضاة.

- حسنا، ولكنك تعلم عقوبة ما فعلته؟

- نعم، الإعدام.

- حسنا، لدي سؤال أخير، لقد أخبرني محمد حَميد أنك مريض؟

حينها ارتبكت، اللعنة على ذاك التوتر اللاإرادي الذي يصيبني، لقد لاحظ ردة فعلي وحينها لمعت عيناه وعلم أن لقائنا لم ينته بعد. أجبته قائلًا:

- لا، إنه كاذب، لقد اعترفت بكل شيء.

- لقد أخبرني أنك كنت تتحدث عن أختك ريم.

- لما لا تنصت إلي، لقد أخبرتك أنني بمفردي، أنا أعمل بمفردي منذ البداية، حتى أختي ريم لم تكن تعلم بما أفعله، لقد كنت استخدم المنزل أثناء عملها بالمشفى ولا تعلم شيء عن القبو.

- أختك ريم؟ توأمك؟ لا تعلم شيئا عمًّا فعلته؟

- نعم.

- أختك ريم التي تُوفيت هي وزوجها في إطلاق ناري منذ أربع سنوات في مدينة الواحة؟

أعلم لعبة العقل التي يريدون جري إليها، إنهم يحاولون إضعاف قدراتي الذهنية حتى أصبح لقمة صائغة لها، لن يحدث ذلك، كنت منتبه له تمامًا ولن أسمح بخداعي، اعترف لكم بأنه كاد أن يتملكني للحظة ولكن اقتحام ريم للغرفة بالقوة وركضها باتجاهي تحتضني قد جعلني أثبت على موقفي.

أخذت أبكي وأنا لا أستطيع احتضان ريم مثلما تفعل فقيودي تمنعني، رفعت ريم رأسها إلي وهي تطمأنني:

- لا تحزن يا ونس، أنا هنا معك وسأخرجك من هنا بطريقة ما.

ظللت أبكي وأنا أحاول جمع شتات نفسي وأنا أخبرها:

- لم أخبرهم بشيء عنك يا ريم، لن يعرفوا أي شيء مما حدث.

صوت ارتطام قبضة اللواء فتحي على الطاولة أمامي جعلني أنتفض بجسدي مرة واحدة وهو يصيح بي:

- إلى من تتحدث؟

كانت نظرات الغضب تتملكه ولم أعرف لم تحول هذا التحول الغريب لرؤيته لريم!

ريم! ... أين ذهبت ريم؟ ... لقد كانت هنا للتو ... لقد أخرجوها من الغرفة سريعًا بالتأكيد. ولكني واثق بأنها ستعود لمساعدتي، لقد وعدتني بذلك.

انتهى التحقيق في البحث الجنائي وقاموا بفك قيودي من الأرض وأخرجوني من الغرفة وتم تهيأتي لركوب سيارة البحث الجنائي مجددًا استعدادا للذهاب لمكتب كبير القضاة، كنت في طريقي للخروج من المبنى حتى لمحت زملائي الذين قضيت معهم سنوات طوال نعمل سويًا كانوا يتلصصون من بعيد ينظرون إلي، هل كان يبكي أحدهم لرؤيتي هكذا؟، هكذا خيل لي، كنت أرى عيون حزينة تراقبني، لم أرغب لأحد أن يغضب مني يوما، ولم أرغب يوما ما أن أشعر بأنني غير مرحب بي في مكان ما، لكنني في كل حال كنت أكن لهم كل الحب.

ركبت السيارة وتم تقييدي مجددًا وحينها بدا لي صوت يأتي من بعيد وكأنها فرقة موسيقية تنشد أحد الأناشيد، حاولت التركيز لأستمع لما يهزج لأجدها أصوات هتافات جماعية موحدة، أعتقد أنهم بالخارج كانوا يهتفون لي.

١٢٤

وصلت إلى مكتب كبير القضاة حيث كان ينتظرني هناك كاميرات الصحفيين التي لم تتوقف منذ لحظة وصولنا إلى المكان وحتى اقتيادي إلى داخل المبنى وسط حراسة مكثفة.

انتهى التحقيق وأمر وكيل كبير القضاة بتحويلي إلى طبيب للأمراض النفسية وبالفعل تم تحويلي إلى إحدى المستشفيات حيث أقبع فيها منذ ذلك الحين ولم يتم إخباري بمصيري حتى الآن، أعتقد أنه قد مرت شهور أو سنوات علي داخل هذا المكان وأنا لا أدري، لم ألتق بأحد منذ فترة، إنهم يحتجزوني في زنزانة فردية ولا يسمح لأحد هنا أن يرى الآخر، في كل حين وآخر اسمع أصوات تأوهات وصراخ تصدر من مكان غير معلوم. أعتقد بأنهم يختطفونني لسبب ما لا أعلمه ولكني لازلت منتظر قدوم ريم لمساعدتي.

لذا استغللت الوقت وشرعت في كتابة مذكراتي بتلك الأقلام الشمعية التي سمحوا لي باقتنائها لأخبركم بقصتي كاملة وها أنا أنهيت قصها لكم ويمكنكم الحكم علي الآن.

أنا ونس فريد، الملقب بسفاح ستوكهولم، أنا من ارتكبت جرائم قتل في حق أشخاص رأيتهم مذنبين، لم استطع أن أقف مكتوف اليدين، أظن أن منكم من قتل مجرمين كثر في مخيلته لمجرد سماع جرمهم، لقد تطور الأمر لدي ولم يقتصر الأمر على التخيل، بل انتهى بي المطاف بقتلهم وتعذبيهم، لا أخفيكم سرا، لقد استمتعت بالأمر، لست ساديا ولكني أحسست بنشوة لأنني ظننت أنني استرددت جزءً بسيطا من حق من أُرتكب ضدهم تلك الأفعال الشنيعة، لا أبرئ نفسي مما فعلت لأنني أعلم أن مصيري لن يكون جيدًا أبدًا، الجميع كان يصفني بالمنطوي

والبعض وصفني بضعيف الشخصية، لست كذلك، كل ما في الأمر أنني أكره البشر، البشر سيئون، لا تستطيع معاشرتهم ولا التحدث معهم، سيجلب لك الأمر مشاكل لا حصر لها، لا أعلم لِمَ وجدت ملاذا في قتلهم، وأعتقد بأنني كنت سأستمر في الأمر إن لم يتم الإيقاع بي، فهنالك الكثير ممن نزعت منهم صفة الرحمة، وللأسف فإن الأمر ليس له علاج أو حل، يجب حينها التدخل فمن لا يرحم لا يُرحم، لا أشجع أحد على فعل ما فعلته، ولكني أشجع من يرتكب الجرائم على التنحي والرجوع عن أفعاله لأن النهاية لن تروق له، فكما أخبروني فقد أخذوا نسخة من عقلي لاستخدامها وحينها ستجد نُسخا متعددة من سفاح ستوكهولم.

ونس فريد.

١٢٥

تم الحكم على د. رأفت سليمان الطبيب النفسي بالإعدام شنقا لما نسب إليه من تهم قتل واعتداء على مرضاه بعد تخديرهم.

تم إثبات التهم المنسوبة على المتوفين (د. هادي همام ومحمود الدريني) في قضية الاتجار بأعضاء الأطفال، والكشف عن أكبر عصابة تدير تلك العمليات وإغلاق المستشفيات المتورطة في ذلك وتقديم كل المسؤولين للمحاكمة السريعة والعاجلة حينئذ.

تم إثبات التهم المنسوبة على المتوفى تامر الكرامي باعترافات الفتيات التن تم استغلالهن وكشف كل الأشخاص الذين تورطوا في الأمر وتقديمهم للمحاكمة العاجلة.

تم إثبات فساد راضي النوفي وتأكيد القضايا التي تورط فيها وربطها بأصحاب الشركات ورجال الأعمال الذين تورطوا في قضايا مختلفة وتم تقديمهم للمحاكمة العاجلة.

تم فصل العقيد أحمد منير من عمله وسحب كل الأنواط والنياشين التي حصل عليها خلال خدمته وتم الحكم عليه بالسجن لمدة سنتين للتحريض وارتباطه بمقتل النقيب حسين الكامل.

تم تبرئة اسم النقيب حسين الكامل من كل التهم المنسوبة إليه وتوضيح ما حدث تفصيليا، مع نشر كل ذلك في كل الجرائد والصحف الرسمية التابعة لدولة دونسيار حينئذ.

لم يعد اللواء فتحي إلى الخدمة مجددًا واحتفظ بكل الأوسمة والنياشين وتم تكريمه على خدمته دونسيار لسنوات طوال.

تقلدت أمينة مناصب عدة حتى أصبحت رئيسة تحرير جريدة الحقيقة الخاصة الشهيرة في دونسيار.

تم فتح قبر الطبيبة ريم فريد، الأخت التؤام لسفاح ستوكهولم والتأكد من هوية الجثة المدفونة وتحديد زمن الوفاة وقد كانت تتطابق مع البيانات الرسمية للدولة وتم دحض ادعاءات سفاح ستوكهولم.

شُخصت حالة ونس باضطراب الهوية الانفصامي، وأودع في مستشفى سري في الصحراء الشاسعة لدراسة حالته، وتم تصنيفه كمريض نفسي شديد الخطورة، وظل نزيلا في المشفى حتى حادثة الاحتراق التي تُوفي فيها مع باقي النزلاء ومن بينهم د. يحيى فهيم المسؤول الرئيسي عن إعداد وخلق تلك المجموعة من المجرمين الذين أطلق عليهم لقب الغرباء.

تم الاستعانة في إعداد هذا الكتاب بكل من:

- مذكرات المهندس ونس فريد الملقب بسفاح ستوكهولم التي قام بكتابتها بداخل مشفى القطة وتم مطابقتها والتأكد من صحتها.

- شهادات وتقارير المكلفين بالقضية حينئذ وهم:

لواء متقاعد/ فتحي زكي _ مدير الإدارة المركزية للبحث الجنائي الأسبق (متوفى).

لواء هشام فخري - مدير الإدارة المركزية للبحث الجنائي الحالي.

أحمد منير – ضابط مفصول من الخدمة.

الصحفية أمينة سعيد – رئيسة تحرير جريدة الحقيقة الخاصة.

محمد حَميد – محقق وضابط مفصول من الخدمة.

تسجيلات كاميرات المراقبة المحرزة وتسجيلات السفاح الشخصية.

شهادة بعض المواطنين الذين تم تسجيل أقوالهم واستجوابهم آنذاك.

تمت.

المشفى السري بالصحراء العظمى

جلس رجل ذو بدلة سوداء باسما لونس الذي جلس أمامه وهو يحدثه:

- كيف حالك يا ونس؟

- بخير، هل أنت هنا من أجلي.

- نعم، لقد قرأت مذكراتك وتم تعيني من السيد الرئيس شخصيا أن اهتم بأمرك.

- كيف قرأتموها؟، أنا أخفيها جيدًا.

- لا يهم ذلك الآن، المهم هو أن الجميع يهتم لأمرك بالخارج.

- حقا؟، وأين أختي ريم؟، لما لم تأت لزيارتي حتى الآن؟

- بالطبع ستأتي، مجرد إجراءات رسمية وستأتي إليك لتزورك.

- حسنا، سأنتظر ذلك.

- ولكن هنالك أمر الجميع يتساءل حوله وأريد استيضاحه منك لأنك أصبحت حديث الجميع مجددًا.

ارتسمت بسمة انتشاء على محيا ونس بعدما سمع ذلك الحديث وأجاب الرجل:

- ما هو ذلك الأمر وسأوضحه لك؟

كاد الرجل أن يتحدث فقاطعه ونس مجددًا.

- أريد تلفازا في غرفتي.

- حسنا.

- وأريد هاتفا ذكيا أتابع به ما يقال عني.

- حسنا.

صمت ونس ليكمل الرجل حديثه:

- لقد ذكرت في مذكراتك أن هنالك من أخذ نسخة من عقلك لاستخدامها لاحقا، هل تخبرنا كيف حدث ذلك؟

- بالتأكيد، إنه الدكتور يحيى فهيم، لقد زارني وأخبرني أنه سيتم تكريمي بأخذ نسخة من عقلي لتكون مرجع لهم فيما بعد.

- دكتور يحيى فهيم قام بزيارتك؟

- نعم ... انتظر، لقد تذكرت، لقد أخبرني أن شخص ذو بدلة سوداء سيقابلني إن تم الإيقاع بي ... هل أنت السيد مختار؟

تغيرت ملامح الرجل واتسعت عينه وهو ينظر لونس يسأله:

- ماذا قال لك حينها؟

- أخبرني أن أخبرك أنهم متواجدون بينكم في كل مكان، وإن قبضتم على واحد منهم فسينتجون منه ألفا في المقابل.

لتقييم الرواية على موقع Goodreads



مؤلفات الكاتب:

- لازاريتو، (من تجارب د. يحيى فهيم، #١).

- من تحقيقات محمد حميد، (من تجارب د. يحيى فهيم، #٢).

- سفاح ستوكهولم، (من تجارب د. يحيى فهيم، #٣).

للتواصل مع الكاتب:

Instagram: wr.mohamedhassan

Mail: mohamed.hassan.wr@gmail.com